قطب الدائرة

الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

تصميم هندسي لتطوير الروضة الحيدرية المقدسة
يزاوج بين التخطيط الحضري والتخطيط العقائدي

الدكتور
عبدالهادي عباس الإبراهيمي
كلية العلوم — جامعة الكوفة — النجف الأشرف

قطب الدائرة

الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

تصميم هندسي لتطوير الروضة الحيدرية المقدسة
يزاوج بين التخطيط الحضري والتخطيط العقائدي

الدكتور
عبدالهادي عباس الإبراهيمي

كلية العلوم – جامعة الكوفة – النجف الأشرف
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جمهورية العراق

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الكتاب: قطب الدائرة .. الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام
المؤلف: الدكتور عبدالهادي عباس الإبراهيمي
المطبعة: النبراس - النجف الأشرف - العراق
الطبعة: الأولى
سنة الطبع: ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣م
الكمية: ١٠٠٠ نسخة

لأبداء ملاحظاتكم يرجى مراسلتنا على البريد الألكتروني:
abdulhadi.alibraheemi@yahoo.com

الإخراج الفني
محمد الخزرجي ٠٧٨٠٠١٨٠٤٥٠

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٦٧٥) لسنة ٢٠١٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

صدق الله العلي العظيم

الإهداء

لسيدي ومولاي إمام المتقين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه سائلاً المولى سبحانه أنْ يجعلَ حلمَ تطويرَ الروضةِ الحيدريةِ المقدسةِ واقعاً وحقيقةً إنّه سميع مجيب.

عبدالهادي الإبراهيمي

تقديم

المؤرخ الدكتور حميد مجيد هدّو

شهدت مدينة النجف ـ القسم القديم منها ـ عملية طمس وهدم لمعالمها التراثية الأصيلة بحجة التطوير بما يتلاءم وحداثة التصميم والتخطيط الجديد إلاّ انَّ النتائج كانت عكسية أتت على كل ما ورثته هذه المدينة التي لها من القداسة الدينية والمكانة التاريخية والعلمية المرموقة في نفوس المسلمين بعامة واتباع أهل البيت عليهم السلام بخاصة.

وتعزى تلك الأهمية إلى أمرين: الأول انها تضم جدث أمير المتقين المؤمنين الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام والأمر الآخر كونها مصدر إشعاع علمي وفقهي وأدبي للعالم بسبب وجود حوزتها العلمية الدينية منذ ألف عام أو يزيد.

وكانت النجف كسائر المدن الاسلامية القديمة تعبّر عن نظام المجتمع الإسلامي وإسلوب حياته فقد توسعت على أساس طبيعي معبّرة عن هدف وفكر اجتماعي وديني مشترك. فكان المرقد العلوي الشريف هو النواة لهذه المدينة العربية الإسلامية القديمة وهو يمثّل المكان المميز المختار لنمو ونشأة المدينة حواليه، فكانت دور السكن والأسواق، والدروب، والمدارس والمعاهد الدينية ... الخ وظلت النجف على هذه الحال قروناً طويلة بمحلاتها الأربع ضمن سور يحدّ المدينة حتى أربعينيات القرن الماضي عندما استحدثت محلة الجِدَيْدَة بشوارعها العريضة المستقيمة وسعة مساحات مساكنها إذا ما قيست بمساحات منازلها القديمة.

إنَّ تاريخ أية مدينة قديمة هو تاريخ حضارتها وجوهر الحضارة يكمن في محاولة الإنسان في تحليل وفهم المحيط الذي يعيشه في مختلف النواحي الطبيعية والمادية ضمن

حدود قدراته وإمكاناته المتاحة، وبما انَّ المدينة هي المحصلة النهائية للارتقاء والتمدن، فكان لزاماً على الحريصين حفظ تراث هذه المدينة العمراني ونسيجها المدني وهذا هو ما هدف وما سعى إليه مؤلف الكتاب في نشر أفكار ينشد من ورائها استنباط أسس لتخطيط المدينة وتصميمها العمراني بما يعيد إليها طابعها التراثي الإسلامي والحفاظ على هويتها التاريخية والإسلامية والموروث المعماري المهدد بالتوسع الحضري للمدينة القديمة الذي بات يطمر كل معلم من معالم النجف الأثرية والتراثية.

تصفحت الدراسة التي اقترحها الباحث الكريم في الأسباب الموجبة لتطوير العتبة الحيدرية المقدسة والتي عزاها إلى قدم العمارة الحالية وضيق فضاءاتها التي لم تعد تستوعب الأعداد الغفيرة من الزائرين وبخاصة في المناسبات الدينية المعروفة مما جعل المخلصين الموالين للتفكير بتقديم مخططات ومرتسمات من أجل التطوير العمراني الهندسي للمرقد وما حوله وإظهاره بالمظهر اللائق وحسبوا ذلك مظهراً من مظاهر الولاء لأمير المؤمنين عليه السلام.

لقد اخذ الباحث الفاضل بنظر الإعتبار في تصميمه المقترح المزاوجة بين التخطيط الحضري والتخطيط العقائدي والربط بين البعدين المادي والروحي مع الحفاظ على الموروث المعماري الذي اتسمت به المدينة والعتبة المقدسة، وناشد المسؤولين لبذل أقصى الجهود الخيرة في إجهاض أية محاولة لإزالة تلك المعالم التراثية وعدها جريمة بحق الإرث الإنساني والعالمي، وناشد الشركات بالاعتماد في عملها التطويري الحفاظ على النسيج المعماري القديم والمزاوجة بينه وبين كل فن جديد في المواصفات الهندسية الحديثة حفاظاً على تراثنا الإسلامي المعماري المهدد بالتوسع الحضري إجلالاً وإكباراً لما أنجزه المعمار الإسلامي القديم وما صنعته اليد الفنية المباركة في رسم معالم هذه المدينة ومرقدها المقدس ولضمان استمرارية القيم الحضارية الأصيلة.

والطريف في هذه الدراسة انَّ الباحث لم يكن متخصصاً في الأعمال الهندسية أو مؤرخاً للتراث المعماري بل كان دافعه لهذا العمل هو غيرته الدينية وحرصه على إظهار مدينته المقدسة بالمظهر اللائق من دون المساس بجوهر النسيج المعماري القديم، وإظهاره بحلّة جديدة مع التوسعة والحداثة في التصميم مستعيناً في بعض الحالات بخبرات المهندسين، وهذه أفكار مطروحة في الساحة وعلى المعنيين دراستها لعل الفكرة كلاً أو جزءاً ممكنة التطبيق.

على المرء أنْ يسعى بمقدار جهده وليس عليه أنْ يكون موفقا

نأمل أنْ يحالف الباحث الدكتور عبدالهادي الابراهيمي التوفيق من الله في عمله هذا الذي سيكون في ميزان حسناته يوم الحساب ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾.

المبحث الأول

المقدمة

المبحث الأول

المقدمة

مدينة النجف الأشرف:

تقع مدينة النجف الأشرف في منطقة الفرات الأوسط، إلى الجنوب الغربي من العاصمة بغداد بنحو ١٦٠ كيلومتراً. أما من حيث الموقع الجغرافي فتقع بين السهل الرسوبي من جهة مدينة الكوفة الواقعة على نهر الفرات، والهضبة الغربية من جهة الصحراء التي تفصل العراق عن الحدود الشرقية للمملكة العربية السعودية.

عُرفت النجف قديماً باعتدال المناخ وطيب الهواء وصفائه وكثرة البساتين حولها ووفرة الحيوانات البرية فيها، ووصف طبيعتَها بعض الشعراء ومنهم إسحاق الموصلي المتوفى سنة ٢٣٥ هـ، الذي قال في قصيدة مدح بها الواثق العباسي عندما ورد النجف للتنزه:

لم ينزل الناس في سهل ولا جبلِ ... أصفى هواء ولا أعذى من النجفِ
كأن تربته مسك يفوح به ... أو عنبر دافه العطار في صدفِ
حُفّت ببرٍ وبحرٍ من جوانبها ... فالبر في طرفٍ والبحر في طرفِ
وبين ذاك بساتين يسيح بها ... نهر يجيش بجاري سيله القصفِ
والصيد منه قريب انْ هممت به ... يأتيك مؤتلفاً في زي مختلفِ

ويحدثنا الرحالة الأندلسي ابن جبير في مذكراته عما شاهده عند زيارته النجف سنة ٥٧٩هـ إذ يقول: (ثم أسرينا ليلة الجمعة الثامن والعشرين لمحرّم سنة تسع وسبعين وخمسمائة نصف الليل، واجتزنا على القادسية، وهي قرية كبيرة فيها حدائق من النخيل ومشارع من ماء الفرات، وأصبحنا بالنجف، وهو بظهر الكوفة كأنّه حدّ بينها وبين الصحراء، وهو صلب من الأرض منفسح متّسع للعين، فهي مزاد استحسان

وانشراح، ووصلنا الكوفة مع طلوع الشمس من يوم الجمعة المذكور، والحمد لله على ما أنعم به من السلامة)[١].

تقوم مدينة النجف على مكان مرتفع بينما المناطق المحيطة بها منخفضة عنها، وهي تطل من الجهة الغربية على منخفض كبير يسمى بحر النجف. قال ابن منظور في لسان العرب: (النجفة: أرض مستديرة مشرفة، الجمع نُجُفٌ ونُجافٌ. ونَقل عن الأزهري قوله: والنجفة التي بظهر الكوفة، وهي كالمسنّاة تمنع ماء السيل أنْ يعلو منازل الكوفة ومقابرها)[٢]. وجاء في معجم البلدان: (النَجَف: بالتحريك... وهو بظهر الكوفة كالمسنّاة تمنع مسيل الماء أنْ يعلو الكوفة ومقابرها... وبالقرب من هذا الموضع قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه)[٣].

وقال الدكتور مصطفى جواد: (وفذلكة الأقوال انَّ النجف إنما سُمّي بهذا الإسم لأنّه يعني أرضاً عاليةً معلومةً تشبه المسنّاة تصد الماء عما جاورها وينجفها الماء من جوانبها أيام السيول ولكنّه لا يعلوها فهي كالنجد والسد)[٤].

وقال الدكتور موسى جعفر العطية عن جغرافية النجف ما نصه: (النجف التي تضم قبر الإمام علي عليه السلام التي تُعرف بإسم الربوة "ربوة النجف" تشكل جزءاً من هضبة مميزة مثلثة الشكل يطلق عليها هضبة النجف- كربلاء، وتشكل رؤوس هذا المثلث مدينة النجف الأشرف من الطرف الجنوبي الشرقي، ومدينة كربلاء والأجزاء الجنوبية من بحيرة الرزازة في الطرف الشمالي، وبحر النجف من الطرف الغربي. تبلغ مساحة هضبة النجف- كربلاء حوالي ثلاثة آلاف كيلومتر مربع وانَّ أكثر من نصف مساحة هضبة النجف- كربلاء "حوالي ١٧٥٠ كيلومتر مربع" يقع ضمن الحدود الإدارية لمحافظة النجف والباقي في ضمن حدود محافظة كربلاء، ويبلغ أقصى ارتفاع

---

(١) رحلة ابن جبير: ١٥٣.

(٢) لسان العرب: ٣٢٣/٩.

(٣) معجم البلدان: ٢٧١/٥.

(٤) موسوعة العتبات المقدسة: ١٠/٦، بحث الدكتور مصطفى جواد الموسوم (النجف قديماً).

لهضبة النجف ١٧٦ متر فوق مستوى سطح البحر والمستوى العام لارتفاع الهضبة باتجاه حافاتها الغربية يتراوح بين ١٠٠ إلى ١٢٠ متر. هضبة النجف مسطحة الاستواء ولكنها محززة بفعل عوامل التجوية الريحية وتشرف من جهتها الجنوبية الغربية على بحر النجف وهذه الشرفة تمثل جرفاً صخرياً حاداً تسمى محلياً بطار النجف، أمّا الامتدادات الشمالية لهذه الشرفة وباتجاه كربلاء تسمى بطار السيد وتتكشف في هذه الشرفات "الطارات" بعض الطبقات الصخرية المكونة لهضبة النجف)[1].

وقد تغير مناخ النجف كثيراً بعد جفاف بحرها، فلا وجود في الوقت الحاضر للصفاء والعذاوة في هوائها[2]. قال الأستاذ الدكتور صلاح مهدي الفرطوسي في كتابه القيّم مرقد وضريح أمير المؤمنين عليه السلام عنها: (جميع الظروف التي أحاطت بالمدينة المقدسة النجف الأشرف توحي بعدم قيامها لأي سبب من الأسباب حتى نهاية ثلاثينيات القرن المنصرم، فالأرض صحراء قاحلة لا ماء فيها ولا شجر، ولا تقاربها عين من العيون ولا غدير من الغدران، لافحة بصيفها السموم الذي يحرق الوجوه والأبدان، باردة بليالي شتائها الصحراوي الذي تصعب مقاومته، وليس فيها من نبات الصحراء ما يغني عن جوع إنسان أو حيوان، إلاّ ما يجود به آخر الشتاء وأول الربيع في شهرين أو ثلاثة من شيح وقيسوم وخزامى، وأزهار الشقائق التي نُسبت إلى النعمان، وما إلى ذلك من نباتات الصحراء الشائكة، فتكون مسرحاً لإبل بعض القبائل البدوية القريبة من تلك البقعة وحيواناتها. ولعلّ تربتها الميالة إلى الحمرة هي التي جعلتها تنماز في الربيع ببعض الأزهار من خزامى وأقحوان،

(١) مجلة تراث النجف: ١٠٩، العدد ١، سنة ٢٠٠٩، بحث الدكتور موسى العطية الموسوم (أرض النجف، التاريخ والتراث الجيولوجي).

(٢) أقول: ما يُلحظ في هذه الأيام هبوب العواصف الترابية من جهة الصحراء لمرات عدة في السنة بشكل لم يسبق له مثيل، لذا فإنّ من الواجب قيام المتخصصين بمجالي علم الأرض وعلم البيئة بإجراء الأبحاث العلمية التطبيقية لمعرفة الأسباب الحقيقية لهذه الظاهرة ووضع الحلول المناسبة لها، مع التنويه إلى أهمية زراعة الأحزمة الخضر حول المدينة لاسيما في المناطق المواجهة للصحراء للتقليل من الآثار السيئة لهذه العواصف.

وشقائق أعجب بها النعمان ابن المنذر فمنع قطفها أو قلعها ما أدّى الى تسميتها في الجاهلية بخد العذراء)[١].

لهذه المدينة المقدسة أسماء كثيرة إلاّ أنَّ المشهور منها ثلاثة، هي النجف والغري والمشهد، لذلك يُقال لساكنها النجفي والغروي والمشهدي. وذكر الشيخ محمد حسين حرز الدين في كتابه تاريخ النجف الأشرف ثمانية وعشرين اسماً لمدينة النجف، وشرح معانيها معتمداً على أمهات الكتب التاريخية والدينية والجغرافية. وللشيخ الدكتور محمد هادي الأميني دراسة مهمة عنوانها "أسماء النجف في الحديث واللغة والتاريخ" تم نشرها في الجزء الأول من موسوعة النجف الأشرف التي جمع أبحاثها المرحوم الأستاذ جعفر الدجيلي.

أهمية مدينة النجف الأشرف:

للنجف الأشرف مكانة خاصة في قلوب المسلمين، فهي من الناحية التاريخية تمثل أرض الأنبياء والأوصياء والأولياء، وهي مدفن آدم ونوح وهود وصالح عليهم السلام ومدفن للعلماء والصالحين. وقد روى الشيخ جعفر بن قُولويه القمي قدس سره المتوفى سنة ٣٦٨ هـ في كتابه كامل الزيارات بإسناده عن الإمام محمد الباقر عليه السلام: (إنَّ أحد أصحابه وهو أبو بكر الحضرمي سأله: أيّ بقاع الأرض أفضل بعد حرم الله عزَّ وجلَّ وحرم رسوله صلى الله عليه وآله، فقال: ((الكوفة يا أبابكر هي الزكية الطاهرة، فيها قبور النبيين المرسلين وغير المرسلين والأوصياء الصادقين، وفيها مسجد سُهيل الذي لم يبعث الله نبياً إلاّ وقد صلّى فيه، ومنها يظهر عدل الله، وفيها يكون قائمه والقوّام من بعده، وهي منازل النبيين والأوصياء والصالحين))[٢].

ولشرافة هذه البقعة المقدسة، حبا الله تعالى أرض النجف لتكون منزلاً مباركاً لنوح عليه السلام ومرسى لسفينته بعد انتهاء الطوفان. فقد روي عن الإمام جعفر الصادق

(١) مرقد وضريح أمير المؤمنين عليه السلام: ١٥-١٦.

(٢) كامل الزيارات: ٣١.

عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام في ذكر مسجد الكوفة، قال: ((... منه سارت سفينة نوح))[١]. ووردت أحاديث كثيرة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في تفسير الآية المباركة ﴿وقيلَ يا أرضُ ابلَعي ماءَكِ ويا سماءُ أقلعي وغيضَ الماءُ وقُضيَ الأمرُ واستوتْ على الجودِيِّ وقيلَ بُعداً للقومِ الظالمينَ ﴾(هود/٤٤) يُستدل منها على انَّ النجف هو موضع استقرار سفينة نوح عليه السلام.

ورد في كتاب الكافي للعلامة محمد بن يعقوب الكليني قدس سره المتوفى سنة ٣٢٩هـ عن المفضل بن عمر عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: في تفسير قوله تعالى: ﴿واستوتْ على الجودِيِّ﴾، قال: ((هو فرات الكوفة))[٢]. وجاء في بحار الأنوار للعلاّمة محمد باقر المجلسي قدس سره المتوفى سنة ١١١١هـ: (يظهر من بعض الأخبار أنّه كان بقرب الكوفة، وربما أشعر بعضها بأنّه الغري)[٣].

وقد أشار الشيخ محمد السماوي رحمه الله في أرجوزته الموسومة "عنوان الشرف في وشي النجف" إلى ذلك قائلاً:

ففي حديث الفرحة المسطورِ بأنها من قطعات الطورِ
وإنّها كانت من الجـــودي أو هو هي في خبرٍ مروي[٤]

روى صفوان بن مهران عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: (سار وأنا معه من القادسية حتى أشرف على النجف، فقال: ((هو الجبل الذي اعتصم به ابن جدي نوح عليه السلام، فقال: ﴿ سآوي إلى جَبَلٍ يَعصِمُني مِنَ الماءِ ﴾(هود/٤٣)، فأوحى الله تبارك وتعالى إليه بالنجف: أيعتصم بك مني، فغاب في الأرض وتقطّع إلى قطر الشام، ثم قال: إعدل بنا، فعدلت. فلم يزل سائراً حتى أتى الغري، فوقف على القبر، فساق السلام من آدم على نبي نبي عليهم السلام، وأنا أسوق معه، حتى وصل السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله،

(١) كامل الزيارات: ٣٣.
(٢) الكافي: ٢٨١/٨.
(٣) بحار الأنوار: ٣٣٩/١١.
(٤) عنوان الشرف في وشي النجف: ٦.

ثم خرَّ على القبر، فسلّم عليه وعلا نحيبه، ثم قام فصلّى أربع ركعات وصليت معه وقلت: يا بن رسول الله ما هذا القبر، فقال: هذا قبر جدي علي بن أبي طالب عليه السلام))[١].

وورد في كتاب علل الشرائع للشيخ الجليل محمد بن بابويه القمي المعروف بالصدوق قدس سره المتوفى سنة ٣٨١هـ بسنده عن أبي نعيم، عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: ((إنَّ النجف كان جبلاً وهو الذي قال ابن نوح: ﴿ قالَ سآوي إلى جَبَلٍ يَعصِمُني مِنَ الماءِ ﴾(هود/٤٣) ولم يكن على وجه الأرض جبل أعظم منه، فأوحى الله عز وجل إليه: يا جبل أيعتصم بك مني؟ فتقطع قطعاً قطعاً إلى بلاد الشام، وصار رملاً دقيقاً، وصار بعد ذلك بحراً عظيماً، وكان يُسمّى ذلك البحر بحر "ني" ثم جف بعد ذلك فقيل ني جف فسُمّي بنجف ثم صار الناس بعد ذلك يُسمّونه نجف لأنّه كان أخف على ألسنتهم))[٢].

وللعلاّمة السيد سامي البدري دراسة مستفيضة وفي غاية الأهمية عنوانها "النجف مرسى سفينة نوح عليه السلام" يثبت فيها وبالأدلة العلمية القاطعة انَّ النجف هو الموضع الذي رست عليه سفينة نوح عليه السلام، وانَّ الكوفة أول مدينة بعد الطوفان استقر فيها نوح عليه السلام والتي انطلقت منها الحياة الدينية والفكرية والاجتماعية والسياسية في العراق بل في العالم.

قال السيد البدري: (إنَّ النجف مرسى سفينة نوح قضية تنهض بالاستدلال عليها ثلاثة أنواع من الوثائق وهي: أولاً:الوثائق العربية المتمثلة بالقرآن الكريم وتراث النبوة برواية أهل البيت عليهم السلام وهي وثائق تنتمي إلى أوائل القرن السابع الميلادي، فقد جاء في القرآن الكريم إسم الجوديّ ولم يسبق لغيره من الكتب السماوية أو البلدانية أنْ ذكر هذا الاسم بصفته الموضع الذي استقرت عليه السفينة، وقد جاء في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام انَّ الجودي هو فرات الكوفة، وجاء عنه أيضاً انَّ كربلا هي

(١) كامل الزيارات: ٣٥- ٣٦.

(٢) علل الشرائع: ١/ ٣٢-٣٣.

البقعة التي نجّى الله عليها نوحاً والذين آمنوا معه، ولم يسبق لأي مصدر آخر إسلامي أو كتابي أو بلداني أنْ بيّن ذلك عن الجودي وكربلا وصلتهما بموضع رسو السفينة حتى جاءت الوثائق المسمارية مصدقة لِما بيّنه القرآن وأهل البيت عليهم السلام. ثانياً:الوثائق المسمارية باللغة السومرية واللغة الأكدية، وهي وثائق تنتمي إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد على أقل تقدير وقد كُشف عنها قبل مائة وخمسين سنة. ثالثاً:الوثائق العبرية والآرامية واللاتينية "العهد القديم" وهي وثائق ظهرت بين القرن الثاني عشر قبل الميلاد والقرن الرابع الميلادي)[1].

ومن خصائص هذه الأرض المقدسة انّه دُفن فيها الكثير من الأنبياء، ومن الذين عُرفت مراقدهم آدم ونوح وهود وصالح عليهم السلام. في حديث طويل رواه الشيخ ابن قولويه القمي نقتطف منه المقطع الآتي: (قال المفضل بن عمر: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام، فقلت: إنّي أشتاق إلى الغري، قال: ((فما شوقك إليه، قلت له: إنّي أحب أنْ أزور أمير المؤمنين عليه السلام، قال: فهل تعرف فضل زيارته، قلت: لا، يا بن رسول الله فعرفني ذلك، قال: ((إذا أردت زيارة أمير المؤمنين عليه السلام فاعلم أنك زائر عظام آدم وبدن نوح وجسم علي بن ابي طالب عليه السلام))[2].

جاء في كتاب تهذيب الأحكام لشيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي قدس سره المتوفى سنة ٤٦٠ هـ انَّ الإمام علي عليه السلام بعد أنْ ضربه الشقي ابن ملجم أوصى ولده الإمام الحسن المجتبى عليه السلام قائلاً: ((... وإذا مِتُّ فادفنوني في هذا الظهر، في قبر أخَوَيَّ هود وصالح عليهما السلام))[3].

وقد خصص الأستاذ الدكتور حسن عيسى الحكيم الجزء الثالث من كتابه المفصّل في تاريخ النجف الأشرف للحديث عن تاريخ المراقد المقدسة والمقامات ووادي

---

(١) مجلة تراث النجف: ٦٥، العدد ١، سنة ٢٠٠٩، بحث السيد سامي البدري الموسوم (النجف مرسى سفينة نوح عليه السلام).

(٢) كامل الزيارات: ٣٩.

(٣) تهذيب الأحكام: ٢٩/٦.

السلام. وقد أشار إلى انّه: (وردت نصوص تاريخية وأحاديث شريفة عن مرقدي النبيَّيْن آدم ونوح عليهما السلام في أرض النجف، وقد ورد في الزيارة "السلام عليك وعلى ضجيعيك آدم ونوح" وقد أصبحت هذه الزيارة من باب المُسلّمات بأنَّ الإمام علياً عليه السلام قد دُفن بين النبيَّيْن آدم ونوح عليهما السلام وقد أصبح لهما قبران منفصلان عن قبر الإمام عليه السلام، وقد شاهدهما الرحالة ابن بطوطة عند زيارته لمدينة النجف الأشرف عام ٧٢٧ هـ)[١].

ويقول الدكتور الحكيم أيضاً: (ورد ذكر النبيَّيْن هود وصالح في الزيارة لأمير المؤمنين عليه السلام حيث جاء فيها "السلام عليك وعلى جاريك هود وصالح"، ويُستفاد من هذه الزيارة انهما دُفنا في مكان ليس ببعيد عن مرقد الإمام عليه السلام، في حين انَّ النبيَّيْن آدم ونوح قد دُفنا بنفس البقعة التي دُفن فيها أمير المؤمنين عليه السلام، فقد أعطت الزيارة لهود وصالح صفة الجوار، وأعطت لآدم ونوح صفة المضاجعة)[٢].

وأما تفسير وصول جسد آدم عليه السلام إلى النجف فقد بينه الإمام جعفر الصادق عليه السلام بقوله: ((إنَّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى نوح عليه السلام وهو في السفينة أنْ يطوف بالبيت أسبوعاً، فطاف بالبيت كما أوحى الله إليه، ثمَّ نزل في الماء إلى ركبتيه فاستخرج تابوتاً فيه عظام آدم، فحمل التابوت في جوف السفينة حتى طاف بالبيت ما شاء الله تعالى أنْ يطوف، ثم ورد إلى باب الكوفة في وسط مسجدها، ففيها قال الله للأرض: ﴿ ابلَعِي ماءَكِ ﴾(هود/٤٤) فبلعت ماءها من مسجد الكوفة كما بدأ الماء من مسجدها، وتفرّق الجمع الذي كان مع نوح في السفينة، فأخذ نوح التابوت فدفنه في الغري))[٣].

وفي هذا المعنى يقول الشيخ محمد السماوي:

وجاء نوح بعد فيض العالمِ إلى الغـــري في عظام آدمِ
ثم هو اختار الغري مـــدفنا لعلمه بدفـــن حيدر هنا

(١) المفصل في تاريخ النجف الأشرف: ٣/ ٩.
(٢) المفصل في تاريخ النجف الأشرف: ٣/ ١٥.
(٣) كامل الزيارات: ٣٩.

واختار ذاك صالح وهود وليس ما تزعمه اليهود
فإنَّ هوداً عندهم ذو الكفل فأوضح الحق وصي الرسل[١]

وذكر الرحالة ابن بطوطة عن المرقد المقدس حينما زار النجف سنة ٧٢٧هـ الآتي: (... وفي وسط القبّة مسطبةٌ مربّعة مكسوّة بالخشب عليه صفائح الذهب المنقوشة المُحكمة العمل، مسمّرة بمسامير الفضّة، قد غلبت على الخشب بحيث لا يظهر منه شيء، وارتفاعُها دون القامة. وفوقها ثلاثةٌ من القبور يزعمون أنَّ أحدها قبرُ آدم، عليه الصلاة والسلام، والثاني قبرُ نوح، عليه الصلاة والسلام، والثالث قبرُ عليّ، رضي الله تعالى عنه)[٢].

وقد كانت الكوفة مسكن ابراهيم الخليل عليه السلام، وله في مسجد الكوفة المعظم مقام يُزار. وله أيضاً في مسجد السهلة مقام معلوم ومن هذا المسجد خرج إلى العمالقة. وقد ورد انَّ بانقيا هي الإسم القديم لأرض النجف، وكان بحر النجف يُسمّى بحر بانقيا. وقد اشتراها ابراهيم عليه السلام بغنيمات كنَّ معه، والغنم بالنبطية يُقال لها "نقيا".

ورد في كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي عن قصة شراء إبراهيم الخليل عليه السلام لأرض النجف ما نصه: (خرج من بابل على حمار له، ومعه ابن أخيه لوط، يسوق غنماً ويحمل دلواً على عاتقه حتى نزل بانقيا وكان طولها إثني عشر فرسخاً، وكانوا يزلزلون في كل ليلة فلما بات إبراهيم عندهم لم يزلزلوا، فقال لهم شيخ بات عنده إبراهيم عليه السلام: والله ما دفع عنكم إلاّ شيخ بات عندي فإنّي رأيته كثير الصلاة، فجاؤوه وعرضوا عليه المقام عندهم وبذلوا له البذول، فقال: إنّما خرجت مهاجراً إلى ربي. وخرج حتى أتى النجف، فلما رآه رجع أدراجه أي من حيث مضى، فتباشروا وظنوا انّه رغب فيما بذلوا له، فقال لهم: لمن تلك الأرض؟ يعني النجف، قالوا: هي لنا، قال فتبيعونيها؟ قالوا: هي لك فوالله ما تنبت شيئاً، فقال: لا أحبها إلاّ شراء، فدفع إليهم غنيمات كنَّ معه بها، والغنم يقال لها بالنبطية نقيا، فقال: أكره أنْ

(١) عنوان الشرف في وشي النجف: ٥-٦.
(٢) رحلة ابن بطوطة: ١٧٧.

آخذها بغير ثمن... وذكر إبراهيم عليه السلام انّه يُحشر من ولده من ذلك الموضع سبعون ألف شهيد)[١].

وقد مَرَّ بالنجف الكليم موسى عليه السلام، فناداه ربه منها ﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً﴾(طه/١٢). روى السيد غياث الدّين عبدالكريم بن طاووس الحسني قدس سره المتوفى سنة ٦٩٣هـ في كتابه فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين علي عليه السلام بسنده عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام انّه قال عن الغري: ((... وهو قطعة من الجبل الذي كلّم الله عليه موسى تكليماً، وقدّس عليه عيسى تقديساً، واتّخذ عليه ابراهيم خليلاً، واتّخذ محمداً عليه حبيباً، وجعله للنبيين مسكناً، والله ما سكن فيه بعد أبويه الطيبين آدم ونوح أكرم من أمير المؤمنين علي عليه السلام))[٢].

وأكرِم بالعلاّمة الشيخ محمد كاظم الأزري في أبياته الرائعة:

أيُّها الراكـــبُ المُجِدُّ رويداً بقُلـــوبٍ تقلبَتْ في جـــواها
إنْ تراءَت أرضُ الغريّينِ فاخضَعْ واخلعْ النعل دون وادي طواها

وفي تفسير قوله تعالى ﴿ وجعلنا ابنَ مريمَ وأمهُ آيةً وآويناهما إلى ربوةٍ ذاتِ قرارٍ ومعينٍ ﴾(المؤمنون/٥٠) وردت أحاديث عدة دالة على انَّ الربوة هي أرض النجف الأشرف، ومنها ما رواه الشيخ جعفر بن قولويه القمي بسنده عن سليمان بن نهيك عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: ((الربوة نجف الكوفة، والمعين الفرات))[٣].

دخل أمير المؤمنين عليه السلام مدينة الكوفة مظفراً بالنصر على الناكثين يوم ١٢ رجب سنة ٣٦ هـ قادماً إليها من البصرة بعد انتهاء معركة الجمل. واتخذها عاصمة للدولة

---

(١) معجم البلدان: ٣٣١/١.

روى الشيخ محمد بن علي العلوي بإسناد رفعه إلى عبدالرحمن بن المبارك الخياط عن أبيه عن جده، قال: (إنَّ الكوفة كان يزلزل بها فلما نزلها آل محمد ارتفع ذلك عنها). فضل الكوفة وفضل أهلها ٨٦.

(٢) فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين علي عليه السلام: ١٩٧.

(٣) كامل الزيارات: ٥١.

الاسلامية في زمن خلافته الراشدة، وتذهب الروايات إلى انّه اشترى أرض النجف. وهذا معناه انَّ هذه الأرض قد أُشتُريتْ مرتين، مرة من أبي الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام ومرة من أبي الأوصياء علي المرتضى عليه السلام، وفي أمر هذا الشراء سرّ عظيم.

روى السيد عبدالكريم بن طاووس في فرحتِه بإسناد رفعه إلى عقبة بن علقمة أبي الجنوب، قال: (إشترى أمير المؤمنين علي عليه السلام ما بين الخورنق إلى الحيرة إلى الكوفة، وفي حديث: ما بين النجف إلى الحيرة إلى الكوفة من الدهاقين بأربعين ألف درهم، وأشهد على شرائه. قال: فقيل له: يا أمير المؤمنين تشتري هذا بهذا المال وليس تنبت خطاً ؟ فقال: ((سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: كوفان كوفان، يرد أولها على آخرها، يُحشَر مِنْ ظهرها سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب، فأحببت أنْ يُحشروا مِنْ ملكي))[1].

وفضلاً عن الشرف والقداسة التي حُظيت بها النجف بكونها مثوى الأنبياء والأوصياء، فإنها ورثت العمق التراثي والحضاري لمدينتي الحيرة والكوفة. ذكر الدكتور حسن الحكيم بهذا الصدد ما نصه: (وفي تأسيس مدينتي الكوفة والنجف ظاهرة اشتركت فيها هاتان المدينتان على الرغم من الفارق الزمني في تأسيسهما وهو الإرث التاريخي، فقد تأسست مدينة الكوفة على أنقاض مدينة الحيرة، تلك المدينة العربية العريقة التي كانت عاصمة لدولة المناذرة في عصر ما قبل الإسلام، فأصبحت الكوفة وريثة الحيرة وقد بُنيت من حجارتها، وتأسست مدينة النجف على أنقاض الكوفة، تلك المدينة التي احتلت مركز الولاية ومن ثمَّ العاصمة للدولة العربية الإسلامية، وبُنيت النجف من حجارة الكوفة وأنقاضها، وورثت مدرستها العلمية

(١) فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين علي عليه السلام: ١٠٩-١١٠.

الدهاقين أو الدهاقنة: جمع الدِهْقان، معرَّب، بكسر الدال وضمها، التاجر أو رئيس المقاطعة أو الإقليم أو رئيس القرية أو زعيم الفلاحين. وقد وردت العبارة (وليس ينبت قط) في نسخة فرحة الغري ٥٨، تحقيق تحسين آل شبيب الموسوي، طبعة مركز الغدير للدراسات الاسلامية، سنة ١٩٩٨.

والفكرية منذ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي)[١].

وعن العلاقة بين النجف والحيرة من بُعدها الحضاري قال الدكتور الحكيم في مُفصّله: (وإذا درسنا الحضارة القائمة في منطقة النجف قبل الإسلام، فإننا سوف نكشف عن الوحدة بين النجف والحيرة لأنَّ القصور والمنازل والأديرة والقلاع وغيرها كانت ممتدة بينهما، وقد أصبح لهذه المظاهر الحضارية، فيما بعد، امتداد تاريخي ساير العصور الاسلامية التي مرّت بها مدينة النجف بعد نشوئها بدءاً من القرن الثاني للهجرة، وما زالت بعض أسماء النجف القديمة تلازم حياتها المعاصرة ومنها: الغري، الطور، الثوية، اللسان، بانقيا...)[٢]. ويفسر الشيخ محمد حسين حرز الدين رحمه الله سبب كثرة الأديرة في النجف بقوله: (انَّ لموقع النجف الجغرافي المطل على البحر القديم واعتدال مناخه واعتناق ملوك الحيرة دين النصرانية أثر كبير في انتشار الأديرة في موضع النجف)[٣].

إنَّ نواة الحركة العلمية في النجف الأشرف ابتدأت قبل نحو ألف ومائة وخمسين عام في القرن الثالث الهجري في خلافة المعتضد العباسي (٢٧٩-٢٨٩هـ) بعد أنْ شيّد الملك محمد بن زيد الداعي العمارة الثانية للمرقد العلوي المطهر في سنة ٢٨٣هـ. وكان يُرسل الأموال من طبرستان لتفرق على العلويين الساكنين في العتبات المقدسة.

ويحدثنا المؤرخ المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦هـ عن ذلك قائلاً: (وكان ورد مال من محمد بن زيد من بلاد طبرستان ليفرّق في آل أبي طالب سراً، فغمز بذلك إلى المعتضد، فأحضر الرجل الذي كان يحمل المال إليهم، فأنكر عليه إخفاء ذلك، وأمره بإظهاره، وقرَّب آل أبي طالب، وكان السبب في ذلك قرب النسب، ولِما أخبرنا به أبو الحسن محمد بن علي الوراق الأنطاكي الفقيه المعروف بابن الغنوي بأنطاكية،

---

(١) مجلة آداب الكوفة: ١١-١٢، العدد ١، سنة ٢٠٠٨. بحث الدكتور حسن الحكيم الموسوم (تخطيط المدينة العربية الاسلامية "النجف والكوفة إنموذجاً").

(٢) المفصل في تاريخ النجف الأشرف: ٥١/١.

(٣) تاريخ النجف الأشرف: ٤٦٥/١.

قال: أخبرني محمد بن يحيى بن أبي عباد الجليس، قال: رأى المعتضد بالله وهو في سجن أبيه كأنَّ شيخاً جالساً على دجلة، يمد يده إلى ماء دجلة، فيصير في يده وتجفُّ دجلة، ثم يردُّه من يده، فتعود دجلة كما كانت، قال: فسألت عنه، فقيل لي: هذا علي بن أبي طالب عليه السلام! قال: فقمت إليه وسلَّمت عليه، فقال: يا أحمد، إنَّ هذا الأمر صائر إليك، فلا تتعرض لولدي، ولا تؤذِهِم، فقلت: السمع والطاعة يا أمير المؤمنين)[1].

ونمت وتطورت الحركة العلمية بهذه المدينة المقدسة في القرن الرابع الهجري في زمن الدولة البويهية التي ابتدأت مع دخول معز الدولة أحمد بن بويه بغداد سنة ٣٣٤هـ في أيام خلافة المستكفي العباسي (٣٣٣-٣٣٤هـ).

وأشار إلى ذلك الأستاذ محمد غنيمة بقوله: (إنَّ مدينة النجف أصبحت عاصمة التدريس للفقه الجعفري وعلوم الدين منذ عصر آل بويه بعد إعمارهم المرقد العلوي وإجزال الصِلات والرواتب للمقيمين به)[2]. ومما يدل على كثرة أهل العلم في النجف في تلك الفترة أنَّ السلطان عضد الدولة البويهي حينما زار مدينة النجف الأشرف سنة ٣٧١ هـ، فرّق على القرّاء والفقهاء ثلاثة آلاف درهم[3].

ويتضح مما سبق انَّ الحركة العلمية في النجف الأشرف قد سبقت الحركة العلمية بمصر بعقود عدة، لأنَّ الشروع ببناء القاهرة كان سنة ٣٥٨هـ بينما تم تخطيط مدينة النجف الأشرف سنة ٢٨٣هـ. ذكر العلاّمة المصري الشيخ كمال الدين الدميري المتوفى سنة ٨٠٨هـ في كتابه حياة الحيوان الكبرى عند كلامه عن خلافة المطيع العباسي ما يأتي: (وفي أيامه أيضاً توفي كافور الإخشيدي صاحب مصر في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، وكانت مدة ملكه اثنتين وعشرين سنة، وفيها قدم جوهر القائد غلام المعز لدين الله صاحب القيروان مصر، فأقام الدعوة بها للمعز لدين الله وبايعه

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر: ٢٩٥/٤.

(٢) تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى: ٤٩.

(٣) فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين علي عليه السلام: ٢٩٣.

بها الناس على ذلك وانقطعت الخطبة بمصر عن بني العباس، وشرع جوهر القائد في بناء القاهرة لإسكان الجند بها، ثم دخل المعز لدين الله مصر لثمان مضين من شهر رمضان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة. وهو أول الخلفاء الفاطميين بمصر)[1].

وقال الدكتور حسن الحكيم: (وتشير النصوص إلى مدرسة النجف قبيل هجرة الشيخ الطوسي أبي جعفر محمد بن الحسن، المتوفى عام ٤٦٠ هـ، للمدينة المشرفة عام ٤٤٨ هـ، ومنها أبيات للشاعر أبي عبدالله الحسين بن أحمد بن الحجاج النيلي البغدادي المتوفى عام ٣٩١ هـ:

يا صاحب القبة البيضا على النجف ... من زار قبرك واستشفى لديك شُفي
زوروا أبا الحسن الهادي فإنكم ... تحظون بالأجر والإقبال والزلفِ
زوروا لمن تسمع النجوى لديه فمن ... يزره بالقبر ملهوفاً لديه كُفي
قولوا سلام من الله السلام على ... أهل السلام وأهل العلم والشرفِ

فإنَّ للفظة "أهل العلم" الواردة في البيت الأخير دلالة واضحة على وجود مدرسة النجف في هذه الفترة، وانَّ من المحتمل انَّ الشريف الرضي المتوفى عام ٤٠٦ هـ والذي زار مدينة النجف الأشرف عام ٣٩٢ هـ، قد التقى بأعلامها وفقهائها)[2].

أصبح للمدرسة العلمية في النجف الأشرف الوجود الكامل بالمعنى المعروف منذ عهد شيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي رضوان الله تعالى عليه عند هجرته إليها سنة ٤٤٨ هـ، بعد وقوع المحنة المعروفة في بغداد بعد دخول السلاجقة إليها بقيادة أميرهم طغرل بك سنة ٤٤٧ هـ. وكان يوجد قبل هجرته إلى النجف العشرات من العلماء المقيمين فيها، وانّه لهذا السبب، ولطلب جوار أمير المؤمنين عليه السلام، اختار النجف داراً لهجرته، واستقراراً للحوزة المركزية للطائفة الشيعية التي بقيت مستمرَّة إلى وقتنا الحاضر، فأصبحت هي مركز المرجعية الرئيس للشيعة منذ ذلك الوقت.

---

(١) حياة الحيوان الكبرى: ١٤٤/١.

(٢) المفصل في تاريخ النجف الأشرف: ٦٠/٢.

إنَّ ارتحال الشيخ الطوسي إلى النجف الأشرف كان بداية عهد جديد في حياة هذه المدينة المقدسة التي أخذت منذ ذلك العهد تتحول من مدينة ومزار إلى جامعة كبرى ذات دراسة منتظمة. وكان يملي الشيخ دروسه على تلامذته في حلقات علمية، ويتضح هذا الأمر جلياً من خلال كتابه الأمالي.

وقد مرَّت النجف في أطوارها العلمية بحالة من المدِّ والجزر بسبب عوامل عدة أهمها قسوة المناخ وصعوبة العيش فيها كما أوضحنا ذلك آنفاً. وفي القرن السابع الهجري انتقل التدريس إلى مدينة الحلة الفيحاء واستمر لفترة طويلة بوجود علماء كبار من أمثال الشيخ العجلي المتوفى سنة ٥٩٨ هـ والمحقق الحلي المتوفى سنة ٦٧٥ هـ وتلميذه العلاّمة الحلي المتوفى سنة ٧٢٦ هـ رضي الله عنهم.

ومن الجدير بالذكر انَّ النجف وحتى في أوقات جزرها، ظلّت محتفظة بطابعها العلمي بسبب موقعها التاريخي والروحي، وظلَّ فيها من العلماء والفقهاء من يملأ الفراغ. فلا يمكن بأي حال من الأحوال إنكار الرقي العلمي للنجف في العهود التي عاش فيها بعض أكابر العلماء مثل المحقق الكركي المتوفى سنة ٩٤٠ هـ والمقدس الأردبيلي المتوفى سنة ٩٩٢هـ، والشيخ فخرالدين الطريحي المتوفى سنة ١٠٨٥هـ، والمولى الفيض الكاشاني المتوفى سنة ١٠٩١هـ.

انتقل التدريس بعد ذلك إلى مدينة كربلاء المقدسة بعد هجرة الشيخ أحمد بن فهد الأسدي إليها قادماً من الحلة حيث توفي بكربلاء سنة ٨٤١ هـ، وبدأ دور التكامل في الفقه الشيعي وفقاً للطريقة الأصولية بوجود أستاذ العلماء فيها الوحيد البهبهاني قدس سره المتوفى سنة ١٢٠٨هـ.

ولكن بمطلع القرن الثالث عشر الهجري وبانتقال زعيم الطائفة السيد محمد مهدي الطباطبائي المعروف ببحر العلوم قدس سره المتوفى سنة ١٢١٢ هـ من كربلاء المقدسة إلى النجف الأشرف سنة ١١٦٩هـ، والذي أعقبه تلميذه الأول الشيخ جعفر كاشف الغطاء قدس سره المتوفى سنة ١٢٢٨ هـ في التصدي لرئاسة المرجعية، عادت النجف مدرسة الشيعة الكبرى، ودار هجرتهم العلمية حتّى اليوم.

ومما يلفت النظر في هذه الفترة الزمنية التنظيم الذي وضعه السيد محمد مهدي بحر العلوم في إدارة شؤون النجف العامة من خلال اعتماده على بعض العلماء الأعلام وعلى رأسهم الشيخ جعفر كاشف الغطاء والشيخ حسين نجف والشيخ شريف محي الدين. يقول العلاّمة الدكتور محمد بحر العلوم: (ولعل من أهم الخطوات التي مُني بها هذا العصر، وعلى يد زعيم الجامعة النجفية السيد بحر العلوم تنظيمه للقضايا والمشاكل التي تقتضيها طبيعة المجتمع، كما يقتضيها سير الزعامة الدينية في النجف... وكان هذا التقسيم منه لإدارة شؤون النجف العامة يدل على وعي كبير في الذهنية القيادية الدينية، والتي تبرز عصره بطابع يختلف عن العصور السابقة من حيث النضج والوعي)[1].

وقال الشيخ الدكتور عبدالهادي الفضلي عن أهمية المدينة ما يأتي: (تستمد النجف أهميتها في العالم الإسلامي من وجود مرقد الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في تربتها الطاهرة... ومن وجود جامعتها الإسلامية الكبرى... ومن وجود المرجعية الدينية التي تمثل زعامة المسلمين وقيادتهم والدفاع عن مقدساتهم وحقوقهم، ومن مركزها الثقافي الذي يتمثل في مختلف نتاجها العلمي والأدبي... ومن مواقفها السياسية ضد انحراف الحكام والمسؤولين السياسيين، وفي وجه الاستعمار بمختلف أشكاله المباشر وغير المباشر، والفكري وغير الفكري، وتاريخ حركاتها السياسية الجهادية مملوء بالشواهد على ذلك. وأروع مثال يُذكر هنا هو ثورة العشرين ضد الاحتلال البريطاني التي انطلق صوت جهادها من حناجر مراجع النجف وقادتها الدينيين، وحُملت رايته بأيديهم الشريفة ومن هذه المدينة)[2].

ولا يخفى على الجميع المكانة والمنزلة الرفيعة التي يحظى بها مراجعنا العظام في وجدان مقلديهم ومحبيهم من أبناء المجتمع العراقي والإسلامي عموماً، لمواقفهم

(١) موسوعة العتبات المقدسة: ٧٩/٧، بحث الدكتور السيد محمد بحرالعلوم الموسوم (الدراسة وتاريخها في النجف).

(٢) دليل النجف الأشرف: ١٠-١١.

البنّاءة والهادفة لاستمرار وحماية الأمّة الإسلامية على مر القرون، ولا يمكننا بأي حال من الأحوال إغفال دور الشهداء منهم الذين نذروا أنفسهم للعراق، وبتضحياتهم زلزلوا عروش الطغيان، فهم كانوا نماذج قمم في الإيمان والإخلاص والإيثار والصبر والمقاومة والشجاعة والاستماتة في سبيل الله.

قال المفكر الإسلامي آية الله الشيخ محمد مهدي الآصفي: (إنَّ النماذج الإيمانية الفريدة في تاريخ البشرية لا تتكون في الحياة الهادئة الوديعة المترفة، وإنما تتكون في زحام متاعب الحياة، وفي وسط متاعب العمل، وبين الدماء والدموع. ولابد للمسيرة من هذه النماذج الفريدة في الإيمان والثبات، وهذه النماذج يتخذها الله تعالى ويختارها في ظروف المحنة والتداول ﴿ ويتَّخذَ منكُم شُهداء ﴾(آل عمران/١٤٠))[1].

وقد اتضح دور مرجعيتنا الدينية الرشيدة جلياً بعد سقوط النظام البائد، ولاسيما الدور الذي قامت به في رسم ملامح المرحلة الراهنة للعراق، وترسيخ المرتكزات الأساسية للعملية السياسية الجارية على أسس سليمة، والتي تمثلت في موقفها من الاحتلال والانتخابات وتعميق مبادئ السيادة والاستقلال على قاعدة مشاركة الشعب العراقي في تقرير مصيره والحفاظ على هويته الثقافية الإسلامية.

وتكمن الأهمية العظمى لمدينة النجف الأشرف في عصر ظهور قائم آل محمد عليه السلام، الإمام المهدي المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف. حيث ورد في الأحاديث الصحيحة انّه - أرواحنا فداه - سيتخذ الكوفة قاعدة له وعاصمة لدولته كما كانت في عهد جده إمام المتقين عليه السلام في زمن خلافته الراشدة، وانَّ تشكيل حكومة العدل الإلهي العالمية سيملأ الأرض عدلاً وقسطاً بعد أنْ مُلئت جوراً وظلماً، ويعيش الإنسان في مجتمع واحد تنتشر فيه القيم الإلهية والقوانين الاسلامية.

إنَّ ظهور المنقذ والمصلح العالمي وأمل المستضعفين الإمام المهدي عليه السلام في آخر الزمان ووراثته الأرض وسيادته على العالم من القضاء الإلهي الحتمي الذي لا مفرَّ

(١) في رحاب عاشوراء: ٢/٢٨٥.

منه. يقول تعالى في محكم كتابه المجيد: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عبادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾(الأنبياء/١٠٥).

قال العلامة الشيخ علي الكوراني العاملي ما نصه: (الأحاديث حول العراق كثيرة في علامات ظهور الإمام المهدي عليه السلام وحركة ظهوره، ذلك انَّ الله عزَّ وجلَّ قدّر وقضى أنْ يكون العراق عاصمة دولة العدل الإلهي العالمية التي يقيمها الإمام عليه السلام)(١).

ومن مشاهدة ومتابعة الأحداث المتسارعة التي حصلت وتحصل الآن في العراق والمنطقة المحيطة به، يحصل التيقن بقرب انطلاق اليوم الموعود بقيام الإمام المهدي المنتظر بثورته الكبرى بإذن الله تعالى وتمكين المستضعفين من الأرض، قال تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾(القصص/٥).

إنَّ الاعتقاد بظهور المصلح بقية الله في آخر الزمان، مما اتفق وأجمع عليه المسلمون وقد تواترت الأخبار فيه واستفاضت بكثرة رواتها عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله. نذكر منها ما جاء في مسند أحمد بن حنبل عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تقوم الساعة حتى تمتليءُ الأرض ظلماً وعدواناً، قال: ثم يخرج رجل من عترتي أو من أهل بيتي، يملؤها قسطاً وعدلاً، كما مُلئت ظلماً وعدواناً))(٢).

وفي سنن أبي داود السجستاني عن أم سلمة، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((المهدي من عترتي من ولد فاطمة))(٣).

(١) المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ٥١٩.

(٢) المسند: ٣٦/٣.

(٣) سنن أبي داود: ٣١٠/٢.

ومن الأمور اللافتة للنظر انَّ الأحاديث ذكرت انَّ الامام المهدي عليه السلام عند وصوله العراق يدخل النجف أولاً، ثم يتجه إلى مسجد السهلة. فقد ورد في كتاب دلائل الإمامة عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ((كأنّني به قد عبر من وادي السلام إلى مسجد السهلة على فرس مُحجَّل له شمراخ ...))[1].

وفي تفسير العياشي عن أبي حمزة، عن الإمام محمد الباقر عليه السلام قال: ((يا حمزة، كأنّي بقائم أهل بيتي قد علا نجفكم، فإذا علا فوق نجفكم نشر راية رسول الله صلى الله عليه وآله، فإذا نشرها انحطّت عليه ملائكة بدر))[2].

وفي محاورة جرت بين الإمام جعفر الصادق عليه السلام وأحد أصحابه ورد الآتي: (قال المُفضّل: قلتُ: يا سيدي فأين تكون دار المهدي، ومجتمع المؤمنين؟ قال: ((دار ملكه الكوفة، ومجلس حكمه جامعها، وبيت ماله ومقسم غنائم المسلمين مسجد السهلة، وموضع خلواته الذكوات البيض من الغريّين))[3].

---

(١) دلائل الإمامة: ٤٥٨

شمراخ : الغصن الدقيق الذي ينبت في أعلى الغصن الغليظ.

أقول: إنَّ التفسير الأقرب كما نعتقد لهذا الحديث هو انَّ الإمام المهدي عجّل الله فرجه يصل العراق ويدخل النجف الأشرف على متن طائرة، وهي وسيلة الانتقال الأسرع حالياً، وكما هو معروف فانَّ في مقدمة كل طائرة بروز يعمل كمتحسس الكتروني يشبه الشمراخ.

وما يساند هذا التفسير قول الشيخ علي الكوراني العاملي: (وتصف بعض الروايات دخوله إلى العراق جواً بسرب من الطائرات كما في الحديث التالي عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إِلا بِسُلْطَانٍ } ، قال: ((ينزل القائم يوم الرجفة بسبع قباب من نور لا يُعلم في أيها هو، حتى ينزل ظهر الكوفة)). وهذه الرواية بالإضافة إلى ما فيها من جانب إعجازي تدل على أنّ الوضع الأمني يستوجب من الإمام المهدي عليه السلام هذا الإحتياط، فبالإضافة إلى معاداة الوضع العالمي له، لا يكون قد أتم تطهير الساحة الداخلية في العراق). عصر الظهور ١٤٦-١٤٧.

(٢) تفسير العياشي: ١٠٣/١.

(٣) بحار الأنوار: ١١/٥٣.

المرقد العلوي المطهر:

في اليوم الثالث عشر من شهر رجب كانت ولادة سيدنا ومولانا أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم القرشي عليه السلام، وأُمُّه فاطمة بنت أسد بن هاشم، وهي بنت عمٍّ أبي طالب (عبد مناف) وأول هاشمية ولدت هاشمياً. كُنيته أبو الحسن وأشهر ألقابه المرتضى.

قال ابن الصباغ في الفصول المهمة: (وُلد علي بمكة المشرفة بداخل البيت الحرام في يوم الجمعة الثالث عشر من شهر الله الأصم رجب الفرد سنة ثلاثين من عام الفيل قبل الهجرة بثلاث وعشرين سنة، وقيل بخمس وعشرين، وقبل البعث بإثنتي عشرة سنة وقيل بعشر سنين، ولم يولد في البيت الحرام قبله أحد سواه، وهي فضيلة خصّه الله تعالى بها إجلالاً له وإعلاءً لمرتبته وإظهاراً لتكرمته. وكان علي هاشمياً من هاشميّين، وأول من ولده هاشم مرتين)[1].

قال الشاعر السيد الحميري وهو يصف الولادة المباركة:

ولدتهُ في حرم الإلـــه وأمنه ... والبيت حيث فناؤه والمسجدُ
بيضاء طاهرة الثياب كريمة ... طابت وطاب وليدها والمولدُ
في ليلة غابت نحوس نجومها ... وبدت مع القمر المنير الأسعدُ
ما لُفَّ في خِرق القوابل مثلُهُ ... إلا ابن آمـــنة النبي محـــمدُ

وكانت شهادة أمير المؤمنين عليه السلام قبل الفجر ليلة الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة ، وكان عمره الشريف آنذاك ثلاثاً وستين سنة، متأثراً بضربة أشقى الأولين والآخرين ابن ملجم المرادي الخارجي لعنه الله، حين ضربه على رأسه الشريف بسيف مسموم أثناء صلاته في محراب مسجد الكوفة في التاسع عشر من شهر رمضان، فسُمعَ الإمام علي صلوات الله عليه يقول: ((فزتُ ورب الكعبة)). فكان وليد الكعبة في المسجد الحرام وشهيد المحراب في مسجد الكوفة.

---

(١) الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة عليهم السلام: ١/٢٩-٣٠.

وبعد شهادته تولّى غسله وتكفينه ودفنه إبناه الحسن والحسين عليهما السلام، وحملا جثمانه الطاهر مع بقية أهل بيته وأصحابه المخلصين إلى الغري من نجف الكوفة ودفناه هناك بين الذكوات البيض[1]. ووصف موقع هذه الذكوات مؤرخ النجف الشيخ جعفر محبوبه رحمه الله بقوله: (دُفن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بين ربوات ثلاث موجودة حتى اليوم منتشرة عليها دور البلدة المقدسة إحداها في شمال القبر الشريف تُعرف اليوم بجبل الديك، والثانية في جنوبه الشرقي وتُعرف بجبل النور، والثالثة في جنوبه الغربي وعُرفت أخيراً بجبل شرفشاه)[2].

إنَّ دفن الإمام عليه السلام في أرض النجف الأشرف التي تملَّكها بعد أنْ اشتراها من أربابها كان بوصيّة منه. وروي انَّ أمير المؤمنين عليه السلام نظر إلى النجف فقال: ((ما أحسن منظرك، وأطيب قعرك، اللهم اجعل قبري بها))[3].

---

(١) الذكوات: جمع ذكاة. قال المجلسي: (والذكوة في اللغة الجمرة الملتهبة، فيمكن أنْ يكون المراد بالذكوات التلال الصغيرة المحيطة بقبره عليه السلام شبهها لضيائها وتوقدها عند شروق الشمس عليها لما فيها من الدراري المضيئة بالجمرة الملتهبة، ولا يبعد أنْ يكون تصحيف دكاوات جمع دكاء وهو التل الصغير، وفي بعض النسخ الركوات بالراء المهملة فيحتمل أنْ يكون المراد بها غدراناً وحياضاً كانت حوله). بحار الأنوار ٢٣٧/٩٧.

قال الشاعر الدكتور عباس الترجمان عن دُرِّ النجفِ في الأُرجوزة النجفية ٤١:

في نجفَةٍ شُيِّد فـــوق الهضبة ... فالجوُّ صـــافٍ والرياح طيبه
وأرضُهُ الرمـــــلية المشرَّفه ... بالُدرِّ من ربِّ السـماء مُتحفَه
ينقلب الحصى بوادي الشرفِ ... دُرّاً شهيراً باســـمِ دُرِّ النجفِ

وقال الشيخ محمد حسين حرز الدين: (وللربوات البيض الثلاث أثر باقٍ حتى اليوم حول مرقده عليه السلام في مدينة النجف الأشرف القديمة، فالربوة الشمالية تقع في محلة المشراق وتُعرف بجبل الديك، والربوة الجنوبية الشرقية تقع في محلة البراق وتُعرف بجبل النور، والربوة الغربية تقع في محلة العمارة وتُعرف بجبل شرَفشاه). تاريخ النجف الأشرف ٣٣٧/١.

(٢) ماضي النجف وحاضرها: ٢٠/١.

(٣) إرشاد القلوب: ٣٤٧/٢.

وروى السيد ابن طاووس بسنده عن أحمد بن علي المقرئ عن أم كلثوم قالت: (آخر عهد أبي إلى أخويَّ عليهما السلام أنْ قال: ((يا بَنيَّ إذا أنا متُّ فغسّلاني، ثُمَّ نشفاني بالبُردة التي نشّفتم بها رسول الله صلى الله عليه وآله وفاطمة، ثُمَّ حنّطاني، وسجّياني على سريري، ثُمَّ انتظرا حتى إذا ارتفع لكما مُقدّم السرير فاحملا مؤخره)).

قالت: فخرجت أشيّع جنازة أبي، حتى إذا كنا بظهر الغري ركز المُقدّم، فوضعا المؤخر، ثُمَّ برز الحسن بالبُردة التي نُشّف بها رسول الله وفاطمة وأمير المؤمنين، ثُمَّ أخذ المعول فضرب ضربة، فانشق القبر عن ضريح، فإذا هو بساجة مكتوب عليها سطران بالسريانية: ((بسم الله الرحمن الرحيم هذا قبر قَبَرهُ نوح النبي لعليّ وصيّ محمد قبل الطوفان بسبع مائة عام)).

قالت أم كلثوم: فانشق القبر، فلا أدري أنبش سيدي في الأرض، أم أُسري به إلى السماء؟ إذ سمعت ناطقاً لنا بالتعزية: ((أحسن الله لكم العزاء في سيدكم وحجة الله على خلقه))[1].

وأوصى أمير المؤمنين عليه السلام كذلك بأنْ يُخفى قبره لِما كان يعلمه من الحقد والضغينة التي يكنّها له أعدائه من الأمويين والخوارج. جاء في كتاب فرحة الغري انَّ صفوان الجمال قال للإمام جعفر الصادق عليه السلام: (يا بن رسول الله ما منع الأبرار من أهل البيت من إظهار مشهده؟ قال: ((حذراً من بني مروان والخوارج أنْ تحتال في أذاه))[2].

وذكر الحسن بن محمد الديلمي في إرشاد القلوب حول السبب الموجب لإخفاء القبر الشريف الآتي: (وأما السبب الموجب لإخفاء قبره فهو انّه قد تحقّق وعلم ما جرى لأمير المؤمنين عليه السلام من الوقائع العظيمة والحروب الكثيرة زمان النبي صلى الله عليه وآله وبعده، وأوجب ذلك حقد المنافقين المارقين عليه حتّى ابن ملجم لعنه الله

(١) فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين علي عليه السلام: ١٢٠-١٢١.

(٢) فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين علي عليه السلام: ٢٢٦.

لما أُخذ ليُقتل قال للحسن عليه السلام: إنّي أريد أن أسارّك بكلمة يا ابن رسول الله، فأبى الحسن عليه السلام وقال: ((انّه يريد أنْ يعضّ أُذني))، فقال ابن ملجم لعنه الله: والله لو أمكنني منها لأخذتها من صماخه. فإذا كان هذا فعال هذا الكافر وحقده إلى هذه الغاية، وهو على تلك الحال وقد أُتي به للقتل، فكيف يكون حال معاوية وأصحابه وبني أمية والدولة لهم والمُلك بيدهم، وكانوا يبالغون في إطفاء نور أهل البيت وإخفاء آثارهم، فلهذا السبب أوصى عليه السلام أنْ يُدفن سراً خوفاً من بني أمية وأعوانهم، والخوارج وأمثالهم أنْ يتهجموا على قبره الشريف لو كان ظاهراً)[1].

وقال الدميري في هذا الصدد ما نصه: (وعلي رضي الله تعالى عنه أوّل إمام خفي قبره، قيل إنَّ علياً رضي الله عنه أوصى أنْ يُخفى قبره لعلمه أنَّ الأمر يصير إلى بني أمية فلم يأمن أنْ يُمثّلوا بقبره. وقد أُختلف في قبره فقيل في زاوية الجامع بالكوفة، وقيل في قصر الإمارة بها، وقيل بالبقيع وهو بعيد، وقيل إنّه بالنجف في المشهد الذي يُزار اليوم)[2].

وذكر بن قُولَوَيه القمي بسنده عن صفوان الجمال، قال: (كنت وعامر بن عبدالله بن جذاعة الأزدي عند أبي عبدالله عليه السلام، فقال له عامر: إنَّ الناس يزعمون أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام دُفنَ بالرحبة، فقال: لا، قال: فأين دُفن، قال: ((انّه لّما مات حَمَله الحسن عليه السلام فأتى به ظهر الكوفة قريباً من النجف، يسرةً عن الغري، يمنةً عن الحيرة، فدُفن بين ذكوات بيض))، قال: فلما كان بعد ذهبتُ إلى الموضع فتوهمت موضعاً منه، ثم أتيته فأخبرته، فقال لي: أصبت رحمك الله، ثلاث مرات)[3].

إنَّ الإمام جعفر الصادق عليه السلام كان يهدف من خلال أحاديثه تشخيص موضع قبر الإمام علي عليه السلام بالضبط بالنسبة لشيعته وحثّهم على زيارته لأنّه يعلم انَّ من سيأتي

(١) إرشاد القلوب: ٣٤٦/٢.

(٢) حياة الحيوان الكبرى: ٨٢/١.

(٣) كامل الزيارات: ٣٤.

من بعد ذلك من أتباع الخط الأموي من يُشكّك في صحة القبر المقدّس حقداً وبغضاً لمحمد وآل محمد عليهم السلام.

إنَّ الغشاوة عند بعض المسلمين تدفعهم للتشكيك بصحة دفن الإمام عليه السلام في مكانه المقدّس بالنجف الأشرف، وقديماً ردَّ عليهم عبدالحميد بن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة قائلاً: (وقبره بالغَرِيّ. وما يدّعيه أصحاب الحديث - من الاختلاف في قبره، وأنّه حُمِل إلى المدينة، أو أنّه دُفن في رحبة الجامع، أو عند باب قصر الإمارة، أو نَدَّ البعير الذي حُمِل عليه فأخذته الأعراب - باطل كلّه، لا حقيقة له، وأولاده أعرفُ بقبره، وأولاد كل الناس أعرفُ بقبور آبائهم من الأجانب، وهذا القبر الذي زاره بنوه لما قَدِموا العراق، منهم جعفر بن محمد عليه السلام وغيرُه من أكابرهم وأعيانهم)[1].

وقال العلامة ابن طاووس في فرحة الغري حول هذا الموضوع ما نصه: (ولا شك أنَّ عترته وشيعته متفقون على انَّ هذا موضع قبره، لا يرتابون فيه أصلاً، ويرون عنده آثاراً تدل على صدق قولهم، وهي كالحجّة على المُنكر المحاول للتعطيل. وأعجبُ الأشياء، أنّه لو وقف إنسان على قبرٍ مجهولٍ وقال: هذا قبر أبي، يُرجع إلى قوله، وكان مقبولاً، لا ارتياب فيه عند سامعه، ويقول أهل بيته المعظّمون الأئمة: إنَّ هذا قبر والدنا، ولا يُقبل منهم؟ ويكون الأجانب الأباعد المناوؤن أعلَمُ به، إنَّ هذا من غريب القول)[2].

ومن المواضع التاريخية المشهورة في النجف الأشرف مسجد الحنانة الذي يبعد عن سور مدينة النجف القديمة قرابة ألف متر، ويقع على مقربةٍ منه مرقد كميل بن زياد النخعي رضي الله عنه، وهو الموضع القديم المعروف بالثوية[3]. وورد في بحار

(١) شرح نهج البلاغة: ١/١٠-١١.

(٢) فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين علي عليه السلام: ٨١-٨٢.

(٣) الثويّة: موضع بين الكوفة والنجف يبعد عن المرقد العلوي الشريف بمسافة ألف وخمسمائة متر. دُفن به عدد كبير من الصحابة والتابعين ووجوه الكوفيين، وقد اندرست قبورهم سوى قبر=

الأنوار ما يأتي: (وقال الجزري فيه ذكر الثوية هي بضم الثاء وفتح الواو وتشديد الياء ويقال بفتح الثاء وكسر الواو موضع بالكوفة به قبر أبي موسى الأشعري والمغيرة بن شعبة)[1].

وفي الحنانة تم إنزال سبايا عيالات الحسين عليه السلام بعد شهادته في أرض الطف من كربلاء المقدسة في العاشر من شهر محرم الحرام سنة ٦١ هـ، ثم أُرسِل السبي ورؤوس الشهداء إلى والي الكوفة عبيدالله بن زياد لعنه الله.

واعتماداً على الوارد في الأخبار فإنّ مسجد الحنانة كان يُعرف قديماً بموضع القائم المائل. أخرج الشيخ الطوسي في أماليهِ عن عبدالله بن مسكان انّه سأل الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن القائم المائل في طريق الغري، فقال: ((نعم، إنَّه لّما جاوز سرير أمير المؤمنين علي عليه السلام، انحنى أسفاً وحزناً على أمير المؤمنين عليه السلام، وكذلك سرير إبرهة لّما دخل عليه عبدالمطلب انحنى ومال))[2]. وقال العلاّمة المجلسي: (والقائم: كأنه بناء أو أسطوانة بقرب الطريق)[3].

عمارة المرقد العلوي المطهر:

بعد دفن أمير المؤمنين عليه السلام في موضعه الحالي في النجف الأشرف، تم إخفاء قبره بوصية منه كما ذكرنا آنفاً. وكان مرقد الامام صلوات الله عليه موضع عناية الأئمة عليهم السلام والخواص من شيعته إلى عهد الإمام جعفر الصادق عليه السلام الذي أمر بإظهار القبر بعد زوال الأعذار بانهيار دولة بني أمية، فتعاهده الشيعة والمحبون بالزيارة والتعمير.

=كميل بن زياد النخعي رضي الله عنه الذي قتله الحجاج بن يوسف الثقفي سنة ٨٢هـ لكونه من خواص أمير المؤمنين عليه السلام. للمرقد صحن واسع أقيمت عند سوره مقابر خاصة لبعض العوائل. ومن أشهر المدفونين حديثاً بهذا الموضع عميد المنبر الحسيني الشيخ الدكتور أحمد الوائلي رحمه الله المتوفى سنة ٢٠٠٣، والمرحوم الشاعر الدكتور عباس الترجمان المتوفى سنة ٢٠٠٨.

(١) بحار الأنوار: ٢٣٧/٩٧.

(٢) الأمالي: ٦٨٢.

(٣) بحار الأنوار: ٢٣٧/٩٧.

قال الشيخ جعفر محبوبة ما نصه: (لم يزل القبر الشريف سراً مكتوماً وكنزاً مصوناً لم يطّلع عليه غيرُ أولاد الإمام عليه السلام والخواص من شيعتهم وبقي على هذا الحال من حين دفنه سنة أربعين من الهجرة حتى انقضى دور السلطة الأموية وانطوت صحائف أعمالها بما فيها من فضائح ومخازٍ مما ارتكبوه من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، فمذ قامت الدولة العباسية ظهر السر المكتوم وعُرف موضع الكنز المصون وذهب ما كان يحذره العلويون من أعدائهم وشانئيهم فدلّوا عليه بعض شيعتهم وجعلوا يترددون إليه ويتعاهدونه ليلاً ونهاراً زرافات ووحداناً وهو لم يكن إذ ذاك إلا أكمة ماثلة أو ربوة قائمة...)[1].

وكان آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد حيث تولى الملك سنة ١٢٧ هـ. وبعد أنْ قدم أبو العباس السفاح وإخوته وأهل بيته الكوفة في المحرم سنة ١٣٢ هـ، وجّهَ أبو العباس عمّه عبدالله بن علي لقتال مروان، وبعد معارك عدة قُتل مروان سنة ١٣٢هـ، وبذلك انتهى عهد الدولة الأموية وجاء عهد الدولة العباسية عندما بويع عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس، وكنيته أبو العباس، في آخر ذي الحجة سنة ١٣٢هـ.

ومن المعلوم انَّ بني العباس عندما أعلنوا ثورتهم توشحوا بوشاح بني هاشم وقامت دعوتهم على الثار لأهل البيت عليهم السلام، ولكن تبين كذب هؤلاء بعد أنْ توطّد ملكهم وقويت شوكتهم، فكان ملوك بني العباس أشد قسوةً وتنكيلاً وتشريداً وتقتيلاً بأهل البيت عليهم السلام وشيعتهم الكرام من ملوك بني أمية. وقام المنصور بدس السم للإمام جعفر الصادق عليه السلام فذهب إلى جوار ربه سنة ١٤٨هـ، وكانت أيامهم ولا كأيام الأمويين، حتى قال أحد شعراء ذلك الوقت:

تالله مافعلت أمية فيهم معشار مافعلت بنو العباس

(١) ماضي النجف وحاضرها: ٣٩/١.

وكان الإمام جعفر الصادق عليه السلام قد قَدِم إلى الكوفة في سنة ١٣٢هـ بعد نهاية الدولة الأموية، ويقرب إلى اليقين عندنا أنّه بنى دكّة على القبر العلوي المقدس في هذه السنة عندما زار مرقد جده أمير المؤمنين عليه السلام في النجف الأشرف. ويؤيد ذلك ما رواه إسحاق بن جرير عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام، قال: ((إنّي لّما كنت بالحيرة عند أبي العباس، كنت آتي قبر أمير المؤمنين عليه السلام ليلاً، وهو بناحية نجف الحيرة، إلى جانب غريّ النعمان، فأصلّي عنده صلاة الليل وأنصرف قبل الفجر))[1].

وقد تكررت زيارات الامام عليه السلام للمرقد المقدس، وذُكرت تفاصيلها في الكتاب النفيس "فرحة الغري". وفي حدود سنة ١٤٣هـ، في زمن خلافة المنصور العباسي (١٣٦-١٥٨هـ)، اثر استدعاء الخليفة له ولقائه به في الحيرة، قام الإمام الصادق عليه السلام بإصلاح دكّة القبر. وهذا يعني انَّ بناء القبر كان سنة ١٣٢هـ في زمن السفاح وإصلاحه كان سنة ١٤٣هـ في عهد المنصور. ولا نستبعد أنْ يكون الإمام عليه السلام كان يصلح القبر كلما أتى للزيارة، ولكن فيما أحسب فإنَّ رواية صفوان الجمّال هي الوحيدة التي أشارت إلى إصلاح القبر.

إنَّ رواية الجمّال لها أهمية كبيرة في توثيق ما ذهبنا إليه، وقد ذكرها السيد ابن طاووس بسنده عن هشام بن سالم، قال: (حدّثني صفوان الجمّال، قال: لّما وافيت مع جعفر الصادق عليه السلام الكوفة يُريد أبا جعفر المنصور، قال لي: ((يا صفوان، أنخ الراحلة، فهذا قبر جدّي أمير المؤمنين))، فأنختها، ثُمَّ نزل، فاغتسل وغيّر ثوبه، وتحفّى، وقال لي: إفعل مثل ما أفعل. ثم أخذ نحو الذكوات ... قلتُ: يا سيدي أتأذن لي أنْ أُخبر أصحابنا من أهل الكوفة به؟ قال: نعم، وأعطاني دراهم، وأصلحتُ القبر)[2].

(١) فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين علي عليه السلام: ١٩٤.

(٢) فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين علي عليه السلام: ٢٢٩، ٢٣٢.

العمارات الرئيسة للمرقد العلوي المطهر:

بعد زوال حكم بني أمية، وإظهار الإمام جعفر الصادق عليه السلام للقبر المطهر وتشييده، توالت العمارات والإصلاحات للمرقد العلوي المقدس عبر القرون المتعاقبة. قال السيد عبدالكريم بن طاووس: (ولو أخذنا في ذكر من زارهُ وعَمَرَهُ، وتقرّب إلى الله تعالى بذلك لأطلنا فيه، من الملوك، والعظماء، والوزراء، والأدباء، والقضاة، والفقهاء، والعلماء، والمحدّثين النبلاء)[1].

إختلف المؤرخون في عدد العمارات الرئيسة التي أقيمت على المرقد العلوي من قبل بعض الحكام. جاء في دليل العتبة العلوية المقدسة ما نصه: (وخلال تاريخ المرقد العلوي الطاهر الطويل، قامت عمارات عدة عليه على تعاقب الدهور والأجيال، اختلف المؤرخون في عددها، فمنهم من ذكر أنها سبعُ عمارات ومنهم من عدها ست عمارات، ومنهم من قال أنها خمس عمارات، والذي نرجحه ونعتمده في هذا المجال هو أنَّ عدد العمارات المقامة على قبر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كانت ستاً، لأنَّ العمارات الإضافية التي احتسبها بعض المؤرخين كانت عبارة عن مجرد إصلاحات أو إضافات على العمارات التي سبقتها)[2].

برأينا المستند إلى الأدلة التاريخية فإنَّ عدد العمارات الرئيسة للمرقد العلوي المقدس كان سبعاً، وهذه العمائر تبعاً لتسلسلها الزمني هي:

العمارة الأولى– عمارة هارون العباسي:

يقع المرقد العلوي المطهر بين ربوات ثلاث. وهو مكشوف للعواصف الرملية التي تهب من الصحراء الغربية المجاورة له. فكانت الرمال تغطي دكّة القبر الشريف التي

(١) فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين علي عليه السلام: ٢٩٧.

(٢) دليل العتبة العلوية المقدسة: ٣١.

أقامها الإمام جعفر الصادق عليه السلام سنة ١٣٢هـ فيتحول القبر إلى أكمة، وبقي الأمر كذلك إلى عهد الخليفة هارون العباسي.

ورد في كتب عدة إشارة إلى حادثة الصيد التاريخية لخليفة بني العباس هارون في منطقة النجف، والتي كانت هي السبب في أول عماره تُشاد على المرقد المقدس. ومما يلفت النظر وجود الاختلاف في تاريخ حدوث هذه العمارة في كتب المؤرخين، فالشيخ جعفر محبوبه يقول انّها كانت في حدود سنة ١٧٠هـ بينما ذكر الشيخ محمد حسين حرزالدين انَّ تاريخ بناء هذه العمارة يعود إلى سنة ١٧٥ هـ . ومما يجدر ذكره انَّ هارون العباسي قد أقام الحج بالناس في كلتا السنتين ومرَّ بالكوفة والنجف كعادة الحجيج وهم في طريقهم إلى بيت الله الحرام.

ذكر الإمام الفقيه محمد بن النعمان العكبري الملقّب بالشيخ المفيد قدس سره المتوفى سنة ٤١٣هـ في كتابه الإرشاد هذه القصة بقوله: (وروى محمد بن زكريا، قال: حدثنا عبدالله بن محمد عن ابن عائشة، قال: حدّثني عبدالله بن حازم، قال: خرجنا يوماً مع الرشيد من الكوفة نتصيّد، فصرنا إلى ناحية الغريّين والثويّة فرأينا ظباء، فأرسلنا عليها الصقور والكلاب فجاولتها ساعة، ثم لجأت الظباء إلى أكمة فوقفت عليها فسقطت الصقور ناحية ورجعت الكلاب، فتعجب الرشيد من ذلك، ثمَّ إنَّ الظباء هبطت من الأكمة فهبطت الصقور والكلاب فرجعت الظباء إلى الأكمة فتراجعت عنها الصقور والكلاب، ففعلت ذلك ثلاثاً.

فقال الرشيد هارون: اركضوا فمن لقيتموه فأتوني به، فأتيناه بشيخ من بني أسد، فقال له هارون:أخبرني ما هذه الأكمة؟ قال: إنْ جعلتَ لي الأمان أخبرتُك. قال: لك عهد الله وميثاقه ألاّ أهيجك ولا أوذيك. فقال: حدثني أبي عن آبائه أنهم كانوا يقولون إنَّ في هذه الأكمة قبر عليّ بن أبي طالب عليه السلام، جعله الله حرماً لا يأوي إليه شيء إلاّ أمن. فنزل هارون فدعا بماء فتوضأ وصلّى عند الأكمة وتمرّغ عليها وجعل يبكي ثم انصرفنا)[1].

(١) الإرشاد: ٢٧.

وقال السيد ابن طاووس حول العمارة الأولى للمرقد المطهر: (وفيما ذكر ابن طحّال: إنَّ الرشيد بَنى عليه بنياناً بآجر أبيض أصغر من هذا الضريح اليوم، من كلّ جانب بذراع، ولّما كشفنا الضريح الشريف وجدناه مبنياً، عليه تربةً وجصّاً، وأمر الرشيد أنْ يُبنى عليه قُبّة، فبُنيت من طين أحمر، وطرحَ على رأسها جرّة خضراء، وهي في الخزانة إلى اليوم)[1].

وقد ورد في هامش كتاب فرحة الغري بتحقيق الشيخ محمد مهدي نجف انّه في النسخة (ط) جاءت الكلمة "حِبْرة"، وبرأينا فإنَّ عبارة "وطرحَ على رأسها حِبْرة خضراء" هي الأصح والباقي هو تصحيف من قبل النسّاخ لأنّه لا يوجد أي معنى لوضع جَرّة خضراء على عمارة المرقد.

وقد شكّك الدكتور صلاح الفرطوسي بطبيعة هذه العمارة التي نُسبت لهارون العباسي، وشرح رأيه بها فقال: (...فهو وإنْ كان يحذر من العلويين ويتمنى استئصالهم، فإنّهُ في أعماقه يحفظ للإمام مكانته، ويقدّره التقدير الذي يستحقه، فليس بكثير عليه أنْ يقوم بزيارة قبره عليه السلام، لتحقيق أمرين، أولهما: توثيق ذلك الصلح بينه وبين العلويين، وثانيهما: أنْ يُظهر لأهل الكوفة خاصةً مدى محبَّته لأمير المؤمنين وتعلُّقه به، فزاره، ثم أمر بإصلاح القبر المقدس، وقد لا يعدو الإصلاح غير إزاحة التراب الذي تراكم على القبر حتى أصبح ربوة، أو كثيباً من الرمل، وأمر ببناء دكّة كبيرة عليه)[2].

ومن اللافت للنظر انَّ الشيخ الدميري نقل عن ابن خلّكان ما يشير إلى انَّ هارون العباسي قد وضع أساس من الحجارة على القبر الشريف لا غير، قال: (فأمَرَ الرشيد أن يُحجّر الموضع فكان أول أساس وضع فيه ثم تزايدت الأبنية فيه في أيام السامانية وبني حمدان، وتفاقم في أيام الديلم، أي أيام بني بويه)[3].

---

(١) فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين علي عليه السلام: ٢٧٣-٢٧٤.

(٢) مرقد وضريح أمير المؤمنين عليه السلام: ١٣٧.

(٣) حياة الحيوان الكبرى: ٣٥١/٢.

إنَّ ما ذكره الدميري غير دقيق، لأنَّ أول من وضع أساساً للقبر الشريف وبنى دكّة له هو الإمام جعفر الصادق عليه السلام في سنة ١٣٢هـ على الأرجح. وإذا فرضنا جدلاً انَّ هارون لم يقم بما نُسب له، فمن الذي أقام العمارة الأولى للضريح التي هدمها المتوكل العباسي. فهل أقيمت من قبل شخص آخر لم تذكره مصادر التاريخ؟ أم انَّ الهدم كان لدكّة كبيرة وليس لبناء ذي قبة؟ إنَّ هذا الإشكال يحتاج إلى مزيد من البحث للوقوف على الحقيقة.

وعلى أي حال فقد بقيت العمارة الأولى قائمة في زمن الأمين والمأمون والمعتصم والواثق، ووجد شيعة أهل البيت فسحة في زيارة إمامهم صلوات الله عليه، ولكن ما إنْ تولّى المتوكل لعنه الله خلافة بني العباس سنة ٢٣٢هـ، حتى قام بهدم قبري الإمامين علي والحسين عليهما السلام في سنة ٢٣٦هـ ومنع الشيعة من زيارتهما، وبذلك تم تخريب العمارة الأولى للمرقد التي تحولت إلى حجارة.

وقد أشار أحد الشعراء إلى هدم قبر الإمام الحسين الشهيد عليه السلام بقوله:

تالله إن كانت أمية قد أتت قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله هذا لعمرك قبره مهدوما
أسفوا على ألاّ يكونوا شاركوا في قتله فتتبعوه رميما

ولكن بعد هلاك المتوكل سنة ٢٤٧هـ ومبايعة ولده المنتصر بالخلافة خفَّ التهديد والتضييق على العلويين وشيعتهم، فنالوا شيئاً من الحرية في زيارة قبر أمير المؤمنين عليه السلام. ذكر المسعودي في مروجِهِ عن صنيع المنتصر بآل أبي طالب الآتي: (وكان آل أبي طالب قبل خلافته في محنة عظيمة، وخوف على دمائهم، قد مُنعوا زيارة قبر الحسين والغريّ من أرض الكوفة، وكذلك مُنع غيرهم من شيعتهم حضور هذه المشاهد، وكان الأمر بذلك من المتوكل سنة ست وثلاثين ومائتين... ولم تزل الأمور على ما ذكرنا إلى أنْ أُستخلفَ المنتصر، فأمن الناس، وتقدّم بالكف عن آل ابي طالب، وترك البحث عن أخبارهم، وأنْ لا يمنع أحد زيارة الحيرة لقبر الحسين رضي الله تعالى عنه، ولا قبر غيره من آل ابي طالب، وأمر برد فدَكَ إلى ولد الحسن

والحسين، وأطلق أوقاف آل ابي طالب، وترك التعرض لشيعتهم ودَفَعَ الأذى عنهم)[١].

ومن الاطلاع على الروايات التاريخية يتبين انّه لم يتم إعادة البناء المهدّم رغم الانفراج الذي حدث بالسماح بالزيارة، بل تم رصف الحجارة حول القبر الشريف، وما يؤيّد ذلك الرواية المهمة التي ذكرها العلامة ابن طاووس في فرحته بسنده عن محمد بن علي بن دُحيم الشيباني، قال: (مضيتُ أنا ووالدي علي بن دُحيم، وعمّي حسين بن دُحيم، وأنا صبيٌّ صغير سنة نيف وستين ومائتين، ومعنا جماعة متخفّين إلى الغري لزيارة قبر مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، فلمّا جئنا إلى القبر وكان يومئذ قبر حوله حجارة سند، ولا بناء عنده، وليس في طريقه غير قائم الغري). وعلّق المحقق محمد مهدي نجف حول الحجارة في هامش الصفحة قائلاً: كذا في النسخ المعتمدة، والذي يغلب على الظن انّهُ تصحيف لكلمة "حجارة سود"[٢]. ونقل هذه الرواية كاملة العلاّمة المجلسي في بحار الأنوار، إذ وردت هذه العبارة في روايته "فلمّا جئنا إلى القبر وكان يومئذ حول قبره حجارة سود ولا بناء حوله عنده"[٣].

يتبين من هذه الرواية المهمة انَّ مضايقة العباسيين للعلويين وشيعتهم قد عادت بعد وفاة الخليفة المنتصر في سنة ٢٤٨هـ، وكانت خلافته ستة أشهر. حيث نقرأ أنهم ذهبوا إلى زيارة أمير المؤمنين وهم متخفون عن أنظار أزلام السلطة، وانَّ الشيعة لم يستطيعوا إعادة بناء المرقد المهدّم، فكان كما رأوهُ قبراً محاطاً بحجارة سود، ولم يشاهدوا أي بناء في النجف غير القائم. علماً انَّ هذه الواقعة حدثت في زمن خلافة المعتمد العباسي (٢٥٦-٢٧٩هـ).

ولقد بقي حال المرقد المطهر بهذه الهيئة إلى أنْ وقعت حادثة نبش المرقد الشهيرة في حدود سنة ٢٧٣هـ من قبل شخصية عباسية اسمه داود. وعلى أثر الكرامة

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر: ١٤٩/٤.

(٢) فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين علي عليه السلام: ٣٠٧-٣٠٨.

(٣) بحار الأنوار: ٣١٥/٤٢.

الباهرة التي ظهرت لمولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه، تاب هذا الشخص من عمله وصنع صندوقاً وضعه على القبر الشريف، عُرف بصندوق داود العباسي. وبسبب التشابه في الاسم توَهَّم المؤرخون واعتقدوا انَّ هذا الشخص هو داود بن علي العباسي المتوفى سنة ١٣٣هـ، الذي كان والي الكوفة في أيام ابن أخيه أبو العباس السفاح أول خلفاء بني العباس.

ومن الجدير بالذكر انَّ الدكتور صلاح الفرطوسي قد أشار إلى هذا الأمر وأزال الالتباس عنه، ونعتقد انَّ رأيه هو الصواب، إذ شرح رأيه في حقيقة صاحب هذا الصندوق فقال: (ويبدو أنَّ الصندوق الذي وضعه داود العباسي على قبر الامام وَهَمَ في حكايته كثير من الكتاب، وهي تحتاج إلى فضل تأمّل أيضاً، إذ تحوَّل صاحبه من داود العبّاسي أحد الشخصيات العبّاسية التي كانت تسكن في الكوفة سنة ٢٧٣هـ/٨٨٦ م إلى داود بن علي العباسي عم السفاح والمنصور المتوفى سنة ١٣٣ هـ/٧٥١ م ... إذ إنَّ الصُّندوق لم يأمر بوضعه داود بن علي عم السفاح والمنصور، كما أنّه لم يأمر بنبش القبر ولا علاقة له بأمره من قريب أو بعيد، وإنّما الذي أمر بنبشه شخصية عبّاسية أخرى اسمه داود من شخصيات القرن الثالث الهجري كان في الكوفة سنة٢٧٣هـ/٨٨٦ م)[1].

إنَّ أصل الخبر ورد في كتاب تهذيب الأحكام ٦/٨٨-٨٩ للشيخ الطوسي. وكان العلاّمة السيد عبدالكريم بن طاووس قد نقل الرواية حرفياً عن التهذيب ووردت في الباب الخامس عشر من فرحتِه المتضمن بعض ما ظهر عند الضريح المقدس مما هو كالبرهان على المُنكر من الكرامات، قائلاً: (أخبرني عمّي السعيد رضي الدين علي بن موسى بن طاووس، والفقيه نجم الدين أبو القاسم بن سعيد، والفقيه المقتدى بقية المشيخة نجيب الدين يحيى بن سعيد، أدام الله بركتهم، كلهم عن الفقيه محمد بن عبدالله بن زهرة الحسيني، عن محمد بن الحسن العلوي الحسيني الساكن بمشهد الكاظم عليه السلام، عن القطب الراوندي، عن محمد بن علي بن الحسن الحلي، عن

(١) مرقد وضريح أمير المؤمنين عليه السلام: ١٥٤، ١٦١.

الطوسي - ونقلته من خطه حرفاً حرفاً - عن المفيد محمد بن محمد بن النعمان، عن محمد بن احمد بن داود، عن أبي الحسين محمد بن تمّام الكوفي، قال: حدثنا أبو الحسن علي بن الحسن بن الحجاج من حفظه، قال: كنّا جلوساً في مجلس ابن عمّي أبي عبدالله محمد بن عمران بن الحجاج، وفيه جماعة من أهل الكوفة من المشايخ، وفيمن حضر العباس بن أحمد العباسي، وكانوا قد حضروا عند ابن عمّي يُهنئونه بالسلامة، لأنّه حضر وقت سقوط سقيفة سيدي أبي عبدالله الحسين بن علي عليه السلام في ذي الحجة من سنة ثلاث وسبعين ومائتين، فبينا هُم قعود يتحدثون، إذ حضر المجلس إسماعيل بن عيسى العبّاسي، فلمّا نظرت الجماعة إليه أحجمت عمّا كانت فيه، وأطال إسماعيل الجلوس، فلمّا نظر إليهم، قال لهم: يا أصحابنا أعزّكم الله، لعلّي قطعت عنكم حديثكم بمجيئي؟ قال أبو الحسن علي بن يحيى السليماني – وكان شيخ الجماعة ومقدّماً فيهم -: لا والله يا أباعبدالله أعزّك الله، ما أمسكنا لحالٍ من الأحوال.

فقال لهم: يا أصحابنا إعلموا أنَّ الله عزَّ وجل مُسائلي عمّا أقول لكم، وما أعتقده من المذهب، حتى حلف بعتق جواريه ومماليكه وحبس دوابّه إنّه ما يعتقد إلاّ ولاية علي بن ابي طالب والسادة الأئمة عليهم السلام، وعدّهم واحداً واحداً، وساق الحديث.

فانبسط إليه أصحابنا، وسألهم وسألوه، ثُمَّ قال لهم: رجعنا يوم الجمعة من الصلاة من المسجد الجامع مع عمّي داود، فلما كان قبل منازلنا وقبل منزله وقد خلا الطريق قال لنا: أينما كنتم قبل أنْ تغرب الشمس فصيروا إليَّ، ولا يكون أحد منكم على حال فيتخلف - لأنَّهُ كان جمرة بني هاشم - فصرنا إليه آخر النهار وهو جالس ينتظرنا، فقال: صيحوا بفلان وفلان من الفعلة، فجاءه رجلان معهما آلتهما، والتفت إلينا فقال: اجتمعوا كلّكم فاركبوا في وقتكم هذا وخذوا معكم الجمل - غلاماً كان له أسود يُعرف بالجمل، وكان لو حمل هذا الغلام على سَكرِ دجلة لسَكَرها من

شدته وبأسه - وامضوا إلى هذا القبر الذي قد أفتتن به الناس، ويقولون إنّهُ قبر عليّ، حتى تنبشوه، وتجيئوني بأقصى ما فيه.

فمضينا إلى الموضع، فقلنا: دونكم وما أمر به، فحفر الحفّارون وهم يقولون لا حول ولا قوة إلاّ بالله في أنفسهم، ونحن في ناحية، حتى نزلوا خمسة أذرع، فلمّا بلغوا إلى الصلابة قال الحفّارون: قد بلغنا إلى موضع صلب، وليس نقوى بنقره، فأنزلوا الحبشي، فأخذ المنقار فضرب ضربة سمعنا لها طنيناً شديداً في البَر، ثُمَّ ضرب ثانيةً، فسمعنا طنيناً أشدّ من ذلك، ثم ضرب الثالثة فسمعنا طنيناً أشدّ ممّا تقدّم، ثُمَّ صاح الغلام صيحةً، فقمنا فأشرفنا عليه وقلنا للذين كانوا معه: سلوه ما له؟ فلم يُجبهم وهو يستغيث، فشدّوه وأخرجوه بالحبل، فإذا على يده من أطراف أصابعه إلى مرفقه دمٌ وهو يستغيث لا يُكلّمنا، ولا يُحسن جواباً، فحملناه على البغل ورجعنا طائرين، ولم يزل لحم الغلام ينتثر من عضده وجنبه وسائر شقّه الأيمن، حتى انتهينا إلى عمّي، فقال أيش وراءكم؟ فقلنا: ما ترى! وحدثناه بالصورة، فالتفت إلى القبلة وتاب ممّا هو عليه، ورجع عن مذهبه، وتولّى وتبرّأ، وركب بعد ذلك في الليل إلى علي بن مصعب بن جابر، فسأله أنْ يضع على القبر صندوقاً، ولم يخبره بشيء مما جرى، ووجَّهَ بمن طمَّ الموضع، وعَمّرَ الصندوق عليه، ومات الغلام الأسود من وقته)[1].

ومن الجدير بالذكر اننا عندما نراجع رواية شيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي التي نقلها العلامة ابن طاووس لأجل التحقق نلاحظ انّه لم يذكر بأنَّ الشخص المعني هو داود بن علي العباسي عم السفّاح وإنما داود عم اسماعيل بن عيسى العباسي صاحب الرواية. فضلاً عن ذلك فإنَّ التاريخ الذي تضمنته عبارة "لأنه حضر وقت سقوط سقيفة سيدي أبي عبدالله الحسين بن علي عليه السلام في ذي الحجة من سنة ثلاث وسبعين ومائتين"، التي وردت في صدر الرواية يمدنا بمعلومة غاية في الأهمية، وهي انَّ حادثة نبش القبر وإقامة الصندوق بعدها على القبر قد وقعت في سنة ٢٧٣هـ في

(١) فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين علي عليه السلام: ٣٠٠-٣٠٤.

أيام الخليفة المعتمد (٢٥٦-٢٧٩هـ) وليس في زمن الخليفة السفاح (١٣٢-١٣٦هـ). ولو جرى تمحيص الرواية قليلاً من قبل المؤرخون لما وقعوا بهذا الوهم الكبير.

وعلى أي حال بقي هذا الصندوق على القبر الشريف لمدة عشر سنوات إلى حين قيام العمارة الثانية في سنة ٢٨٣هـ. فقد جاء في كتاب فرحة الغري قول أبو الحسن بن الحجاج: (رأينا هذا الصندوق الذي هذا حديثه لطيفاً، وذلك قبل أنْ يُبنى عليه الحائط الذي بناه الحسن بن زيد)[1]. ونستفاد من الرواية السابقة بأنَّ الصندوق بقيَ على القبر العلوي المقدس عند إنشاء هذه العمارة المهمة ولم يُزل عنه. ولكن ننوه الى الخطأ الذي ورد في الرواية، فهي نسبت العمارة إلى الحسن بن زيد الداعي ولكن الصحيح انَّ صاحبها هو أخيه محمد بن زيد الداعي كما سيتضح لنا من روايات كثيرة أوردها صاحب الفرحة وغيره.

العمارة الثانية– عمارة الملك محمد بن زيد الداعي الحسني:

يُعد محمد بن زيد الداعي الحسني، ملك طبرستان، أول من بنى مشهداً على القبر العلوي المطهر، حيث قام في سنة ٢٨٣هـ ببناء قبّة وحائط وحصن فيه سبعون طاقاً لإيواء الزوّار والمجاورين. قال ابن طاووس ما نصه: (وهو بنى المشهد الشريف الغروي أيام المعتضد، وقُتل في وقعة أصحاب السلطان، وقُبر بجرجان، كذا ذكره في المشجرة)[2].

إنَّ هذه العمارة قد أخبر بها إمامنا جعفر الصادق عليه السلام صاحبه فرات بن الأحنف في إحدى زياراته للنجف، وهذه البشارة تقع ضمن معاجزه الغيبية، حيث قال: ((ها هنا قبر أمير المؤمنين صلوات الله عليه، أما إنَّه لا تذهب الأيام حتى يبعث الله رجلاً ممتحناً في نفسه بالقتل يبني عليه حصناً فيه سبعون طاقاً)). قال حبيب بن

(١) فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين علي عليه السلام: ٣٠٤.

(٢) فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين علي عليه السلام: ٢٨٦.

الحسين: سمعت هذا الحديث قبل أنْ يُبنى على الموضع شئ، ثم إنَّ محمد بن زيد وجّه فبنى عليه، فلم تمض الأيام حتى أُمتحن محمد في نفسه بالقتل) [١].

قال العلاّمة السماوي في أُرجوزته عن لسان راوي الحديث:

وقد سمعتُ انّه قد خطبا فيها وقال ستكون قُطْبا
وسوف يبنيها فتى من ولدي ويُعقد السور عليها بعدي
سبعين طاقاً دائراً عليها وسوف تقصد الورى إليها[٢]

وكان محمد الداعي قد أرسل الأموال من طبرستان لتعمير العتبات المقدسة في النجف وكربلاء والمدينة المنورة، وتوفي سنة ٢٨٧هـ في أيام الخليفة المعتضد العباسي. ويبدو انَّ العامل المساعد على إقامة هذه العمارة المهمة ضعف السلطة العبّاسية وانشغالها في قمع الثورات والمؤامرات التي نشبت ضدها يومئذ، ومن جانب آخر اللين الذي أبداه المعتضد اتجاه العلويين وزوار النجف وكربلاء. ومن المؤكد انَّ النشأة الحقيقية لمدينة النجف الأشرف نتيجة المجاورة للمرقد العلوي المطهر والدفن بقربه قد بدأت مع وجود هذه العمارة الكبيرة.

العمارة الثالثة– عمارة الاميرعبدالله بن حمدان الحمداني:

قام بها الأمير أبو الهيجاء عبدالله بن حمدان الحمداني الذي تقلّد ولاية الموصل سنة ٢٩٢هـ وتوفي سنة ٣١٧هـ، وهو والد سيف الدولة الحمداني. بنى قبّة عظيمة على القبر المطهر، في كل جانب منها عدة أبواب وسترها بفاخر الستور، وفرش أرضها بالحُصر، وبنى سوراً منيعاً حول المرقد الشريف.

وذكر الإدريسي هذه العمارة في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، فقال: (وعلى ستة أميال من الكوفة قبّة عظيمة مرتفعة الأركان من كل جانب لها باب

(١) دلائل الإمامة: ٤٥٩.

(٢) عنوان الشرف في وشي النجف: ٨.

مغلق، وهي مستورة من كل ناحية بفاخر الستور، وأرضها مفروشة بالحُصر السامانية، ويُذكر أنَّ بها قبر عليّ بن ابي طالب، وما استدار بالقبّة مدفن لآل أبي طالب، وهذه القبّة بناها أبو الهيجاء عبدالله بن حمدان في دولة بني العباس، وكان قبل في دولة بني أميَّة مخفياً)[1].

وقد رجّح الدكتور صلاح الفرطوسي أنْ يكون تاريخ إنشاء العمارة الحمدانية سنة ٣١١هـ في زمن خلافة المقتدر العباسي (٢٩٥-٣٢٠هـ) حيث يقول ما نصه: (ولم يقف أحد من الباحثين على تاريخ محدَّد لهذه العمارة، ويغالبني الظن أنَّ الأمر بها كان في سنة ٣١١ هـ/ ٩٢٣م، إذ إنَّ أبا الهيجاء كُلّف بالحج نيابة عن الخليفة سنة إحدى عشرة وثلاثمائة، أو أنّه قرر الحج فيها، ولابدَّ أنَّه توقف في الكوفة على عادة حجيج العراق، وزار قبر أمير المؤمنين عليه السلام، وأمر بإعماره ثم توجَّه من بعد الى الحج...)[2].

العمارة الرابعة– عمارة الزعيم عمر بن يحيى العلوي:

أقيمت هذه العمارة من قبل الزعيم الجليل لمدينة الكوفة عمر بن يحيى العلوي في سنة ٣٣٨هـ في أيام المطيع العباسي (٣٣٤-٣٦٣هـ). فقد بنى من ماله الخاص قبّة كبيرة على المرقد العلوي المقدس، وفي سنة ٣٣٩هـ ردَّ الله على يده الحجر الأسود الذي نهبه القرامطة عند غزوهم لمكة سنة ٣٢٣هـ، فتم تعليق الحجر بجامع الكوفة حتى رآه الناس ومن ثَمَّ أُرجع إلى مكة ليعود بمكانه في ركن البيت العتيق.

قال الشيخ محمد حسين حرز الدين عن عمر بن يحيى ما يأتي: (اختصّه الله بفضيلتين فضيلة بناء قبّة جدّه أمير المؤمنين عليه السلام من خالص ماله، وردّ الحجر إلى محلّه، حيث توسّط الشريف أبو علي عمر بن يحيى العلوي هذا بين الخليفة المطيع لله في سنة ٣٣٩هـ وبين القرامطة حتى أجابوه إلى ردّ الحجر الأسود، وجاؤا به إلى

(١) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق: ٣٨١/١-٣٨٢.

(٢) مرقد وضريح أمير المؤمنين عليه السلام: ١٧٧-١٧٨.

الكوفة وعلّقوه على الاسطوانة السابعة من أساطين الجامع قبل ردّه إلى بيت الله الحرام، وذلك تصديق لما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في إخباره بالمغيّبات)[١].

العمارة الخامسة– عمارة السلطان عضد الدولة فناخسرو البويهي:

تولى عضد الدولة البويهي الحكم ببغداد في عهد الخليفة الطائع العبّاسي (٣٦٣-٣٨١هـ)، فأصبح الحاكم الشيعي للبلاد الاسلامية في زمن الدولة العبّاسية لنحو خمس سنوات حتى وفاته سنة ٣٧٢هـ . بنى عمارة عظيمة لا مثيل لها على المرقد العلوي المقدس في سنة ٣٦٦هـ، بقبة بيضاء اللون، وستر الحيطان بخشب الساج المنقوش. وبنى أول سور حول مدينة النجف الأشرف بلغ محيطه ألفين وخمسمائة خطوة. كما عَمر مشهد الحسين عليه السلام ومساجد بغداد.

وبعد وفاته دُفن في الرواق الشرقي لحضرة الإمام علي عليه السلام مما يلي القدمين. قال الدميري: (ولما مات كُتم موته، ودُفن بدار المملكة ببغداد ثم ظهر موته، وأُخرج من قبره وحُمل إلى مشهد أمير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه فدُفن به، وكان عضد الدولة قد بنى المشهد قبل موته)[٢].

ورد في كتاب تاريخ النجف الأشرف نقلاً عن الكتاب الفارسي (مجمل فصيحي) ما يأتي: (في هذه السنة - أي ٣٦٦هـ - تولّى عضد الدولة أبو شجاع فناخسرو بن ركن الدولة بن بويه الديلمي الإمارة بعد وفاة والده ركن الدولة، وهي السنة التي شيّد فيها دار الشفاء في بغداد، ودار الشفاء في شيراز، وعمارة ضريح قبر علي أمير المؤمنين عليه السلام في النجف...)[٣]. وقال المؤرخ ابن الأثير: (شرع عضد الدولة في عمارة بغداد، وكانت قد خُرِّبت بتوالي الفتن فيها، وعمَّر مساجدها وأسواقها...

(١) تاريخ النجف الأشرف: ٢/٨٨-٨٩.
(٢) حياة الحيوان الكبرى: ١/١٤٦.
(٣) تاريخ النجف الأشرف: ٢/٩١.

وفعل مثل ذلك بمشهد علي والحسين عليهما السلام)[١].

ومن المعالم المشهورة في الصحن الحيدري الشريف حالياً مسجد عمران بن شاهين، ملك البطائح المتوفى سنة ٣٦٩هـ، والذي بُني في الأصل كرواق كان متصلاً بالحرم في زمن العمارة البويهية[٢].

ويعطينا العلاّمة محمد حسين حرز الدين في تاريخه وصفاً للعمارة البويهية الفخمة حيث قال ما نصه: (كما بنى عضد الدولة رواقاً عالياً على مرقده عليه السلام، وعقد عليه قبة بيضاء تحتها مصطبة عليها آثار قبور ثلاثة هي: قبر آدم عليه السلام، وقبر نوح عليه السلام، وقبر عليّ أمير المؤمنين عليه السلام. وهذه القبور ذكرها ابن بطوطة في رحلته، وتدل عليها الزيارة المأثورة التي جاء فيها: السلام عليك وعلى ضجيعيك آدم ونوح. وأقام عضد الدولة أمام الرواق بهواً كان يجلس فيه متأدباً لقضاء الحوائج، وفي هذا البهو وتحت الرواق عُقدت حفلة حضرها الأمراء والنقباء والعلماء، وهناك ألقى الشاعر الشهير الحسين بن الحجّاج قصيدته الفائيّة الشهيرة. وأقام حصاراً فيه الغرف والإيوانات، وأنشأ داراً للضيافة، وبذل الطعام للزائرين ثلاثة أيام، وأجرى الجرايات، وبثّ العطاء للذين ينوون الإقامة والمجاورة)[٣].

وقد كانت النجف في الوقت الذي زارها فيها عضد الدولة عام ٣٧١هـ مدينة صغيرة تضم قلة من المجاورين، وقد نجح السلطان عضد الدولة البويهي من خلال إصلاحاته الكثيرة ورعايته للمقيمين فيها من تحويل الجوار المحدود إلى مدينة آهلة

---

(١) الكامل في التاريخ: ٨/٧٠٤-٧٠٥.

(٢) قال المؤرخ مسكويه في سبب بناء هذا الرواق من قبل عمران بن شاهين ما نصه: (انّه خرج على السلطان عضد الدولة البويهي وناجزه الحرب فظفر به السلطان واستولى على مملكته "البطائح" فنذر إنْ عفا عنه السلطان يبني رواقاً في النجف، فلمّا أتى السلطان عضد الدولة البويهي لزيارة مرقد علي أمير المؤمنين جاء عمران وألقى بنفسه عليه فعفا عنه، ووفى بنذره فبنى رواقين في الغري وكربلاء). تجارب الأمم: ٦/٣٩٧.

(٣) تاريخ النجف الأشرف: ٢/٩٢-٩٣.

بالسكان، وقد أوصى رحمه الله أنْ يُدفن في الروضة الحيدرية المقدسة فنال هذا الشرف.

قال الدكتور صلاح الفرطوسي بهذا الشأن ما يأتي: (ويبدو انَّ عمارتي مرقد أمير المؤمنين ومرقد ولده أبي عبدالله عليهما السلام كمل إنجازهما في النصف الثاني من سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة، وتوجّه في يوم الاثنين لأربع بقين من جمادى الأولى لزيارة مرقد أمير المؤمنين عليه السلام، والاطلاع على أحوال عمارته، وما تحتاج إليه من بنى تحتية لإدامتها، وتوفير ما يحتاج إليه المجاورون كي يأخذ الجوار طابعاً آخر بحيث يتحول بمرور الوقت إلى مدينة عامرة)[1].

وقد وصف ابن بطوطة المتوفى سنة ٧٧٩هـ هذه العمارة وصفاً دقيقاً عند وروده النجف عام ٧٢٦هـ قائلاً: (... ثم باب الحضرة حيثُ القبرُ الذي يزعمون أنّه قبرُ عليّ عليه السلام، وبإزائه المدارس والزوايا والخوانق معمورة أحسن عمارة، وحيطانها بالقاشاني، وهو شبه الزّليج عندنا لكن لونَه أشرقُ ونقشَه أحسنُ.

ويُدخل من باب الحضرة إلى مدرسة عظيمة يسكنها الطلبة والصوفية من الشيعة، ولكل وارد عليها ضيافة ثلاثة أيّام من الخبز واللحم والتمر مرّتين في اليوم، ومن تلك المدرسة يُدخلُ إلى باب القبّة، وعلى بابها الحُجّاب والنقباء والطواشيّة، فعندما يصل الزائر يقومُ إليه أحدهم أو جميعهم وذلك على قدر الزائر، فيقفون معه العتبة، ويستأذنون له، ويقولون: عن أمركم يا أمير المؤمنين هذا العبدُ الضعيف يستأذن على دخوله الروضة العليّة فإنْ أذنتم له وإلاّ رجع، وإنْ لم يكن أهلاً لذلك فأنتم أهلُ المكارم والستر، ثم يأمرونه بتقبيل العتبة وهي من الفضّة وكذلك العضادتان، ثمَّ يدخل القبّة وهي مفروشة بأنواع البُسط من الحرير وسواه، وبها قناديل الذهب والفضّة، منها الكبارُ والصغارُ، وفي وسط القبّة مسطبةٌ مربّعة مكسوّة بالخشب عليه صفائح الذهب المنقوشة المُحكمة العمل، مُسَمّرة بمسامير الفضّة، قد غلبت على الخشب بحيث لا يظهر منه شئ، وارتفاعُها دون القامة، وفوقها ثلاثةٌ من القبور

(١) مرقد وضريح أمير المؤمنين عليه السلام: ١٩١.

يزعمون أنَّ أحدها قبرُ آدم، عليه الصلاة والسلام، والثاني قبرُ نوح، عليه الصلاة والسلام، والثالث قبرُ عليّ، رضي الله تعالى عنه. وبين القبور طُسوت ذهب وفضّة فيها ماء الورد والمسك وأنواع الطيب يَغمس الزائر يده في ذلك ويدهن به وجهه تبركاً. وللقبّة بابٌ آخر عتبته أيضاً من الفضّة وعليه ستور من الحرير الملوّن يُفضي إلى مسجد مفروش بالبُسط الحسان مستورة حيطانُه وسقفُه بستور الحرير، وله أربعة أبواب عتباتها فضّة وعليها ستور الحرير. وأهل هذه المدينة كلّهم رافضيّة)[1].

ويتبين من النص السابق انَّ هذه الستور الحريرية التي شاهدها ابن بطوطة بداخل الضريح ومسجد الرأس سنة ٧٢٦هـ، وأيضاً خشب الساج كانت هي السبب في حدوث حريقين هائلين في سنتي ٧٥٣هـ و ٧٥٥هـ أتى على البناء برمته. جاء في دليل العتبة العلوية المقدسة ما نصه: (تعرضت عمارة عضد الدولة الآنفة الذكر إلى الحريق مرتين متتاليتين إحداهما سنة ٧٥٣هـ ولم يبق منها إلاّ القليل، والثانية في سنة ٧٥٥هـ - بعد سنتين من الحادثة الأولى - وقد عُزي الأمر إلى المصابيح الزيتية والشموع التي كانت تُستخدم لإضاءة العتبة في ذلك الوقت)[2].

العمارة السادسة– عمارة الأمير حسن بن نويان الجلائري:

يُعد الشيخ حسن الجلائري أحد أمراء الأسرة الايلخانية الشيعية التي حكمت العراق للفترة ٧٣٦-٨١٣هـ. تولى حكم بغداد في نهاية مُلك المغول لمدة سبع عشر سنة ابتداءاً من سنة ٧٤٠هـ. أعاد بناء المرقد العلوي المطهر في سنة ٧٥٥هـ بعد احتراق الحضرة الشريفة.

ونسب الشيخ جعفر محبوبة هذه العمارة إلى الأمير حسن الجلائري، حيث قال: (ويظهر من تتبع أحوال الايلخانيين وما أوجدوه في حكومتهم من الأبنية والعمارات من مدارس ومساجد ورباطات وقنوات في النجف وغيرها انَّ هذه العمارة لهم، فإنَّ

(١) رحلة ابن بطوطة: ١٧٦-١٧٧.

(٢) دليل العتبة العلوية المقدسة: ٣٣.

للشيخ حسن آثار جليلة في النجف وكربلاء فنعتقد انَّ هذه العمارة لهم وفي عصرهم حدثت)[١].

وتوفي الشيخ حسن الجلائري سنة ٧٥٧هـ في بغداد، ونُقل إلى النجف ودُفن في المقبرة الايلخانية الخاصة بالأسرة في الجهة الشمالية الشرقية من الصحن الحيدري الشريف. وقد اكتملت هذه العمارة في عهد ولده الأمير أُوَيس الجلائري سنة ٧٦٠هـ الذي أقام أيضاً سوراً جديداً حول مدينة النجف الأشرف نتيجة لنمو وتوسع المدينة بسبب زيادة عدد ساكنيها.

العمارة السابعة– عمارة الشاه صفي الصفوي:

قام الشاه عباس الأول الصفوي المتوفى سنة ١٠٣٨هـ بإصلاح العمارة السادسة القائمة في زمانه والتي تعود كما ذكرنا إلى الأمير الايلخاني الشيخ حسن الجلائري والتي أتمها بعد وفاته ولده الأمير أُوَيس. فمن المعروف انَّ الشاه عباس الأول زار النجف مرتين سنة ١٠٣٣هـ، وفيها أمر بإصلاح عمارة الجلائريين للمرقد العلوي المقدس التي مضى على إنشائها ما يقرب ٢٧٨ سنة.

قال الشيخ محمد حسين حرز الدين: (لما جاء عباس الصفوي زائراً العتبات المقدسة في العراق أمر بتجديد القبة العلوية، ووسّع الحرم، وجلب من أجل ذلك المهندسين والفعلة، ودام العمل ثلاث سنين، هدم فيه قسماً من رواق عمران بن شاهين وألحقه بالصحن لكي تتم تربيعة العمارة وتحسن هندستها)[٢].

إنَّ العمارة القائمة حالياً أمر بها الشاه صفي بن صفي ميرزا بن الشاه عباس الأول في زمن الدولة الصفوية سنة ١٠٤٧هـ/ ١٦٣٧م، واستمر العمل بها إلى حين وفاته عام ١٠٥٢هـ، فأتمها ولده الشاه عباس الثاني.

وقد أشار إلى هذا البناء الشيخ محمد السماوي في أُرجوزته قائلاً:

---

(١) ماضي النجف وحاضرها: ٤٧/١.

(٢) تاريخ النجف الأشرف: ٢٨٨/٢.

ثم بَنى الشاه الصفيّ الصفوي حفيده، أبـــهى بنـــاء عَلَوي
قبراً رخـــــاماً دونه شباك لا الشمـــس تحكيه ولا الأفلاك
وقبّـــــة بيـــن منارتين كالشمس قد حُفت بكوكبين[1]

ويعزو الشيخ جعفر محبوبه الأسباب التي دفعت الشاه صفي إلى هذا العمل إلى انّه: (بعد تعاقب الدهور ومرّ عشرات من السنين على العمارة المتقدمة تضعضعت القبّة المنورة، وكانت ساحة الصحن الشريف ضيقة ولم تكن بهذه السعة الموجودة اليوم، فأمر الشاه المذكور بهدم بعض جوانب الصحن الشريف وتوسيعه وتوسيع ساحة الحرم العلوي المطهر)[2].

ويتضح مما سبق انَّ الشاه عباس الأول قد وسّع الصحن الحيدري الشريف من جهته الشمالية - أي جهة باب الطوسي - بينما كانت توسعة حفيده الشاه صفي من الجهتين الشرقية والجنوبية - أي جهتي باب الساعة وباب القبلة - بعد إزالة الدور الملاصقة للمرقد العلوي المقدس.

وقال العلاّمة المحقق جعفر محبوبه بهذا الصدد ما نصه: (كان رواق عمران هذا مفصولاً عن الرواق الموجود اليوم ويبعد عنه خطوات قليلة وعند مجيء الشاه عباس الأول إلى النجف وعمارته الصحن الشريف والروضة المطهرة هدم قسماً منه وأدخله في الصحن ووسّع ساحة الصحن من تلك الجهة وجعله على سمت الصحن القديم "حوش الحضرة" ولّما جاء الشاه صفي اكتسح الدور المجاورة للصحن من جهة الشرق والقبلة وأدخلها في الصحن ووسّعه من سائر جهاته الثلاث وهي العمارة الموجودة اليوم)[3].

إنَّ الشاه صفي الصفوي هو الذي نقل العمارة الصفوية إلى طورها الحالي. فقد أمر الشاه وزيره الميرزا تقي خان المازندراني بهذا العمل الذي نفذه جمع كبير من

(١) عنوان الشرف في وشي النجف: ٥٣.
(٢) ماضي النجف وحاضرها: ٤٨/١.
(٣) ماضي النجف وحاضرها: ١٠١/١.

المعماريين والمهندسين من النجف ومن شتى الأقطار. إضافةً لذلك أمر الشاه صفي ببناء مستشفى أطلق عليها إسم دار الشفاء ملاصقةً للجهة الشرقية لجدار الصحن الشريف من جهة اليسار، ومطبخاً لتقديم الطعام، ودار ضيافة للزائرين، وقد أُزيلت هذه المباني في العهد الملكي عند إنشاء شارع دورة الصحن.

تُعد العمارة الصفوية في الوقت الحاضر ونحن نعيش في سنة ١٤٣٣ هـ/٢٠١٢م أجمل العمارات الاسلامية قاطبةً بفخامتها وهندستها الرائعة وريازتها الفريدة، وبقبتها التي تطاول السماء، وبمنارتيها الجميلتين، وإيوانها الذهبي ذي الفن الرفيع، وصحنها الفسيح الذي يحيط به سور كبير مرتفع.

ولم يكن البناء مذهباً بل كان مغلفاً بالحجر القاشاني، ولكن تم التذهيب في عهد السلطان نادر شاه الأفشاري المتوفى سنة ١١٦٦هـ، وإنَّ العمل في التذهيب بدأ في سنة ١١٥٥هـ/١٧٤٢م وانتهى في سنة ١١٥٦هـ/١٧٤٣ م.

يحدثنا الشيخ محبوبه عن قصة التذهيب قائلاً: (لم تزل عمارة الشاه للقبة المنورة والايوان وسائر الصحن الشريف بالحجر القاشاني حتى زمن السلطان نادر شاه سنة ١١٥٦ هـ فإنّهُ لّما ورد النجف زائراً أمر بقلع الحجر القاشاني عن القبّة المعظّمة والإيوان والمئذنتين وتذهيبها فبذل عليه أموالاً كثيرة ووضع في الخزانة الغروية تحفاً جسيمةً حتى كان يعده بعض المعاندين إسرافاً وصار مضرباً للمثل، حتى قيل تبذير نادر في النجف)[1].

وقال أيضاً: (وهذا التذهيب من أشهر الآثار التاريخية واجلها ذكراً، وهو عمل خطير قام به أكثر من مائتي صائغ ونَحّاس وقد جمعهم من سائر الأقطار، ويوجد فيهم الصيني والهندي والتركي والفارسي والعربي، وأكثرهم مكتوبة أسماؤهم على الطابق النحاسي وراء الذهب، وقد طليت كل قطعة - على ما ذكر بعض الصاغة المباشرين لإصلاحه اليوم - بمثقالين من الذهب الخالص)[2].

---

(١) ماضي النجف وحاضرها: ٦٤/١.

(٢) ماضي النجف وحاضرها: ٦٧/١.

وقال المحامي عباس العزاوي عن التذهيب ما يأتي: (في سنة ١١٥٥هـ بدأ نادر شاه بتذهيب القبة والإيوان والمأذنتين لمشهد الإمام علي رضي الله عنه وتم ذلك في سنة ١١٥٦هـ. فبذل أموالاً كثيرة وقدّم للخزانة الغروية تحفاً نفيسة. ورد ذلك في تاريخ "جهانكشاي نادري"، وفي "بستان السياحة". وللسيد حسين بن مير رشيد، والسيد نصرالله الحائري وغيرهما قصائد)[1].

وقد أرّخ كثير من العلماء والشعراء هذا الحدث المهم، منهم السيد حسين بن مير رشيد النقوي الهندي المتوفى سنة ١١٧٠هـ الذي أرّخ عام الشروع في تذهيب القبة المنورة (١١٥٥هـ) في قصيدة تقول أبياتها:

أمطلع الشمس قد راق النواظر أم نار الكليم بدت من جانب الطورِ
أم قبة المرتضى الهـــادي بجانبها منارتا ذكر تقديـــــس وتكبيرِ

إلى أنْ يقول:

يا طالباً عام إبـــــداء البناء لها أرّخ (تجلّى لكـــم نور على نور)

وللسيد محمد بن أمير الحاج قصيدة في تأريخ الشروع بالتذهيب وهي:

الله أكبر لاح قرص الشمس في أرض الغري
أم قبة الفلك الذي فيها أضـاء المشتري
أم طـــور سيناء الكليـــــم به كبدر نيّرِ
بل قبة النبأ العظيم وزيـــر طـه الأطهرِ
قد ريـم في تذهيبها زياً وحـسن المنظرِ
وبها يـسر الناظرين سنـاه قبـــل الأنظرِ
منها الشعاع أضـاء أبيض مـن قديـم الأعصرِ
والآن راقتنا بقضـــــبان الشعـاع الأصفرِ
رُفعـت لتقبيل الكواكـــب كفهـا والأزهرِ

(١) تاريخ العراق بين احتلالين: ٢٦٧/٥.

هي رأس جنات العلا يا كـــون فيه تعطرِ
هي قُطْب دائرة الوجود وشمس كل الأدهرِ
فلذا دعـــا تاريخها (الشمس قبّة حيدرِ)

تمّ توثيق إكتمال عملية التذهيب بنص عربي بخط الثلث المتراكب ضمن شريط كبير في أعلى واجهة الإيوان الذهبي. أما مفردات النص فهي بالشكل الآتي:

"الحمد لله تعالى قد تشرّف بتذهيب هذه القبة المنورة والروضة المطهرة الخاقان الأعظم سلطان السلاطين الأفخم المظفر المؤيد بتأييد الملك السلطان نادر أدام الله ملكه وسلطنته، وأفاض على العالمين برّه وعدله وإحسانه، خلّده الله ودولته، سنة ستة وخمسين ومائة بعد الألف.

وتشير العبارة "خلّده الله ودولته" إلى تاريخ إكتمال تذهيب المرقد العلوي المقدس في سنة ١١٥٦هـ، وفقاً لطريقة حساب الحروف المتعارف عليها عند المؤرخين والشعراء. ومن الجدير بالذكر انَّ هذه الكتابة المهمة من الناحية التاريخية موجودة حالياً في مكانها الأصلي ولم تطلها أيدي العبث.

وقد كانت تتدلى في وسط الإيوان الذهبي السلسلة الذهبية التي ربط بها نادر شاه عنقه وأمر أنْ يُسحب بها إلى الحرم الطاهر من داخل المدينة القديمة. وقد حصلت هذه الحادثة التاريخية في الزيارة الثانية لنادر شاه لمدينة النجف الأشرف بعد اكتمال عملية التذهيب. وأبقى هذه السلسلة معلقة في وسط الإيوان ذكرى لذلك الانقياد المعبر عن الطاعة المطلقة لأمير المؤمنين عليه السلام.

ذكر الشيخ جعفر محبوبه عن زيارة السلطان نادر شاه الأفشاري للنجف سنة ١١٥٦هـ الآتي: (ومما تناقله الخلف عن السلف انّهُ لما زار الشاه نادر خان المذكور النجف ترجّل على مقربة من سور البلد ووضع زنجيراً من الذهب في عنقه فَقيدَ به حتى وصل الضريح المقدس فلثمه وعلّق الزنجير في مدخل الضريح)[1].

(١) ماضي النجف وحاضرها: ٢٢٣/١.

إنّ هذه السلسلة الطويلة المصنوعة من الذهب الخالص كانت تُشاهد متدلية من أعلى الإيوان الذهبي إلى أعلى الباب الذهبي الرئيس، وقد سمعنا مما يُتناقل بين الناس وهو الأقرب إلى الصحيح انّها سُرقت من قبل النظام البائد كواحدة من أفعاله الهمجية ولا يُعرف أين هي اليوم. ويوجد حالياً بداخل الشباك المطهر من الجهة الجنوبية سلسلة رمزية صغيرة للتذكير بهذه الواقعة موضوعة على قنديل ثمين من مقتنيات الخزانة العلوية.

كُتب في وسط الإيوان الذهبي من الأعلى وعلى جانبية كتابات ذهبية بحروف بارزة تضمنت آيات قرآنية كريمة وأحاديث نبوية شريفة وأبيات شعرية في مدح أمير المؤمنين عليه السلام، ذكر تفاصيلها الشيخ جعفر محبوبه في ماضيهِ، والشيخ محمد حسين حرز الدين في تاريخِه، ودليل العتبة العلوية المقدسة لعام ٢٠١١ الصادر من قسم الشؤون الفكرية والثقافية بالعتبة.

قام النظام السابق ولأسباب طائفية لا تخفى على أحد بإزالة أغلب هذه الكتابات وأبدلها بصفائح مطلية بالذهب صقيلة خالية من الكتابة والنقش أحدثت تشويهاً لا يخفى على الناظر لجدران الإيوان الذهبي وطارمته، كما أزال الحزام الخارجي للقبة الذهبية[1]. وما زاد الأمر سوءاً ما حدث في الانتفاضة الشعبانية المباركة عندما استهدف القصف المباشر لجيش النظام الروضة الحيدرية المقدسة ما أدّى الى تلف الباقي من هذه الكتابات.

جاء في دليل العتبة العلوية المقدسة ما نصه: (والأبيات الشعرية لا نجدها اليوم حيث رُفعت كما رُفعت كثير من المعالم والتواريخ المهمة في زمن النظام السابق،

(١) ورد في دليل العتبة العلوية المقدسة ١٣٤ ما يأتي: (ومن منطلق قرار مجلس إدارة العتبة العلوية المقدسة الذي ينص على "إعادة كل ما رُفع ورفع كل ما وُضع في زمن النظام السابق ولأغراض سياسية بعيدة عن قدسية وتاريخ العتبة العلوية المقدسة وفي أي موقع منها"، بوشر بإعادة شريط القبة الذهبية بعد تجديده وترميمه، واكتمل العمل به بمناسبة ذكرى ولادة الإمام أمير المؤمنين في الثالث عشر من رجب ١٤٣٠هـ الموافق ٢٠٠٩/٧/٦م، حيث تم افتتاحه بحفل بهيج حضره العديد من الشخصيات الحوزوية والثقافية).

ووُضع بدلاً منها أحجار صقيلة مطلية بالذهب... وفي آذار سنة ١٩٩١م وبعد الانتفاضة الشعبانية المباركة في مدينة النجف الأشرف، قام جيش النظام المباد ومن أجل إعادة السيطرة على المدينة بقصفها بالصواريخ والمدفعية واستباحها بمعداته الضخمة حيث دخلت الدبابات مركز المدينة، ومن جراء القصف على الصحن الحيدري الشريف حدثت تصدعات كبيرة في الإيوان الذهبي، فخُربت الكثير من التواريخ والأبيات الشعرية التي كانت موجودة قبل القصف الهمجي، فالآثار التاريخية كانت منقوشة على الصفائح الذهبية والتي قُلعت بعد الأحداث واستُبدلت بأخرى صقيلة يمكن رؤيتها اليوم كشيء دخيل على منظر الإيوان الذهبي)[1].

إنَّ أهم هذه الكتابات من الناحية التاريخية حسب رأينا هو الشريط الذي يوثّق تاريخ تذهيب القبّة والمنارتين والإيوان بأمر السلطان نادر شاه الأفشاري. ونحن نؤكد على ضرورة الحفاظ على المعالم التاريخية والأثرية الموجودة، وإرجاع المُزال منها خلال السنوات السابقة، بصيغها وبأماكنها الأصلية لأنها تُمثل وثائق تاريخية مهمة تحكي مراحل عمارة المرقد المقدس عبر القرون الماضية.

يقع الإيوان الذهبي الكبير في الجهة الشرقية من الحرم العلوي المطهر مقابلاً لباب الساعة. وقد عُرف بالإيوان الذهبي لأنَّ جدرانه ومقرنصاته وضفيرة قوسه طُليت صفائحه النحاسية بالذهب. ويطل الإيوان على فناء واسع (الطارمة) يبلغ طوله ٤٢ متراً وعرضه ٧,٥٠ متراً، وترتفع أرضية فناء الحرم المكسوة بالمرمر الإيطالي الأخضر المُجزّع مقدار ٢٠ سنتيمتراً عن أرضية الصحن الحيدري الشريف[2].

---

(١) دليل العتبة العلوية المقدسة: ٨٩.

(٢) أقول: مما يلفت الانتباه تباين مقدار القياسات لارتفاع كل من القبة والمنارتين والإيوان الذهبي وباقي الأبنية عند المؤرخين ممن كتب عن المرقد العلوي المطهر، لذلك توخياً للدقة اعتمدنا في تثبيت القياسات في هذه الدراسة على ما ذُكر في كتابي (زاويتا الزوال والقبلة في العتبة العلوية المقدسة) و (دليل العتبة العلوية المقدسة) لأنهما الأحدث والأدق.

يُعد الباب الذهبي الكبير الذي يقع في وسط الإيوان باب الدخول الرئيس لرواق الحرم العلوي المطهر. يبلغ ارتفاعه ٥,٧٥ متراً وعرضه ٣,٢٢ متراً وهو ذو مصراعين، وقد صُمّم في إيران، ونُصب سنة ١٣٧٣هـ، وقد تصدّى لجمع أمواله ونصبه حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد سلطان كلانتر الموسوي رحمه الله المتوفى سنة ١٤٢٠هـ. وورد في دليل العتبة العلوية المقدسة ما يأتي: (وقد تضررت هذه الباب وإطارها بسبب القصف الهمجي الذي طال المدينة المشرفة والمرقد الطاهر في سنة ١٩٩١ عند دخول القوات البعثية للسيطرة على مدينة النجف الأشرف)[1].

فضلاً عن الباب الذهبي الكبير يوجد في فناء الحرم بابان ذهبيان صغيران يفضيان إلى الرواق الشرقي للحرم العلوي المطهر، أحدهما يقع إلى اليمين وهو باب العلاّمة الحلّي والآخر يقع إلى اليسار وهو باب المقدّس الأردبيلي.

تقع الحضرة المقدسة وسط الصحن الحيدري الشريف تقريباً، وهي مربعة الشكل تحيط بالقبر المطهر من كل جهاته، ويبلغ طول ضلع الحرم الطاهر ١٣,٣٠ متراً وتبلغ مساحته ١٧٦,٨٩ متراً مربعاً. وتبلغ ارتفاع جدران الحرم الطاهر ١٢،٥ متراً من الجهات الأربع.

إنَّ القبر الشريف يتوسط الحرم الطاهر، ويمكن الوصول إليهِ عن طريق أربعة مداخل تتوسط جدران الحرم. ويتألف كل مدخل من بابين ذهبيين صغيرين تفضيان إلى الأروقة المحيطة بالحرم من الجوانب الأربعة، ويحيط بالأروقة طابقين من الغرف. ويكسو أرض الحرم وأروقته المرمر الإيطالي الأخضر.

دُفن في غرف الرواق كثير من العلماء والملوك والوجوه، ولكن أهم الآثار الموجودة هو السرداب الذي دُفن فيه السلطان عضد الدولة البويهي صاحب العمارة الخامسة المتوفى سنة ٣٧٢ هـ. قال الشيخ محمد حسين حرز الدين عن هذا السرداب ما نصه: (من الآثار المهمة في الجهة الشرقية للرواق هو قبر عضد الدولة فناخسرو بن ركن الدولة البويهي. يقع مرقده تحت الباب الشرقي الثاني لاستئذان الدخول الى

(١) دليل العتبة العلوية المقدسة: ٩١.

الحرم الأقدس، في سرداب أنشأه عضد الدولة عند عمارته الحرم المطهر سنة ٣٦٦هـ، وأوصى أنْ يُدفن في أقصاه قرب رجلي الامام عليه السلام)[1].

وذكر البحّاثة الشيخ محمد حرز الدين المتوفى سنة ١٣٦٥هـ في كتابه معارف الرجال في ترجمة الميرزا هادي الخراساني: (وانَّ باب هذا السرداب تحت المسرجة في الصحن، وقد حصل له من يدلّه على هذا المدخل ليلاً وبيده ضياء ومعهم بعض الخواص، وأفاد أيضاً انّه: وقفنا على جدثه في محله، وعلى قبره لوح حجر نفيس مكتوب عليه:

"هذا قبر السلطان ابن السلطان عضد الدولة بن ركن الدولة سلطان الدولة البويهية، أمَرَ أنْ يُدفن عند رجلي أمير المؤمنين عليه السلام لتكون رجلاه على رأسي وأكتافي عند المزلقة"... وقد أوصى عضد الدولة بأنْ تُجعل في رقبته سلسلة من فضة وتدخل إلى قريب من قبر أمير المؤمنين عليه السلام تحت الأرض وتُربط بوتد من فضة، وأنْ تُوضع على وجهه رقعة مكتوب عليها قوله تعالى: ﴿ وكَلبُهُم باسِطٌ ذِراعَيهِ بالوَصيدِ﴾(الكهف/١٨)) [2].

يُعد الضريح العلوي رائعة من روائع التصميم الجميل والزخرفة الراقية، وآية من آيات الفن الإسلامي الأصيل، يلفت الأنظار ويأخذ بالألباب، فهو يشكّل أجمل وأغلى لوحة فنية في العالم، ولا يضاهيه أي ضريح آخر.

يغطي القبر الشريف الصندوق الخاتم الذي أمر به أحد سلاطين الزند في إيران وهو السلطان محمد جعفر خان المتوفى سنة ١٢٠٩ هـ. إنَّ هذا الصندوق صنع من خشب الساج الهندي المطعم بالصدف والعاج والأبنوس والصندل وأخشاب أخرى متعددة الألوان، فجاء تحفة فنية رائعة بسبب روعة الصناعة ومهارة النقش.

(١) تاريخ النجف الأشرف: ٤٢٤/١.

(٢) معارف الرجال: ٢٣٨/٣.

وقد حُفرت على الصندوق كتابات عربية كثيرة متعددة الطرز، تتضمن سورة الدهر وأحاديث نبوية وردت في أمير المؤمنين وأبنائه المعصومين عليهم السلام، وفي أسفل الصندوق كُتب إسم الصانع والخطّاط والمُهدي. وهذا نص ما كُتب عليه:

"قد تشرّف ووفّق بإتمام هذا الصندوق الرفيع خالصاً لوجه الله تعالى وإخلاصاً لوليه وأوليائه". التوقيع: "كلب عتبة علي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، محمد جعفر بن محمد صادق الزند أدام الله تأييده، في سنة ١٢٠٢ هـ"[١].

ونقل الشيخ محمد حسين حرز الدين عن مجموعة خطية لوالده الشيخ علي حرز الدين قوله: (وكان الابتداء بعمل الصندوق الخاتم سنة ١١٩٨ هجرية على يد محمد حسين خان نجار الشيرازي، وكاتب الآيات الكريمة حوله بالعاج المرصع: محمد بن علاء الدين محمد الحسيني، وكمل عمله سنة ١٢٠٢هـ)[٢].

وللعلاّمة الشاعر السيد صادق الفحام المتوفى سنة ١٢٠٥هـ قصيدة شعرية يؤرخ بها هذه المناسبة تقول بعض أبياتها:

لله صندوق بديع صنعه ليس له في الحسن من مضاهي

أودعه صانعه عجائباً تجلّ عن حصر وعن تناهي

إلى أنْ يقول:

لذاك قد قلت به مؤرخاً (قد جُدّدت عيبة علم اللهِ)

وقد تم تجديد شباك الضريح مرات عدة خلال الفترات الماضية. وذكر الشيخ محمد حسين حرز الدين أنَّه: (لا يُعرف على وجه التحديد تاريخ وضع أول شباك على القبر الشريف، والذي يظهر انّهُ سابق لعام ١٠٧٣هـ، وهو عام قصة العجوز التي شُفيت ببركة المرقد المطهر، وقد ذكرها العلاّمة المجلسي في بحاره)[٣].

(١) تاريخ النجف الأشرف: ٤٤٢/١.

(٢) تاريخ النجف الأشرف: ٤٤٢/١.

(٣) تاريخ النجف الأشرف: ٤٣٥/١.

إنَّ الشباك الموجود في الوقت الحاضر تبرّع به سلطان البهرة السيد طاهر سيف الدين ونُصب في سنة ١٣٦١هـ في وسط الروضة المقدسة على قاعدة من المرمر الايطالي. هذا الشباك بالإضافة إلى قيمته المادية والمعنوية الكبيرة فهو تحفة فنية نادرة، صُنع بأبهى شكل ليظهر كلوحة فنية متكاملة يتجلى من خلالها براعة العمل ودقته.

قال الدكتور صلاح الفرطوسي ما نصه: (فإنَّ الشباك الحالي يُعدُّ أعظم المشبَّكات التي وضعت على مراقد أهل البيت عليهم السلام وأفخمها، وأغلاها ثمناً، وأجملها ريازة وصناعة، وأفخمها بين التحف المعروفة في العالم، لا يستطيع الناظر إليهِ إلاّ أنْ يقف إجلالاً واحتراماً أمام الصاغة المهرة والفنيين البارعين الذين استطاعوا إنجاز هذه التحفة الفريدة التي يحار القلم في التعبير عن روعتها. أهداه إلى الروضة الشريفة إمام البهرة الهنود السيد طاهر سيف الدين، وأشرف على صناعته وتذهيبه أمهر الصُنّاع الذين عرفتهم الهند، واستغرق العمل فيه خمس سنوات، ويُقال: إنَّ عمله احتاج إلى عشرة ملايين غرام من الفضة وخمسمائة واثنين وخمسين ألف غرام من الذهب، وصُرف عليه في وقته ما يعادل ثمانين ألف دينار)[1].

يحيط بالشباك ضمن تاجه الذهبي أربعة أشرطة كتابية بحروف ذهبية، ذكر تفاصيلها صاحب كتاب تاريخ النجف الأشرف، وجاء الإهداء في الركن الجنوبي الغربي من الشريط الثالث حيث كُتب في نهاية الإهداء ما يأتي:

"عبدالله وعبد وليه أمير المؤمنين، الداعي إلى حب آل محمد الطاهرين أبو محمد طاهر سيف الدين من بلاد الهند سنة ألف وثلاثمائة وستين. سنة ١٣٦٠ هجرية".

وقد تم رفع الستار عن هذا الشباك في سنة ١٣٦١هـ/١٩٤٢م بمناسبة ذكرى ولادة أمير المؤمنين عليه السلام. جاء في كتاب مشهد الإمام للمرحوم محمد علي جعفر التميمي ما يأتي: (كان يوم ٢٧ تموز الموافق ليوم ١٣ رجب يوماً عظيماً في مدينة النجف المقدس إذ شهدت فيه مهرجاناً عظيماً منقطع النظير وحفلاً رائعاً منسقاً لم يسبق أنْ شوهد مثيله في مختلف المناسبات وذلك بمناسبة الانتهاء من نصب الضريح الجديد لمرقد

(١) مرقد وضريح أمير المؤمنين عليه السلام: ٣٤٨.

الإمام بطل الإسلام علي بن أبي طالب عليه السلام والذي أُنشأ على نفقة مولانا السيد طاهر سيف الدين الرئيس الديني لطائفة البهرة في الهند)[1].

ونظم كثير من الشعراء والأدباء القصائد بمناسبة نصب هذا الشباك ومنهم الشيخ علي البازي الذي ألقى قصيدة يقول مطلعها:

قف وسلم إن جئت وادي السلام حيث نهج الهدى وداعي السلامْ

إلى أنْ يقول:

صيغ من عسجد وصافي لُجين جاء آياً في الفن والانتظامْ
وعلى كل جانب منه خُطَّت سُوَرٌ بالإبريز طبق المرامْ
فهنيئاً (لطاهر) سوف يُجزى في غدٍ بالإحسان والاحترامْ

ومن الذين أرّخوا نصب الشباك الخطيب السيد علي الهاشمي في قصيدة تقول أبياتها:

يدٌ (لسيف الدين) مشكورة سجّلها باللوح رب العلا
وكل من والى أبا شبر آي التهاني لعلاه تلا
نال بها مكرمة لم تكن تنالها قبل ملوك الملا
أهدى ضريحاً من لُجين لهم لولا يد الرحمن ما أكملا
لاح بآفاق العلا مشرقاً سنا ضريح المرتضى قد علا
وردَّد القمري تاريخه (ضريح قدس لعليٍّ حلا)

أما بالنسبة لزخرفة الروضة الحيدرية المقدسة فيكاد لا يخلو أي جزء من وجوه جدران الروضة الحيدرية من الداخل والخارج من النقوش الزخرفية ذات الأشكال المتنوعة والتناسق الدقيق والألوان المشرقة التي مزجت بين القديم والجديد وجمعت بين المرايا والكاشي الكربلائي في أروع تشكيل وأجمل مظهر.

(١) مشهد الإمام: ١٨٧-١٨٨.

قال الشيخ محمد حسين حرز الدين عن هذه الزخرفة: (وكانت الروضة المطهرة على عهد السلطان شاه صفي الصفوي المتوفى سنة ١٠٥٢هـ وما بعده مستورة جدرانها بالبلاطات القاشانية ذات الألوان والزخرف الجميل. ثم طرأت عليها إصلاحات، فقد جُرِّدَ الجدار الذي فوق الكتيبة السفلى الأولى من بلاطات القاشاني القديم إلى رؤوس العقود الأربعة من جهات الروضة الشريفة، ووضع مكانها زخرف زجاجي ملوّن ومرايا كبيرة الحجم مثبتة على قواعد خشبية في بيوت فنية وأشكال هندسية وذلك سنة ١٢٠٤هـ. هذا ولم يُعرف المتبرع به)[1].

وذكر الشيخ أيضاً: (ففي شهر شعبان من سنة ١٣٦٩هـ قُلعت المرايا القديمة والزجاج الملون المثبت بألواح خشبية في جدران الروضة، وأُزيلت الكتابة من المثلثات العليا برؤوس العقود، وبُدئ بزخرفة الجدران والمقرنص الكبير الذي يحمل رقبة القبة بالمرايا المصنوعة على شكل مقرنصات صغيرة مصفوفة في ستة صفوف. أمّا المثلثات الإثنا عشر المحيطة برقبة القبة من الداخل والتي هي تحت الكتيبة الوسطى فبعد زخرفها بالزجاج الفني صُنع في وسط كل مثلث منها طرة كُتب فيها إسم إمام من أئمة الهدى المعصومين الإثني عشر عليهم السلام... واستمر عمل الزخرف الزجاجي في حرم علي عليه السلام إلى اليوم السادس والعشرين من جمادى الأولى سنة ١٣٧٠هـ، وكان على نفقة شاه إيران محمد رضا، وقد بلغت تكاليفه ما يقرب من ١٢ ألف دينار عراقي. وكان تصميم الزخارف من قبل الفنان حسين كيانفر، وقام بتنفيذها المعمار الحاج سعيد النجفي)[2].

وأرّخه علماء وأدباء كثر منهم السيد محمد بن حسين الحلي، بقوله:

يا مرقداً قد ضم أكرم راقـــد شَرُف الغري بفخره والطورُ
هو مركز الأفلاك أضحت حوله كل الكواكب في السماء تدورُ

إلى أنْ قال:

---

(١) تاريخ النجف الأشرف: ١/٤٣٠.

(٢) تاريخ النجف الأشرف: ١/٤٣٠-٤٣١.

فممدتُ عشري للدعاء مؤرّخاً (حول الضريح أهلّة وبدورُ)

يؤطّر الاكساءات الجدارية نطاق من كتابات قرآنية، وقصائد شعرية في مدح الإمام علي عليه السلام بخط جميل متقن. أمّا بواطن العقود والحنايا والأقبية والقباب فقد غُطيت بتشكيلات زخرفية نباتية متقنة ومغطاة بقطع المرايا. وكُسيت أرض الحرم وجدرانه من الأسفل بمرمر إيطالي أخضر مُجزّع جميل للغاية.

ويتوّج هذه التشكيلات الجميلة في غرفة الضريح المقدس نطاق آخر من كتابات على طراز النطاق الأول يدور مع قاعدة رقبة القبة ويضم أسماء الأئمة الإثني عشر المعصومين عليهم السلام. وتفصل نوافذ الرقبة بعضها عن البعض الأخر تشكيلة زخرفية جميلة مصنوعة من الكاشي الكربلائي (القاشاني). ويتشابه شكل هذه التشكيلة الزخرفية مع الوحدة الرئيسة في التشكيل الزخرفي الذي يغطي باطن القبة والمصنوع من القاشاني. كما أنَّ تشكيلات الأروقة الزخرفية والعناصر المعمارية مغطاة بقطع المرايا العاكسة.

تقوم فوق الجدران القوية للغرفة قبّة ذهبية جميلة واسعة يبلغ ارتفاعها عن أرض الصحن الحيدري الشريف ٣٠ متراً. والقبّة مزدوجة، الداخلية قطرها ١٣,٥ متر وشكلها مستدير تقريباً ومطرزة من الداخل بالفسيفساء والقاشاني الجميل، أمّا الخارجية فذات شكل بصلي يبلغ قطرها ١٦,٥ متراً ومحيطها ٥١,٨٥ متراً ومغلفة بالألواح الذهبية. تخترق القبة الداخلية اثنتا عشرة نافذة تقابل نوافذ القبة الخارجية. ويوجد في أعلى القبة ثريا ذهبية تحمل مجموعة كبيرة من المصابيح المتوهجة تُوّجت بلفظ الجلالة (الله).

لقد أعرضنا في هذه الدراسة عن ذكر عدد الصفائح الذهبية التي تُغلّف القبّة العلوية المشرّفة لأننا عندما طالعنا المصادر وجدنا تبايناً كبيراً في ذكر أعدادها عند من كتب عن المرقد المقدس. ورد في دليل العتبة العلوية المقدسة ما يأتي: (وبسبب اختلاف حجم الصفائح التي تغطي القبّة – حيث تصغر الصفائح كلّما صعدت إلى

القمة – لا يمكن حساب العدد بشكل دقيق من خلال تحديد العدد في طول القبّة وعرضها وزاوية ميلها، لذلك اختلفت الأقوال في عددها ...)[١].

إنَّ المهم باعتقادنا ليس عدد الصفائح الذهبية التي تغلّف المرقد العلوي المقدس، وإنما الفلسفة العميقة والمعنى الرمزي الكبير لعملية التذهيب والتي تدل على انَّ الذهب جاء خاضعاً لمرقده المقدس بعد أنْ زهد فيه أمير المؤمنين عليه السلام وفي الدنيا بأجمعها وهو خليفة المسلمين، فهو القائل: ((يا دُنيا إلَيكِ عَنّي، أَبِي تَعرّضتِ، أَمْ إليَّ تَشوّقتِ، لا حانَ حَيْنُك، هَيهاتَ غُرّي غَيري، لا حاجةَ لِي فيكِ، قَدْ طَلَّقتُكِ ثلاثاً لا رَجعةَ فيها، فَعيشُكِ قَصيرٌ، وخَطَرُكِ يَسيرٌ، وأَمَلُكِ حَقيرٌ، آهِ مِنْ قِلَّةِ الزّادِ، وطولِ الطّريقِ، وبُعدِ السّفرِ، وعَظيمِ المَوردِ))[٢].

وإلى هذا المعنى أشار الشاعر الدكتور عباس الترجمان رحمه الله في الأُرجوزة النجفية بقوله:

ما غرَّتِ الصفراءُ والبيضاءُ نفس عليٍّ وهي الاباءُ
راحَ على أعتابِهِ يهوي الذهب مُؤمِّلاً أن يرتقي بعض الرُتَب[٣]

يحيط بقاعدة القبة حزام طوله ٥١,٧٧ متر وبارتفاع ١,٥ متر مكتوب عليه سورة الفتح بحروف نحاسية بارزة مطلية بالذهب وطُليت أرضية الحزام بالمينا الزرقاء، ويحيط الحزام من الأعلى والأسفل شريط مكون من قطع كُتب عليها شعر بحق الإمام علي عليه السلام.

جاء في دليل العتبة العلوية المقدسة ما نصه: (من بين الظلامات الكثيرة التي طالت العتبة العلوية المقدسة هو رفع حزام القبة الشريفة بعد أحداث الانتفاضة الشعبانية في عام ١٩٩١ بحجة وجود كتابات باللغة الفارسية فيه. وانطلاقاً من رؤية أمانة العتبة العلوية المقدسة واتخاذها قراراً بإعادة كل ما رُفع لأغراض طائفية أو

(١) دليل العتبة العلوية المقدسة: ١٣٢.
(٢) نهج البلاغة: ٥١٦/٤.
(٣) الأُرجوزة النجفية: ٤٦.

عِرقية أو سياسية، ورفع كل ما وُضع على الأساس نفسه. تم العمل على المباشرة لإعادة حزام قبّة أمير المؤمنين عليه السلام إلى محيطها من جديد بعد إجراء عمليات الصيانة لإحياء قطعِه التي تضررت كثيراً بسبب القلع الهمجي لها... وكان العمل متواصلاً وبالتتابع لتثبيت تلك القطع حتى انتهت جميعاً بعد جهد كبير ومتواصل ليلاً ونهاراً وبدقة عالية لإظهار القبة بحلّتها الجميلة، ويتم إعلان الخبر السعيد متزامناً مع أفراح العالم الإسلامي بذكرى ولادة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في الثالث عشر من رجب الأصب من العام ١٤٣٠هـ الموافق ٢٠٠٩/٧/٦م لتزدان قبّة أمير المؤمنين بحزامها من جديد بعد أنْ غادرها لأكثر من عقدين من الزمن)[1].

أما المنارتان الذهبيتان فهما من الطراز المعماري الصفوي، وقد شُيدتا مع أصل البناء. تقع المنارتان الاسطوانيتان بالجهة الشرقية من الضريح على طرفي الإيوان الذهبي، ويبلغ ارتفاع كل منهما ٢٩ متراً، وتستند كل منارة على قاعدة متعددة الأضلاع، وبشرفة المنارة ١٢ نافذة مفتوحة على جميع الجهات. وتنتهي المنارة بقبّة ذهبية مفصصة جميلة يتوج مشجرة المصابيح بقمتها لفظ الجلالة (الله).

يقع بجانب قاعدة المنارة الشمالية الحجرة التي دُفن بها العلاّمة الحلي قدس سره، وهو الشيخ جمال الدين أبو منصور بن المطهر الحلّي المتوفى سنة ٧٢٦ هـ أحد علماء حوزة الحلة، فيما دُفن المقدس الأردبيلي رضي الله عنه بالحجرة المجاورة للمنارة الجنوبية، وهو الشيخ احمد بن محمد الأردبيلي المتوفى سنة ٩٩٢هـ، والذي يُعد أحد أكابر علماء حوزة النجف.

أما بالنسبة لمئذنة الساعة فهي تُعد بحق آية من آيات الفن الجميل تقع فوق جدار الباب الكبير للصحن الحيدري الشريف الذي يسمّى بباب الساعة في مقابل الإيوان الذهبي، وتتكون المئذنة من طبقتين مكعبتين تعلوهما قبّة ذهبية مقامة على ثمانية أعمدة تشكل فيما بينها ثمانية نوافذ مقوسة، ويعلو القبة إكليل ذهبي متوّج بلفظ الجلالة (الله). ويبلغ ارتفاع مئذنة الساعة نحو ٢٧ متر عن أرض الصحن الشريف.

---

(١) دليل العتبة العلوية المقدسة: ١٦٢، ١٦٥.

تم إكساء قبّة مئذنة الساعة بصفائح ذهبية من قبل رجل محسن من أهالي مدينة تبريز عام ١٣٢٣هـ، كما جُدد تذهيب المئذنة بعد حوالي السبعين عاماً وبالتحديد سنة ١٣٩٣هـ وبسعي من آية الله العظمى السيد محمود الحسيني الشاهرودي قدس سره المتوفى سنة ١٣٩٤هـ.

يوجد جسم الساعة بالطبقة العلوية الثانية، حيث يظهر هيكل الساعة الرئيس البديع الشكل مطلاً على الوجوه الأربعة للمئذنة بأرقام يونانية قديمة، ولهذه الساعة ماكنة مركزية ورقاص وثلاثة أثقال وثلاثة أجراس.

وتُعد هذه الساعة من الساعات المعدودة عالمياً، ولا يوجد مثيل لها في العراق سوى واحدة فقط. صَنعَ هذه الساعة الانجليزي W.H.Raileys من مدينة مانشيستر في إنجلترا. أهداها سنة ١٣٠٥هـ الوزير علي أصغر بن ابراهيم خان المتوفى سنة ١٣٢٥هـ، وكان من أدباء إيران وساستها المشهورين في عهد السلطان ناصر الدين شاه القاجاري.

وقد أرّخ نصب هذه الساعة في المئذنة الحاج محمد رضا الكرماني بقوله:

ذي قبّة الكرار حامي الحما أنوارها في الكـــون لّاعه

فيـا مواليـــــه بتاريخنـــا (بصحنها قد وضعوا ساعه)

وبعد أنْ عانت هذه المئذنة الشهيرة وساعتها الفريدة من الإهمال والدمار إبان عهد النظام البائد وتضررها من جراء الشظايا والاطلاقات النارية من أحداث الانتفاضة الشعبانية المباركة سنة ١٩٩١، قامت الكوادر الهندسية والفنية في العتبة العلوية المقدسة بجهود جبارة أثمرت عن ترميم المئذنة بالكامل. وتم التنفيذ من قبل شركة الأبحاث العالمية التي كان يرأسها الدكتور المهندس محمد علي الشهرستاني رحمه الله المتوفى سنة ٢٠١١.

إنَّ إعادة بناء مئذنة الساعة تم بذات القياسات والشكل السابق ولكن بحُلّة جديدة وجميلة تليق بتاريخها وأهميتها لأهل المدينة والزائرين. حيث تم إعادة تغليفها بالقطع المطلية بالذهب للحفاظ على شكلها العام التاريخي، وإظهارها برونقها الجميل المُزيّن

بالقاشاني المعرّق بالنقوش الاسلامية والكتابات وبعض الأحاديث النبوية الشريفة بحق الامام علي عليه السلام. كما قامت الكوادر المختصة بإصلاح أجزاء الساعة بالكامل لتعود تعمل بوضعها الطبيعي وتُسمع دقاتها الجميلة من جديد[١].

إنَّ منشآت العتبة العلوية المقدسة عانت ولعقود عدة خلال فترة حكم النظام البائد من الإهمال الذي أدىّ إلى تضرر الكثير من مفاصلها. أورد دليل العتبة العلوية المقدسة الآتي: (عانى البناء المُشيّد فوق مرقد أمير المؤمنين عليه السلام لفترة طويلة من الزمن وكجزء من السياسة الرعناء التي استهدفت شيعة أهل البيت عليهم السلام ورموزهم ومقدساتهم إلى الإهمال المتعمد والاستهداف المقصود، فكانت تلك السنين من أشد السنين وطأة على عمارة المرقد المقدس، إذ لم تشهد مفاصل العتبة أي إعمار يُذكر)[٢].

ومن الجدير بالذكر انّهُ بعد سقوط النظام السابق الذي تعمد إحداث التخريب والإهمال في العتبات المقدسة ومنها الروضة الحيدرية المقدسة، استلمت المرجعية الدينية في النجف الأشرف ممثلة بالمرجع الأعلى للطائفة سماحة السيد على الحسيني السيستاني دام ظله مهام الإشراف على العتبة العلوية المقدسة لإدارة شؤونها ورعايتها وبما يتناسب وقدسيتها، وتم افتتاح الصحن الحيدري الشريف في النصف من شعبان سنة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

وقامت إدارة العتبة العلوية في المرحلة الماضية التي تلت سقوط النظام السابق والتي تعاقب على مسؤوليتها كل من سماحة السيد علي السبزواري وسماحة السيد محمد رضا الغريفي والسيد مهدي الحسيني بتنفيذ كثير من الأعمال المهمة في الصحن الحيدري الشريف والتي تضمنت المشاريع الهندسية الهادفة إلى إعادة البناء والترميم للمنشآت والبُنى التحتية للعمارة القديمة وأعمال الصيانة، وإنشاء المباني الجديدة، إضافةً إلى تأسيس كثير من المشاريع والأقسام المهمة وتنظيم الفعاليات الثقافية التي

(١) لمزيد من التفصيل يُنظر: دليل العتبة العلوية المقدسة ١٥٨.

(٢) دليل العتبة العلوية المقدسة: ١٤١.

تصب منافعها في خدمة العتبة العلوية المقدسة وزوارها الكرام.

إنَّ من أهم الأعمال المنجزة في الحرم العلوي المقدس هي إعادة تذهيب وصيانة الشباك المطهر سنة ١٤٢٧هـ و نصب باب ذهبي جديد لشباك الضريح سنة ١٤٣٢هـ بتبرع من سلطان البهرة السيد محمد برهان الدين، ونصب بعض الأبواب الذهبية للحرم المطهر، وتبديل الكتيبة القرآنية المحيطة بالجدار الداخلي للحرم الطاهر من الكاشي الكربلائي القديم إلى القاشاني المُعرّق بالآيات المكتوبة سابقاً نفسها، وتبديل المرايا المتضررة بداخل الحرم وأروقته، ونصب ثريات جديدة فاخرة الصنع، وتجديد أرضية وجدران الحرم المطهر بالمرمر الأونكس الأخضر، وتبديل أرضية سطوح العتبة العلوية المقدسة واستحداث ميازيب جديدة، بالإضافة إلى تكييف الحرم الطاهر.

أما الأعمال المنجزة في الصحن الحيدري الشريف فكان أهمها إعادة بناء مسجد عمران بن شاهين والمدرسة الغروية وترميم غرف الصحن الشريف، واعادة بناء مئذنة الساعة، وتطوير وتنظيم عمل المكتبة الحيدرية، وتبديل أرضية الصحن الشريف بمرمر الثاسيوس الفاخر ذي المواصفات الراقية[1]، واستخدام القاشاني

(١) دُفن في أرض الصحن الحيدري الشريف فيما مضى خلق كثير، فتضررت الأرض كثيراً، عندها أمر السيد محمد مهدي بحر العلوم رضي الله عنه في سنة ١٢٠٦ هـ بردم الصحن وتعبيده بالصخر الأبيض وكان الباذل لنفقة العمل مير خير الله. وفي سنة ١٣١٦هـ أعيد إصلاح الأرضية بأمر من السلطان العثماني عبدالحميد الثاني. أما إبدال أرضية الحرم العلوي بالمرمر الايطالي الصقيل فقد تم في سنة ١٣٥٩هـ تبرعاً من سلطان البهرة السيد طاهر سيف الدين. لمزيد من التفصيل يُنظر: ماضي النجف وحاضرها ٧١/١، تاريخ النجف الأشرف ٣٦٨/١.

وفي زمن النظام السابق تم إكساء الأرض بنوع ردئ من المرمر العراقي المسمى كارخان، ما أدى إلى حدوث كثير من التكسرات والتصدعات، وتداركاً للحالة المزرية لأرضية الصحن الشريف تم في سنة ٢٠٠٨ رفع المرمر القديم وإكساؤه بمرمر الثاسيوس الأبيض اليوناني ذي المواصفات العالية التي تلائم جو المدينة حيث انَّ خاصيته الرئيسة تتمثل في كون درجة حرارته تقل عن درجة حرارة الجو المحيط بـ ١٤ درجة مئوية، وقد اكتمل العمل في عام ٢٠٠٩. لمزيد من التفصيل يُنظر: دليل العتبة العلوية المقدسة ١٦٦.

المعرّق – الفاخر في صنعه والنفيس في نقشه – لتجميل الجدران الداخلية المتضررة، وترميم وتجميل الواجهة الخارجية لسور الصحن الشريف مع الحفاظ على الطراز القديم نفسه الذي شيد به، وتوفير الماء الصالح للشرب.

وكانت آخر الأعمال المهمة المنجزة إنشاء رواق أبي طالب عليه السلام بعمارة هندسية فخمة وريازة إسلامية رائعة بمساحة ١٢٠٠ متر مربع، وتم افتتاح هذا الرواق في ١٣ رجب ١٤٣٢هـ/٢٠١١م بمناسبة ذكرى ولادة أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام. وكان الهدف من إنشاء هذه التوسعة المهمة التي ترتبط بالضريح المقدس من الجهة الغربية هو استيعاب أكبر عدد من الزائرين، وقد أثبت الواقع العملي نجاح هذا المشروع.

وفي سنة ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م تسلّم مسؤولية الأمانة العامة للعتبة العلوية المقدسة سماحة الشيخ ضياء الدين زين الدين، إذ تواصل العمل في التركيز على المشاريع العمرانية الشاملة لتطوير الروضة الحيدرية المقدسة وتقديم أفضل الخدمات للزائرين الكرام.

وقد كان أول انجاز لأمانة العتبة العلوية بإدارتها الجديدة نصب بابين ذهبين في مدخل الجهة الغربية للروضة الشريفة عند رأس أمير المؤمنين عليه السلام في نهاية شهر رجب الأصب من العام الحالي ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م. وكان هذا المدخل مغلقاً سابقاً بشباك معدني ثابت، لذلك فان هذا العمل المبارك سهل حركة الزائرين باتجاه الرواق الغربي ومن ثمَّ إلى رواق أبي طالب عليه السلام.

ويعلو هذين البابين في الوسط لوحة صغيرة شهيرة من آثار العهد الصفوي، يُعتقد أنها تحكي قصة العمارة الأولى للمرقد العلوي المطهر، حيث يظهر في الرسم ما يُعتقد انّهُ الخليفة هارون العباسي على أرض معشوشبة بجانب شجرة وكلب صيد، وقد سدد سهمه على ظبي هارب ومستجير بقبر أمير المؤمنين عليه السلام.

تبلغ مساحة فضاء الصحن الحيدري الشريف ٤٤٢٨ متراً مربعاً، ويحيط جدار الصحن بباحات فسيحة ثلاث تحد الحرم العلوي المطهر من جهاته الشرقية والشمالية والجنوبية، ويُحاط الصحن بسور كبير من الآجر بارتفاع ١٢ متر تقريباً يتألف من

مجموعة كبيرة من الحجرات تنتظم بطابقين تتقدمها أواوين متشابهة من ناحية الشكل والحجم، باستثناء الأواوين الكبيرة.

كانت الغرف سابقاً مسكناً لطلبة العلم، فمن المعروف تاريخياً انَّ الصحن الحيدري الشريف هو أول مدرسة علمية في هذه المدينة المقدسة، تخرّج منها آلاف العلماء عبر القرون المتتالية. وقد تم إيصاد أبواب هذه الغرف لأسباب طائفية وسياسية بعد انتفاضة صفر عام ١٩٧٧.

وقد أشار إلى ذلك دليل العتبة العلوية المقدسة حيث ورد ما نصه: (وقد أُخليت هذه الغرف بعد انتفاضة صفر عام ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، حين قامت سلطة النظام المقبور بإخلائها لتصفية الحوزة العلمية في النجف الأشرف والرموز الدينية للمذهب في أنحاء العراق، فبقيت هذه الغرف فارغة مهملة طيلة فترة تصل إلى أكثر من خمسة وعشرين عاماً، فامتلأت بفضلات الطيور والأتربة والمخلفات الأخرى)[1].

إنَّ أشهر الأواوين الكبيرة التي يضمها الصحن الحيدري الشريف هي:

أولاً- إيوان اليزدي: يقع في الجهة الشمالية من جدار الصحن الحيدري الشريف، وقد أصبح اليوم مدخلاً رئيساً لمسجد عمران بن شاهين، حيث كُتب في أعلى الباب المطل على الباحة الشمالية للصحن الحيدري الشريف عبارة "مسجد عمران بن شاهين".

وعند الدخول للمسجد نشاهد من جهة اليسار الشباك الخشبي للمرقد المنور لمرجع الطائفة آية الله العظمى السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي قدس سره المتوفى سنة ١٣٣٧هـ والذي يجاوره تماماً من الجهة الأخرى شباك مرقد الإمام السيد عبدالحسين شرف الدين الموسوي قدس سره المتوفى سنة ١٣٧٧هـ صاحب كتاب المراجعات وغيره من المؤلفات المهمة.

يقابل إيوان اليزدي مباشرة إيوان العلماء من جهة الحرم العلوي المطهر، وقد عُرف بهذا الإسم نظراً لكثرة العلماء الأعلام الذين دُفنوا به.

---

(١) دليل العتبة العلوية المقدسة: ٥١.

ثانياً- إيوان الحبوبي: يقع في الجهة الجنوبية من جدار الصحن الحيدري الشريف، وقد عُرف بهذا الإسم لأنه دُفن فيه العلاّمة الشاعر المجاهد السيد محمد سعيد الحبوبي رحمه الله المتوفى سنة ١٣٣٣هـ. وكُتب في أعلى باب هذا الإيوان عبارة " لجنة الإجابة عن المسائل الشرعية ".

يقابل إيوان الحبوبي مباشرة إيوان الميزاب الذهبي من جهة الحرم العلوي المطهر، والذي عُرف بهذا المُسمّى بسبب ميزاب مطلي بالذهب يعلو هذا الإيوان.

يوجد في السور الذي يغلف جدار الصحن العلوي الشريف خمسة أبواب هي:

١. باب الساعة، وهو الباب الكبير الشرقي الذي تعلوه مئذنة الساعة. يقع هذا الباب في وسط الضلع الشرقي من السور.

٢. باب الطوسي، وهو الباب الشمالي المؤدي إلى مسجد الشيخ الطوسي. يقع في وسط الضلع الشمالي من السور.

٣. باب القبلة، وهو الباب الجنوبي المواجه لبيت الله الحرام. يقع في وسط الضلع الجنوبي من السور.

٤. باب الفرج، أو الباب العمارة أو باب السلطاني. وهو الباب الغربي الذي يقع في الجهة اليسرى من الضلع الغربي للسور إلى جانب رواق أبي طالب عليه السلام.

٥. باب مسلم بن عقيل عليه السلام، أو باب العبايجية أو باب العكل، يقع ضمن الضلع الشرقي من السور إلى جانب مسجد الخضراء.

المبحث الثاني

منهجية الدراسة

المبحث الثاني

منهجية الدراسة

مشكلة الدراسة:

إنَّ عدم إجراء أية توسعة حقيقية للروضة الحيدرية المقدسة منذ أربعة قرون تقريباً قد نتج عنه مشكلات كبيرة كانت نتائجها سيئة على مجمل الأنشطة التي تحدث في محافظة النجف الأشرف وخاصة في المناسبات الدينية. وأهمها طمس معالم المرقد العلوي المشرّف، وتضرر التراث العمراني الإسلامي داخل المدينة القديمة، بالإضافة إلى المشكلات والمصاعب الكثيرة التي يعاني منها الزوار الكرام الوافدون لزيارة أمير المؤمنين عليه السلام.

أهمية الدراسة:

نعتقد انَّ تصميم "قطب الدائرة" الذي اقترحناه هو التصميم الأفضل والأمثل لحل جل المشكلات إنْ شاء الله تعالى، لأنّه سيؤدي جميع الوظائف الذي وضعت من أجله. يُضاف إلى ذلك انّهُ يزاوج بين التخطيط الحضري والتخطيط العقائدي، ويربط بين البعدين المادي والروحي في التنفيذ المعماري لنسج البناء الجديد.

هدف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى إجراء تطوير حقيقي وتوسعة نافعة للروضة الحيدرية المقدسة، يتم من خلاله إبراز المرقد العلوي المقدس بأكمل هيئة وأجمل حُلَّة، وبما يليق بصاحب هذه الولاية أمير المؤمنين عليه السلام، وأنْ يكون فريداً في نوعه ومميزاً عن غيره، وأعظم عمل فني في تاريخ عمارة المراقد الدينية المقدسة بإذن الله تعالى، تفيض من بركاته فوائد اجتماعية عدة، دينية وتاريخية وأثرية وتراثية واقتصادية وسياحية وغيرها، تعم محافظة النجف الأشرف والعراق بكامله.

المبحث الثالث

الأسباب الموجبة لتطوير الروضة الحيدرية المقدسة

المبحث الثالث

الأسباب الموجبة لتطوير الروضة الحيدرية المقدسة

إنَّ أهم المراقد المقدسة في العراق قاطبةً، هو الحرم العلوي المطهر في مدينة النجف الأشرف. والعمارة الحالية هي العمارة الصفوية التي أمر بإنشائها الشاه صفي الصفوي ويعود تاريخها لسنة ١٠٤٧هـ. ما يعني انّه لم تجرَ توسعة إضافية لها منذ أربعة قرون تقريباً، ما ولّد مشكلات كبيرة ومعقدة ألقت بظلالها على مجمل الأنشطة المختلفة التي تحدث في هذه المدينة المقدسة وخاصة في المناسبات الدينية. ونعتقد انَّ أهم الأسباب الداعية للتطوير هي كما يأتي:

أولاً– حسن أداء الولاية:

إنَّ آيات كتاب الله واضحة وصريحة وتلك أيضا سُنّة رسولِ الله صلى الله عليه وآله تُلزمُنا بوجوب التمسك بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام، وهذا الأمر يحفزنا على وجوب إجراء التطوير العمراني الهندسي التقني لمرقده المطهر المنور وفقاً لأحدث أساليب الهندسة المعمارية للمراقد المقدسة في وقتنا الحالي، وبالتالي إظهار المرقد المقدس بما يتناسب وعظمة وقدسية أفضل خلق الله بعد نبيه محمد صلى الله عليه وآله، وبما يليق بصاحب هذه الولاية، إمام المتقين ويعسوب المسلمين وقائد الغر المُحجّلين ووصي الرسول وزوج ابنته البتول، وأبو الأئمة الأنوار الهادين المهديين، عليهم صلوات الله أجمعين.

ومن جانب آخر يمثل هذا الأمر جزءاً يسيراً من الحق الذي يجب أنْ نؤديه لإمامنا عليه السلام بعد شهادته، أوَ ليس هو القائل: ((أيُّها الناسُ إنَّ لي عَليكُمْ حَقاً ولَكُمْ عَليَّ حَقٌّ، فأمّا حَقُّكُمْ عَليَّ فالنصيحةُ لَكُمْ، وتَوفيرُ فيئِكُمْ عَليكُمْ، وتَعليمُكُمْ كَيْلا تَجهَلوا،

وتَـأديبُكُمْ كَيْمـا تَعلَمـوا. وأمّـا حَقّـي عَلـيكُمْ فالوفـاءُ بالبَيعـةِ والنصـيحةُ في المَشـهَدِ والمَغيبِ، والإجابةُ حينَ أدعوكُمْ والطاعةُ حينَ آمُرُكُم))[1].

ولابد لنا من الإشارة إلى نقطة مهمة لها صلة بهذا الموضوع وهي انَّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه هو أبو الأئمة الأطهار عليهم السلام وأفضلهم منزلة، ولذلك يجب أنْ تكون الروضة الحيدرية المقدسة عظيمة ومهيبة وبما يتناسب والمقام الرفيع لوصي رسول الله صلى الله عليه وآله. ألم نقرأ حديث الشيخ ابن قُولَوَيه القُمي بإسناده عن أبي وهب البصري، قال: (دخلتُ المدينة فأتيتُ أبا عبدالله عليه السلام، فقلت: جُعِلتُ فداك أتيتك ولم أزر قبر أمير المؤمنين عليه السلام، قال: ((بئس ما صنعت، لولا انّك من شيعتنا ما نظرتُ إليك، ألا تزور من يزوره الله تعالى مع الملائكة، ويزوره الأنبياء ويزوره المؤمنين، قلت: جُعِلتُ فداك ما علمت ذلك، قال: فاعلم أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام أفضل عند الله من الأئمة كلّهم وله ثواب أعمالهم، وعلى قدر أعمالهم فُضّلوا)))[2].

روى علماء السنة والشيعة في كتب الحديث ومنهم القندوزي الحنفي قول رسول الله صلى الله عليه وآله: ((عنوان صحيفة المؤمن حُبُّ عليّ بن أبي طالب))[3]. واخرج الطبراني في رواية معتبرة، عن ابن عباس، قال: (لما نزلت ﴿ قُلْ لا أسألُكمْ عليهِ أجراً إلاّ المودةَ في القُربى﴾(الشورى/٢٣) قالوا: يا رسول الله مَن قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: ((عليٌّ وفاطمة وابناهما رضي الله عنهم))[4]. وأخرج الحاكم النيسابوري عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع عليّاً فقد أطاعني، ومن عصى عليّاً فقد عصاني))[5].

---

(١) نهج البلاغة: ٧٨/١.

(٢) كامل الزيارات: ٣٨.

(٣) ينابيع المودة: ٢٧٢/٢.

(٤) المعجم الكبير: ٣٥١/١١.

(٥) المستدرك على الصحيحين: ١٢١/٣.

إنَّ إلزام شيعة أهل البيت عليهم السلام بضرورة حسن اتباع الولاية والطاعة لأمير المؤمنين الإمام علي المرتضى عليه السلام، يأتي مصداقاً لقول الله سبحانه وتعالى فيه في محكم كتابه العزيز: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (المائدة/٥٥).

ودلّت أقوال جملة من الصحابة، والتابعين، والعلماء، من أهل التفسير والحديث، على انَّ هذه الآية نزلت في شأن الامام عليٍّ عليه السلام حين تصدق بخاتمه وهو راكع، وقد استفاضت الروايات بذلك من طرق الخاصة والعامة.

وأنشأ الشاعر حسّان بن ثابت الأنصاري يقول في ذلك:

أبا حسنٍ تفديكَ نفسي ومهجتي ... وكلُّ بطيءٍ في الهدى ومسارعِ
أيذهب مدحي والمحبينَ ضائعاً ... وما المدح في ذات الإله بضائعِ
فأنت الذي أعطيتَ إذ أنتَ راكعٌ ... فدتكَ نفوسُ القومِ يا خيرَ راكعِ
بخاتَمك الميمونِ يا خير سيّدٍ ... ويا خيرَ شارٍ ثمَّ يا خير بائعِ
فأنزل فيك اللهُ خيرَ ولايةٍ ... وبيّنها في مُحكماتِ الشرائعِ

روي عن الامام محمد الباقر عليه السلام قوله: ((بُنِيَ الإسلام على خمسٍ: على الصلاةِ والزكاةِ والصومِ والحجِّ والولايةِ، ولم يُنادَ بشيءٍ كما نوديَ بالوَلاية))[1]. وأخرج أبو داود الطيالسي في مسنده عن ابن عباس، قال: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعليٍّ: ((أنت وليُّ كلِّ مؤمن بعدي)) [2].

وحسبُنا حديث واقعة الغدير الصحيح المتواتر، وما كتبه العلامة الشيخ عبدالحسين الأميني النجفي طاب ثراه المتوفى سنة ١٣٩٠هـ في مؤلفه الذائع الصيت "موسوعة الغدير" في بحثه المسهب الذي بلغ مجلدات عدة، والذي استوفى فيه وفقاً لمنهج البحث العلمي المعروف أدلة الإثبات على صحة بيعة الغدير، مستنداً في ذلك إلى أقوال أئمة المؤرخين والحديث والتفسير وغيرهم في كتبهم ومسانيدهم، ليكون

(١) تفصيل وسائل الشيعة: ٢٣/١.

(٢) مسند الطيالسي: ٣٦٠.

حديث الغدير التفسير الشرعي لاستحقاق الإمامة والخلافة والوَلاية بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

يحدثنا المؤرخ الكبير الشيخ باقر شريف القرشي رحمه الله في كتابه حياة محمد فيقول ما نصه: (وبعد ما أدّى النبي صلى الله عليه وآله الحج إلى بيت الله الحرام، ووضع الخطط السليمة لصيانة الأمة من التردي في مجاهل هذه الحياة قفل راجعاً إلى المدينة، ولما اجتاز موكبه في غدير خُمّ هبط عليه جبرئيل برسالة من السماء بالغة الخطورة تتعلق بمصير الأمة ومستقبلها بعد رحيله إلى جنة المأوى، فقد أمره الله تعالى أنْ يحط رحله في ذلك المكان لينصِّب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إماماً للأمة وخليفةً عليها من بعده، ويقلّده المرجعية العامة لها، ولم يرخصه في التأخير لحظة واحدة، وكان أمر السماء بهذه الآية ﴿ يأيُّها الرسولُ بَلِّغْ ما أُنزِلَ إليكَ من ربِّكَ وإنْ لَّمْ تفعلْ فَما بلَّغتَ رسالتَهُ واللهُ يَعصِمُكَ مِنَ النّاسِ ﴾(المائدة/٦٧)... واجتمع الحُجّاج فصلّى بهم النبي صلى الله عليه وآله، وبعد فراغه من الصلاة أمر بوضع حدائج لتكون منبراً له، فصُنعت له فاعتلى عليها، وكان عدد الحاضرين - فيما يقول الرواة - مائة ألف أو يزيدون، فخطب فيهم وأعلن عما عاناهُ من الجهود الشاقة في سبيل هداية الناس وإنقاذهم من خرافات الجاهلية وعبادة الأوثان والأصنام، ثم ذكر كوكبة من أحكام الإسلام وتعاليمه، والتفت إلى الجماهير قائلاً ((انظُروا كيف تخلُفوني في الثَّقَلَين؟)). فناداه مناد من القوم: ما الثقلان يا رسول الله؟ وبيّن بوضوح وصراحة الثقلين قائلاً: ((الثَّقَلُ الأكبرُ: كتابُ اللهِ طرَفٌ بيد اللهِ عزَّ وجلَّ، وطرَفٌ بأيديكُم فتمسَّكوا به ولا تَضلوا، والآخرُ الأصغرُ: عِترتي، وإنَّ اللطيفَ الخبيرَ نبَّأني أنهما لن يفترِقا حتى يَرِدا عليَّ الحوضَ، فسألتُ ذلك ربِّي لهما، فلا تَقدَّموهما فتهلِكوا، ولا تَقصُروا عنهما فتهلِكوا))[1].

(١) حياة محمد صلى الله عليه وآله: ٣/١٨٢-١٨٤.

ورد في معجم البلدان ٢/٣٨٩ ما يأتي : (قال الحازمي: خُمّ واد بين مكة والمدينة عند الجحفة به غدير، عنده خطب رسول الله، صلى الله عليه وسلم).

قال الشيخ المفيد في إرشاده: (وبقوله أيضاً عليه السلام يوم غدير خُمّ وقد جمع الأمة لسماع الخطاب: ((ألست أولى بكم من أنفسكم؟)) قالوا: اللهم بلى، فقال لهم على النسق من غير فصل بين الكلام: ((من كنت مولاه فعليّ مولاه))، فأوجب له عليهم من فرض الطاعة والولاية ما كان له عليهم مما قررهم به من ذلك فلم يتناكروه. وهذا أيضاً ظاهر في النص عليه بالإمامة والاستخلاف له في المقام)[1].

وانبرى الشاعر حسّان بن ثابت فنظم هذه الحادثة الخالدة بقوله:

يُناديهم يومَ الغدير نبيُّهم ... بخُمٍّ وأسمِعْ بالرسول مُناديا
فقالَ فَمَنْ مولاكمُ ونبيكُم ... فقالوا ولم يُبدوا هناك التعاميا
إلاهُك مولانا وأنت نبيُّنا ... ولم تلقَ منا في الولايةِ عاصيا
فقال له قُم يا عليُّ فإنني ... رَضيتُك منْ بعدي إماماً وهاديا
فمَنْ كنتُ مولاهُ فهذا وليُّهُ ... فكونوا لهُ أتباعَ صدقٍ مَواليا
هناك دَعا اللهُمَّ والي وليّهُ ... وكُنْ للذي عادى عليّاً مُعاديا

ثانياً– الحفاظ على التراث العمراني الإسلامي بداخل المدينة القديمة:

إنَّ هذه الدراسة تؤكد على أنَّ مدينة النجف الاشرف تُعد من أهم الحواضر العلمية في العالم الإسلامي قاطبةً، وإرث شيعي إسلامي عالمي خالد. ومن هذا المنطلق المهم ينبغي تطوير جميع المباني الإسلامية التي تمثل الحضارة والذاكرة الخالدة للمدينة القديمة، من مساجد ومدارس دينية ومكتبات وأثار تاريخية وأبنية تراثية. وهذا الأمر يدعم الحوزات العلمية ويعزز دور النجف كعاصمة للتشيع في العالم.

ويدخل ضمن عملية المحافظة على المعالم الاسلامية بالمدينة القديمة التطوير المؤمّل للأضرحة المنورة لعلماء الدين الأعلام قدّس الله أنفسهم الزكية، من أمثال شيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠هـ والشيخ الورع فخر الدين الطريحي المتوفى سنة ١٠٨٥ هـ وسيد الطائفة محمد مهدي بحر العلوم المتوفى سنة ١٢١٢ هـ

(٢) الإرشاد: ١٦.

والشيخ الأكبر جعفر كاشف الغطاء المتوفى سنة ١٢٢٨ هـ وشيخ الفقهاء محمد حسن الجواهري المتوفى سنة ١٢٦٦ هـ وفقيه العراق الشيخ راضي المالكي المتوفى سنة ١٢٩٠هـ والإمام الأكبر السيد محسن الحكيم المتوفى سنة ١٣٩٠ هـ وقدّيس الفقهاء السيد عبدالأعلى السبزواري المتوفى سنة ١٤١٤ هـ وغيرهم كثر من المدفونين في المساجد، أو بمقابرهم الخاصة المعروفة في المدينة القديمة.

إنَّ هؤلاء العلماء الأعلام ليشرّفهم أنْ تكون جثامينهم المباركة داخل الصحن الحيدري الجديد حالهم حال العشرات من أعاظم علماء الطائفة المدفونين ضمن الصحن الحيدري القديم. وسيكون لهؤلاء العلماء قُدّست أسرارهم أضرحة مميزة داخل الصحن الجديد بإذن الله تعالى، يتعرف من خلالها الزائر بشخصياتهم وسيرهم المشرفة التي أغنت الحركة العلمية الدينية في صرح الإسلام مدينة النجف الأشرف المقدسة.

إنَّ أغلب المؤرخين ممن تكلم عن مدينة النجف الاشرف من الماضين والمعاصرين قد ذكروا بكتبهم هذه المباني، وذكروا مؤسسيها وتاريخ تشييدها والدور الذي أدّته في خدمة الحركة العلمية والثقافية. ولمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع لهذه الكتب.

إنَّ أشهر مساجد مدينة النجف القديمة في الوقت الحاضر – ما عدا مسجد عمران بن شاهين ومسجد الخضراء الملحقين بالصحن الحيدري الشريف[1] – هي جامع

(١) مسجد عمران شيده أمير البطاح عمران بن شاهين المتوفى سنة ٣٦٩هـ في زمن عضد الدولة البويهي، وكان في الأصل رواقاً. وهو يحتل مساحة كبيرة من الجهة الشمالية للصحن الحيدري الشريف الى اليسار من باب الطوسي. قال الشيخ جعفر محبوبه عنه ما نصه: (مسجد عمران لم يعلم قبل انَّه كان مسجداً بل المشهور والمسطور انَّه بُني رواقاً فعلى هذا هو من جملة أروقة الحرم العلوي ولا ريب في جواز الدفن فيه. وغير بعيد انَه بعد انفصاله عن الحرم العلوي رتبت عليه آثار المسجدية...). ماضي النجف وحاضرها ١٠٢/١.

أما مسجد الخضراء فهو من مساجد النجف القديمة ولكن لا يعرف تاريخ إنشائه على وجه التحديد، وهو يلاصق الضلع الشرقي للصحن الشريف من جهة اليمين بالنسبة للداخل للصحن من باب الساعة، وله مدخل يطل على الصحن من الايوان الثاني. وقد تم تجديد بنائه على يد زعيم=

الطوسي ومسجد الطريحي وجامع كاشف الغطاء وجامع الهندي وجامع الجواهري وجامع الأنصاري (مسجد التُرك) وجامع السبزواري.

وذُكرت معلومات وافية عن المدارس الدينية في كثير من الكتب التي تناولت تاريخ النجف الأشرف ولاسيما المدرسة الغرويّة[1] الموجودة اليوم في الصحن الحيدري الشريف. علماً انَّ الصحن الشريف يُعد أول مدرسة علمية في النجف، وكانت غرفه مسكناً لطلبة العلوم الدينية الوافدين من شتى الأمكنة.

قال الشاعر عباس الترجمان في أُرجوزته:

مَدرسُ طلاب علومِ الدين ... ومكتـــبُ التوحيد واليقين
من كـــل فج بل وكل طائفة ... ينفر نحـــــوه هواةُ المعرفة
ليفقهـــوا الدين ويرجعوا إلى ... أهليـــــهم وبثّه بيـــن المَلا
تراهُـمُ في حلقـــات الدرسِ ... بين يدي أستاذِهم كالخُرسِ
في غرف الصحن أو المساجد ... للدرس بيـــن صادرٍ ووارد
ولو دخلتَ مسجدَ الهـنديِّ ... لراعك الحـــالُ من الدَويِّ
في عشرات الحلقاتِ اجتمعوا ... كي ينفعوا بالعلم أو ينتفعوا[2]

=الطائفة السيد أبي القاسم الخوئي قدس سره الذي كان يقيم صلاة الجماعة فيه ويلقي محاضراته على طلابه، وبعد وفاته سنة ١٤١٣هـ/١٩٩٢م دُفن بمحاذاة الجامع في حجرة الايوان الثالث من الصحن. وأقام المرجع الأعلى سماحة السيد علي السيستاني دام ظله صلاة الجماعة فيه لفترة من الزمن، ومن ثمَّ أُغلق المسجد بأمر من سلطة النظام البائد بحجة الترميم، وظل مغلقاً ولم يفتح إلاّ في سنة ٢٠٠٦. لمزيد من التفصيل يُنظر: المفصّل في تاريخ النجف الأشرف ٣/ ٩٢.

(١) تقع المدرسة الغروية في الجهة الشمالية من الصحن الحيدري الشريف الى اليمين من باب الطوسي، ويُعتقد انها من المدارس القديمة في النجف ابتدأ تخطيطها مع تخطيط الصحن، وينسبها المؤرخ البراقي إلى الشاه عباس الصفوي الأول المتوفى سنة ١٠٣٧هـ. وكانت هذه المدرسة من الأماكن التي تعرضت للإهمال لسنين طوال حيث بقيت مغلقة لا يستفاد منها بشئ سوى خزن مواد البناء والأنقاض، وبعد سقوط النظام المباد بدأت عملية إعادة بناء هذه المدرسة وتشييدها بتصاميم معمارية جديدة وتم افتتاحها سنة ٢٠٠٩. لمزيد من التفصيل يُنظر: دليل العتبة العلوية المقدسة ٦٢.

(٢) الأرجوزة النجفية: ٤٣.

وتتميز النجف الأشرف بكثرة المكتبات العامة والخاصة الغنية بنفائس الكتب المخطوطة والمطبوعة، والتي رفدت الحركة العلمية والثقافية بكل فنون المعرفة. ونلحظ انَّ الغالبية العظمى من المكتبات العامة المشيدة كانت من صنع العلماء ومساعيهم الفردية.

إنَّ أشهر المكتبات العامة في المدينة القديمة حالياً – ما عدا مكتبة الروضة الحيدرية[1] – هي مكتبة الامام كاشف الغطاء العامة لمؤسسها العلاّمة الشيخ علي كاشف الغطاء رحمه الله المتوفى سنة ١٣٥٠هـ، ومكتبة الإمام الحكيم العامة التي أسسها السيد محسن الحكيم قدس سره المتوفى سنة ١٣٩٠هـ، ومكتبة أمير المؤمنين العامة التي كان قد أسسها العلاّمة الشيخ عبدالحسين الأميني قدس سره المتوفى سنة ١٣٩٠هـ. أما مكتبة الامام الحسن العامة لمؤسسها الشيخ باقر القرشي طاب ثراه

(١) كانت المكتبة الحيدرية تسمى قديماً بالخزانة الغروية أو الخزانة العلوية، ضمت آلاف الكتب النفيسة، وقد رعاها السلاطين والملوك والأمراء والعلماء، ويعتقد انَّ تاريخها يرجع إلى القرن الرابع الهجري، وقد اهتم بها عضد البويهي المتوفى سنة ٣٧٢هـ. وقد تضررت هذه المكتبة حينما احترق المرقد العلوي المطهر سنة ٧٥٥هـ، قال ابن عنبة المتوفى سنة ٨٢٨هـ: (وقد كان بالمشهد الشريف الغروي مصحف في ثلاث مجلدات بخط أمير المؤمنين عليه السلام احترق حين احترق المشهد سنة خمس وخمسين وسبعمائة، يُقال انّه كان في آخره: وكتب عليّ بن أبي طالب). عمدة الطالب ٢٢، مؤسسة أنصاريان، سنة ١٤١٧هـ.

وبعد أنْ اكتملت العمارة الجلائرية للمرقد العلوي المطهر سنة ٧٦٠هـ، على اثر حادثة الحريق، قام السيد صدر الدين الآوي بتأسيس المكتبة من جديد وأطلق عليها اسم "الخزانة العلوية". ولكن ما يؤسف له انَّ هذه المكتبة قد تعرضت للإهمال فيما بعد، وتلف معظم كتبها بسبب طريقة الخزن وتأثير الرطوبة والحشرات خاصة الأرضة، إضافة إلى سرقة بعض كتبها ولاسيما المخطوطة. وبعد سقوط النظام السابق أشرفت المرجعية الدينية على تأسيسها من جديد وسميت بمكتبة الروضة الحيدرية وتم افتتاحها في سنة ٢٠٠٥، وهي الآن مكتبة عظيمة مزدهرة تلبي حاجة الباحثين والقراء، ونتوقع أنْ يكون لهذه المكتبة بناية مميزة وفقاً للمواصفات الحديثة للمكتبات في التوسعة الجديدة للصحن الحيدري الشريف إنْ شاء الله تعالى. لمزيد من التوسّع يُنظر: مكتبة الروضة الحيدرية جهود وجهاد، هاشم الميلاني، منشورات الاجتهاد، سنة ٢٠٠٨.

المتوفى سنة ١٤٣٣هـ فتقع في شارع الرابطة المحاذي للمدينة القديمة من جهتها الجنوبية.

إنَّ مدرسة النجف الأشرف أفرزت ركاماً هائلاً من نتاجها العلمي في مختلف فروع المعرفة بجهود علمائها الأفذاذ، فهذه المدينة الاسلامية العريقة كانت حافلة بمختلف عصورها بأكابر الفقهاء والأدباء وبمشاهير الشعراء، وانتشرت فيها الجمعيات الثقافية العلمية والأدبية في القرن العشرين كجمعية الرابطة الأدبية وجمعية منتدى النشر والمجمع الثقافي وجمعية ندوة الأدب وجمعية التحرير الثقافي. وتُعد جمعية الرابطة الأدبية هي الأقدم حيث أسسها الشيخ صالح الجعفري في سنة ١٣٥١هـ/١٩٣٢م.

وصدرت في النجف العديد من الصحف والمجلات وأُنشئت الكثير من المطابع. وكان تاريخ تأسيس أول مطبعة في النجف سنة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م بإسم مطبعة حبل المتين أدارها السيد محمد علي حبل المتين، وقد وصلت هذه المطبعة من الهند.

وإذا كانت بغداد هي السبّاقة بنشر الجرائد حيث تُعد الزوراء أول جريدة صدرت في العراق سنة ١٢٨٦هـ أيام الوالي العثماني مدحت باشا، فإنَّ النجف قد سبقتها بنشر المجلات. فأول مجلة ظهرت في العراق وهي مجلة العلم كانت قد صدرت في النجف، وهي مجلة علمية دينية أصدرها العلاّمة السيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني سنة ١٣٢٨هـ/١٩١٠م.

ومما يلفت النظر انَّ قسم من المباني التاريخية والتراثية في المدينة القديمة قد أصبحت بائدة لأسباب عدة وأخرى باقية إلى الآن. أمّا أقدم مبنى موجود حالياً من المساجد والمدارس الدينية والمكتبات العامة في المدينة القديمة فهي:

جامع الشيخ الطوسي:

يُعد جامع الشيخ الطوسي في محلة المشراق اليوم أعظم مساجد النجف نظراً لقيمته التاريخية، لأنّه كان مسكناً لشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي

المتوفى سنة ٤٦٠هـ، وتحوّل الدار بعد وفاة الشيخ إلى مسجد يضم المرقد المنور للشيخ الطوسي طيب الله ثراه. وجدد عمارته مرجع الطائفة السيد محمد مهدي بحر العلوم قدس سره سنة ١١٩٨هـ، ودفُن عند وفاته سنة ١٢١٢هـ بمقبرته الخاصة المطلة على باحة المسجد.

وأرَّخ سماحة العلاّمة السيد موسى بحر العلوم رحمه الله التجديد الذي حدث للمسجد مرة أخرى عام ١٣٨٢ هـ بأبيات يقول فيها:

إمامان حلاّ مرقدين عليهما ... بَنى العلم إجلالاً رواقاً من المجدِ
ولاذا ببيت الله بالقرب منهما ... على قيد بعد الراحتين من الزندِ
فذا مسجد الطوسي شيد هاهنا ... تشيد أرّخ (مرقد الشيخ والمهدي)

وأنا أقول في مسجد الطوسي:

دارُ علم ضُمّنت أركانُهُ ... شيخَنا الجهبذَ جنبَ السيدِ
فاستحقَّ المجدَ حتى حلَّ في ... ظهرِ كوفانَ بخيرِ مسجدِ

مدرسة الصدر الأعظم:

إنَّ أقدم المدارس الدينية الحالية في مدينة النجف الأشرف القديمة هي مدرسة الصدر الأعظم التي شيدها الحاج محمد حسين خان الأصفهاني المتوفى سنة ١٢٣٩هـ الذي كان يشغل منصب الصدارة للسلطان فتح علي شاه القاجاري. وقد دُفن مؤسسها في ناحية منها.

قام رحمه الله بأعمال كثيرة وجليلة للمرقد العلوي المطهر ولمدينة النجف الأشرف، وانَّ حبه للعلم والعلماء هو الذي دفعه لبناء هذه المدرسة. وتقع هذه المدرسة ضمن محلة المشراق في بداية شارع زين العابدين عليه السلام من جهة ساحة الميدان، وتشغل مكاناً كبيراً يمتد حتى السوق الكبير، ولم تزل عامرة حتى اليوم، ويسكن غرفها طلبة العلوم الدينية.

مكتبة الامام كاشف الغطاء العامة:

إنَّ مكتبة الامام كاشف الغطاء العامة التي أسسها سماحة العلامة الشيخ علي آل كاشف الغطاء طاب ثراه المتوفى سنة ١٣٥٠هـ تُعد أقدم المكتبات الحاضرة في مدينة النجف الأشرف. تقع بطوابقها المتعددة في محلة العمارة مجاورة لجامع كاشف الغطاء.

دُفن الشيخ رحمه الله في باحتها الداخلية، وبعد وفاته تولاها وطورها وجعلها مكتبة عامة نجله سماحة أية الله العظمى الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء قدس سره المتوفى سنة ١٣٧٣هـ. ولأهمية هذه المكتبة قام سماحة مرجع الطائفة الأعلى آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني دام ظله بتجديد عمارتها في سنة ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م. وتُدار هذه المكتبة حالياً من قبل أسرة آل كاشف الغطاء العلمية الكريمة، وما زالت لحد هذا اليوم أبوابها مفتَّحة وتقدم خدماتها للجميع للاطلاع على أمهات الكتب القديمة والحديثة، المخطوطة والمطبوعة.

خلاصة القول إنَّ المحافظة على التاريخ المعماري الإسلامي لمدينة النجف الأشرف هو مصدر اعتزاز بالتاريخ الإسلامي المشرق لهذه المدينة المقدسة والذي يمتد لأكثر من ألف عام، وهو دليل ملموس على هذه الحضارة العظيمة ومصدر إلهام للأجيال لأنَّ المدن هي ذاكرة المجتمعات. لذلك من الواجب الحذر من إحداث أية تغييرات تؤثر سلباً في النسيج العمراني للمباني التراثية والتأكيد على أنْ يُشار إلى ذلك في الأنظمة الخاصة بالبناء والتطوير.

إنَّ هذا المبدأ المهم تؤكدهُ المرجعية الرشيدة في النجف الأشرف بشدة. ذكر الأستاذ حامد الخفاف في مذكراته عن عام ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، عندما زار وفد حكومي وزاري سماحة السيد علي السيستاني دام ظله في النجف الأشرف بعد عودته من رحلة العلاج ما نصه: (هنّأ الوفد سماحة السيد على وصوله سالماً إلى مدينته، وشكروه على جهوده الكبيرة التي أحلّت السلام في مدينة النجف، وأكدوا له جديتهم في البدء بورشة إعمار النجف. فأوصاهم سماحة السيد بضرورة بسط

الأمن في المدينة، قبل البدء بورشة الإعمار، إذ لا فائدة من الإعمار من دون أمن. كما أوصاهم بضرورة الحفاظ على الخصوصية التراثية والحضارية لمدينة النجف في أي مشروع إعماري، وأهمية الاعتماد على متخصصين في شؤون التراث والتاريخ في أي عمل عمراني. وانَّ أي أعمال تحديثية في عمران النجف يجب أنْ لا تمسّ الملامح التاريخية في المدينة)[1].

إنَّ الخصوصية التراثية والحضارية لمدينة النجف الأشرف التي تحدث عنها سماحة السيد السيستاني دام ظله الشريف ستتحقق إنْ شاء الله تعالى من خلال احتضان الصحن الحيدري الدائري الجديد الذي اقترحناه بصحونه الثانوية لجميع المباني الإسلامية في مدينة النجف القديمة، من مساجد ومدارس دينية ومكتبات ومباني تاريخية وأثرية وتراثية، والتي باعتقادنا إنها قد تضررت كثيراً على الرغم من قيمتها التاريخية والثقافية المعمارية لأسباب عدة منها الإهمال وسوء التخطيط الحضري دون تدخل للترميم والتطوير. بينما كان يجب المحافظة عليها كموروث ثقافي حي عبر العصور.

إنَّ أي محاولة لإزالتها أو طمسها يُعد جريمة كبرى بحق هذه المدينة المقدسة وبحق الإرث الإنساني العالمي بأجمعه، وينبغي على الشركة الإعمارية أنْ تعتمد في أسس عملها بتطوير المباني الاسلامية القديمة بأنْ تجمع بين النسيج المعماري القديم لهذه المباني وما تضمه من نمط معماري تراثي أصيل ونقوش إسلامية، وبين النسيج المعماري الجديد الذي يستخدم أساليب التقنية الحديثة في البناء وفقاً لمقاييس هندسية صحيحة وتناظر هندسي متكامل.

(١) الرحلة العلاجية: ١٧٥.

ثالثاً– وضع الحلول لمشكلات ومصاعب الزيارة:

إنَّ من الأهداف المهمة التي تبنتها هذه الدراسة حل المشكلات الكثيرة التي يعاني منها الزوار، وما يلاقونه من مصاعب ومضايقات أثناء تشرفهم بزيارة العتبة العلوية المقدسة. وليس هناك أنفع من خدمة زوار أهل البيت عليهم السلام. فقد رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: ((خصلتان ليس فوقهما من البِر شيء، الإيمان بالله والنفع لعباد الله، وخصلتان ليس فوقهما من الشر شيء، الشرك بالله والضر لعباد الله))[1].

ومن الجدير بالذكر انَّ التوسعة الجزئية للصحن الحيدري الشريف برأينا غير مجدية ولا تحل المشكلات الرئيسة التي يعاني منها الزوار، ولا تحقق الفائدة المرجوة منها ضمن هدف التطوير لفترة زمنية طويلة.

إنَّ التطوير الشامل والبعد الاستراتيجي للتخطيط الحضري الذي سنذكره لاحقاً لتوسعة الروضة المقدسة يُحتّم علينا أنْ نفكر لقرن كامل بدلاً من أنْ نفكر لعشر سنوات، بحيث يتم الأخذ بنظر الاعتبار زيادة عدد السكان في العراق ودول العالم من جهة، ومن ثمَّ الزيادة السنوية الحاصلة في عدد الزوار الوافدين لمدينة النجف الأشرف من داخل العراق وخارجه.

(١) تحف العقول: ٢٩.

المبحث الرابع

تصميم قطب الدائرة

المبحث الرابع

تصميم قطب الدائرة

إنَّ الوضع الذي عليه المدينة القديمة المحيطة بالصحن الحيدري الشريف الآن لا يليق إطلاقاً بمقام إمام المتقين عليه السلام. ونعتقد انّه يجب تطوير الروضة الحيدرية المقدسة من خلال البناء العمراني الهندسي الحديث للمرقد المطهر وبما يتناسب وقدسية هذا الرمز العظيم في تاريخ الإسلام والعالم أجمع. فلولا وجوده المقدس لما كانت هناك مدينة تُسمّى النجف الأشرف. ومن جانب آخر وضع الحلول لمشكلات كثيرة يعاني منها الزوار الكرام.

إنَّ الأسباب الموجبة للتوسعة التي شرحناها آنفاً تقتضي إنشاء صحنٍ جديدٍ واسعٍ يحتضن الصحن القديم. وانَّ خلاصة دراستنا تقترح تحويل مدينة النجف الأشرف القديمة بمحلاتها المعروفة (المشراق والعمارة والحويش والبراق) إلى صحن جديد يتخذ شكلاً دائرياً يحيط بالصحن الحيدري الحالي، يضم جميع المباني الإسلامية الدينية والتاريخية والأثرية والتراثية فضلاً عن الصحون الثانوية.

وقد أخذنا بنظر الاعتبار بهذا التصميم المزاوجة بين التخطيط الحضري والتخطيط العقائدي، والربط بين البعدين المادي والروحي، في تنفيذ نسج البناء للصحن الحيدري الدائري الجديد، وفقاً للهندسة المعمارية الإسلامية الأصلية، وأنْ يكون فريداً من نوعه ومميزاً عن غيره.

ويتم تطوير الروضة الحيدرية المقدسة من خلال إزالة جميع البيوت في المدينة القديمة التي يتبين من خلال الفحص أنها لا تحمل أية قيمة دينية أو أثرية أو تراثية، والفنادق التي انتشرت في أزقتها وحول شارعها المحيط. ومما يلفت النظر انَّ بعض هذه البيوت المتروكة قد تداعى وتحول إلى مكان لرمي النفايات، أما الفنادق فقد تحولت وبدون تخطيط علمي مدروس، وفي ظروف معينة مرت بها المدينة، إلى أبراج

عالية توزعت بعشوائية أحاطت بالصحن الشريف، ومنعت رؤية القبّة المشرّفة للإمام عليه السلام ولو من مكان قريب. وأضرّت بالمباني الإسلامية الأثرية الموجودة في داخل المدينة القديمة.

ومن المناسب أن نذكر هنا ما كتبه سماحة العلاّمة الشيخ ناصر مكارم الشيرازي دام ظله في تفسيره الأمثل عن توسعة المسجد الحرام في زمن الدولة العباسية إذ يقول ما نصه: (منذ العهد النبوي أخذ عدد المسلمين في الإزدياد، وعلى أثر ذلك كان يتزايد عدد الحجاج والوافدين إلى البيت الحرام، ولهذا كان المسجد الحرام يتعرض للتوسعة المستمرة على أيدي الخلفاء في العصور المختلفة، فقد جاء في تفسير العيّاشي أن أبا جعفر المنصور طلب أن يشتري من أهل مكة بيوتهم ليزيدها في المسجد، فأبوا فأرغبهم، فامتنعوا فضاق بذلك، فأتى أبا عبدالله الصادق عليه السلام فقال له: إني سألت هؤلاء شيئاً من منازلهم، وأفنيتهم لنزيد في المسجد، وقد منعوني ذلك فقد غمني غماً شديداً، فقال أبو عبدالله عليه السلام: ((أيغمك ذلك وحجتك عليهم فيه ظاهرة ؟ فقال: وبما أحتج عليهم؟ فقال: بكتاب الله، فقال: في أي موضع ؟ فقال: قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ قد أخبرك الله أنَّ أول بيت وضع للناس هو الذي ببكة، فإن كانوا هم تولوا قبل البيت فلهم أفنيتهم، وإن كان البيت قبلهم فله فناؤه))، فدعاهم أبو جعفر المنصور فاحتج عليهم بهذا فقالوا له اصنع ما أحببت.

وقد جاء في ذلك التفسير أيضاً أنَّ المهدي العباسي لما بنى في المسجد الحرام بقيت دار احتج إليها في تربيع المسجد، فطلبها من أربابها فامتنعوا فسأل عن ذلك الفقهاء فكلٌّ قال له: إنه لا ينبغي أن يدخل شيئاً في المسجد الحرام غصباً، فقال له علي بن يقطين: يا أميرالمؤمنين لو أنك كتبت إلى موسى بن جعفر عليه السلام لأخبرك بوجه الأمر في ذلك، فكتب إلى والي المدينة أن يسأل موسى بن جعفر عليه السلام عن دار أردنا أن ندخلها في المسجد الحرام فامتنع علينا صاحبها فكيف المخرج من ذلك؟ فقال ذلك لأبي الحسن عليه السلام: فقال أبو الحسن عليه السلام: ولابدّ من الجواب في هذا؟ فقال له: الأمر

لابدّ منه، فقال له: اكتب ((بسم الله الرحمن الرحيم إن كانت الكعبة هي النازلة بالناس فالناس أولى بفنائها، وإن كان الناس هم النازلون بفناء الكعبة فالكعبة أولى بفنائها)) فلما أتى الكتاب إلى المهدي أخذ الكتاب فقبله (لفرحه الشديد)، ثمّ أمر بهدم الدار فأتى أهل الدار أبا الحسن عليه السلام فسألوه أن يكتب لهم إلى المهدي كتاباً في ثمن دورهم فكتب إليه أن ارضخ لهم شيئاً فأرضاهم)[1].

أقول: نستدل من النص السابق على انَّ المصلحة العامة حالياً تستدعي توسيع الصحن الحيدري الشريف ليشمل كل المدينة القديمة نظراً للزيادة الكبيرة في أعداد الزائرين، ولا يحق لأحد من أصحاب الدور أو الفنادق أو الأسواق معارضة هذا المشروع ومهما كانت التبريرات، ومعاذ الله أن يدّعي أيّ شخص بانّه أعلم وأفهم من الإمامين الصادق والكاظم عليهما السلام في تبيان الأحكام الشرعية والقانونية، فالنجف مُلك أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وإنَّ أهل النجف هم الذين نزلوا بفناء مرقده المقدس، وهو الأولى بفنائه. كما انَّ سيد الشهداء الإمام أبي عبدالله الحسين وأخيه قمر العشيرة أبي الفضل العباس في كربلاء والإمامين الكاظمين في بغداد والإمامين العسكريين في سامراء هم الأولى بالأرض التي دفنوا فيها يوم لا أحد كان يسكنها.

يتضمن التطوير الشامل المقترح الذي وضعناه في هذه الدراسة للروضة الحيدرية المقدسة محاور عدة هي:

أولاً- تطوير الروضة الحيدرية المقدسة:

١- تطوير الصحن الحيدري الشريف الحالي:

لقد وضعنا في الحسبان بعض الأفكار التي نعتقد أنها مفيدة في إضفاء جمالية عمرانية إضافية على المرقد العلوي المطهر والصحن الحيدري الشريف، ومن جانب

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٢/٤٠٣-٤٠٤.

آخر حل بعض المشكلات التي يعاني منها الزوار من قبيل تسهيل حركتهم وتهيأة سبل الراحة لهم أثناء الزيارة والتعبد، ويمكن إيجاز هذه الأفكار بما يأتي:

أ- إعادة التناظر الهندسي الصحيح لأبواب الصحن الحيدري الشريف:

ما يلفت النظر في أبواب الصحن الشريف هو افتقادها للتناظر الهندسي الصحيح بسبب موقع الأبواب الخمسة غير المتناسق، وأيضاً هيئة الأبواب من حيث البناء المعماري من الداخل والخارج باستثناء باب الساعة. وانَّ هذا الخلل يضر بجمالية العمارة الإسلامية الفريدة للصحن الشريف.

ومن خلال مراجعتنا للكتب التاريخية المعتمدة التي كتبت عن هندسة الصحن الشريف اتضح لنا انَّ الأبواب الرئيسة في العهد الصفوي كانت ثلاثة هي باب الساعة وباب القبلة وباب الطوسي. ونقتبس هذين البيتين من أرجوزة السماوي الذي يذكر فيهما ما قام به الشاه صفي الصفوي في سنة ١٠٤٧هـ، قال:

ونظَّم الصحن على أبواب ثلاثة للجيء والذهـــابِ
في الشرق والجنوب والشمال فأرّخوا (دان لذي المعالي)[1]

إنَّ سبب الإخلال في الموقع المتناظر للأبواب هو فتح بابين صغيرين فيما بعد في سور الصحن الشريف، وهما باب سوق العبايجية الذي يُسمّى الآن بباب مسلم بن عقيل عليه السلام في الجهة الشرقية لسور الصحن من جهة السوق الكبير، والباب السلطاني الذي يُسمّى الآن بباب الفرج في الجهة الغربية للسور من جهة محلة العمارة.

وقد أشار السماوي أيضاً إلى هذين البابين الجديدين بقوله:

وافتتحوا في الشرق باب السوق وآخراً في الغـــرب للطـــروق[2]

(١) عنوان الشرف في وشي النجف: ٥٤.

(٢) عنوان الشرف في وشي النجف: ٥٤.

يُعرف باب مسلم بن عقيل عليه السلام عند أهل النجف أيضاً بباب العبايجية وباب العكل، لأنَّ الخارج منه يواجهه سوق المحلات المتخصصة بصنع وبيع العباءة النجفية الشهيرة والعكل المتعارف لبسها في الزي الشعبي العراقي لاسيما من قبل رجال الفرات الأوسط وجنوب العراق.

وكان هذا الباب سابقاً غرفة يتقدمها إيوان. وتم فتحه من قبل حاكم النجف يومئذ الخازن المُلاّ يوسف بن المُلاّ سليمان[1] سنة ١٢٥٢هـ لغرضه التجاري وليس لخدمة الزوار، لأنَّ المُلاّ يوسف كان يملك مجموعة محلات أو قيصرية كما يسميها أهل النجف مجاورة لجدار الصحن الشريف، فقام بهدم الحجرة التي كان يتقدمها إيوان كسائر الأواوين وجعلها باباً تؤدي إلى محلاته!.

قال الشيخ جعفر محبوبه: (وللصحن الشريف باب خامس ليس هو من الأبواب الرئيسية العامة ينتهي الخارج منه إلى محل الخياطين "القيسارية"، موقعه في جهة الباب الكبير الشرقي على يمين الداخل منه إلى الصحن الشريف، وهذا الباب يُفتح ويُسد

(١) أقول: يبدو انَّ المُلاّ يوسف كان من أصحاب الدنيا، وكانت أطماعه الشخصية أهم من مرقد أمير المؤمنين عليه السلام، فلا عجب أنْ يفتح باب في الصحن الشريف من أجل تجارته. وكان يؤجج الصراع بين الطائفتين المتناحرتين الزقرت والشمرت من أجل بقاءه على كرسي حاكمية النجف. كان أديبا حازماً وفي الوقت نفسه داهيةً فتاكاً لا يتورع عن سفك الدماء، ففي سنة ١٢٦٧هـ قام بحبس مجموعة من شبان النجف في سرداب داره للثأر والانتقام، ثم أمر بذبحهم بطريقة بشعة كما تذبح الأغنام. وكانت وفاة المُلاّ يوسف في سنة ١٢٧٠هـ.

وصف الشيخ محمد حسين حرز الدين هذه الحادثة قائلاً: (ثمَّ إنَّ المُلاّ يوسف ندب عبده محبوب وأمره أنْ ينزل إليهم ويذبحهم مكتوفين، ففعل، فأوجب سخط العلماء ورجال العلم والدين وكلّ من يبغضه، فتضعضع أمره، وكان يوم ذبحهم يوماً عظيماً في النجف، ونشبت الحرب بين الفريقين الزقرت والشمرت... وكان قد عُزل الملاّ يوسف من قبل والي بغداد نجيب باشا، وعيّن مكانه الشيخ محمد بن الشيخ علي بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء، وجعل نائبه السيد رضا الرفيعي. وكان الشيخ محمد قد أوعز إلى أهل العلم أنْ يكتبوا مضابطاً في فساد المُلاّ يوسف في النجف، فعزله الوالي). تاريخ النجف الأشرف ٢/٤٧٠، ٤٨٤.

مع المحل المذكور)[1]. ثم يذكر الشيخ انَّ هذه القيسارية كانت في الأصل محلاً للضيافة في عهد الصفويين، فلما آل إلى الخراب اشتراه المُلاّ يوسف من الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر قُدس سرّه وبناه قيسارية وفتح لها هذا الباب.

إنَّ هذه القيصرية كانت متصلة بجدار الصحن الشريف يومئذ، وأُزيل معظمها في العهد الملكي سنة ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م عند إنشاء شارع دورة الصحن الذي أحاط بالصحن الشريف، ومن ثمَّ أُزيلت جميع المباني الملاصقة لسور الصحن الشريف بعد ذلك.

أما باب الفرج فيقع عند الضلع الغربي من السور، ويُعد آخر الأبواب التي فُتحت وذلك في سنة ١٢٧٩هـ في عهد السلطان عبدالعزيز العثماني، لذلك كان يُسمّى سابقاً الباب السلطاني. ويُسمّى أيضاً عند أهل النجف باب العمارة لأنَّ الخارج منه يواجه محلة العمارة.

وقد تم فتح هذا الباب من خلال هدم الحجرة الثانية من اليسار تحديداً، وكانت مقبرة لبعض الوجوه، لأجل مرور الزوار من الجهة الغربية للصحن الشريف، وقد نشأ في مقابل هذا الباب سوق العمارة أو السوق الصغير، وقد أدركناه قبل أنْ يقوم النظام البائد بإزالة جزء كبير من محلة العمارة بحجة التطوير، فتم محو كثير من المعالم الاسلامية والتاريخية والتراثية في هذه المنطقة وأهمها جبل شرفشاه أحد الذكوات البيض.

وبرأينا فإنَّ إعادة التناظر الهندسي الصحيح لأبواب الصحن الشريف من ناحيتي الموقع والبناء يتم من خلال الآتي:

١. غلق باب مسلم بن عقيل عليه السلام وإعادته إلى حالته التي كان عليها. وفتح باب جديد مناظر لباب الفرج على الجانب الآخر من رواق أبي طالب عليه السلام، ونقترح أنْ يُطلق عليه تبركاً إسم (باب فاطمة الزهراء عليها السلام).

---

(١) ماضي النجف وحاضرها: ٦٣/١.

٢. نلاحظ انَّ الجهتين اليمنى واليسرى التي ينحصر بينهما رواق أبي طالب عليه السلام تتألف من أربعة أواوين، لذلك نقترح على الجهد الهندسي المتخصص استغلال الإيوانين الوسطيين منها عند فتح باب فاطمة الزهراء عليها السلام بإذن الله تعالى باتجاه صحن فاطمة الزهراء عليها السلام الذي هو الآن في طور الإنشاء، وإعادة البناء المعماري لباب الفرج بشكل مناظر تماماً من الناحية الهندسية لباب فاطمة الزهراء عليها السلام.

٣. نقترح أنْ يكون البناء المعماري الهندسي لجميع الأبواب من داخل الصحن الشريف مناظراً في هيئته وعناصره المعمارية الزخرفية لما موجود في الخارج، أي متناسقاً من ناحية الريازة الإسلامية والهندسة الجمالية من الداخل والخارج أسوة بباب الساعة.

إنَّ الرمز العددي له دلالته الكبيرة في العمارة الإسلامية، وينبغي اعتماد المبادئ المميزة للفكر المعماري الشيعي المستمد من القرآن والسنة النبوية في التعبير عن هذه الرمزية. لذلك من الضروري أنْ يبقى عدد أبواب الصحن الشريف خمسة تمثل عدد أصحاب الكساء (محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين) صلوات الله عليهم. ويتم ذلك من خلال غلق باب مسلم بن عقيل عليه السلام وإرجاعه كهيئته الأصلية كحجرة من حجرات الصحن الشريف عند المباشرة بفتح باب فاطمة الزهراء عليها السلام.

دَلّت الأخبار الصحيحة المتواترة من طرق الفريقين التي رواها عدد كبير من الصحابة على انَّ المراد من أهل البيت، النبيُّ وعليٌّ وفاطمةُ والحسنُ والحسينُ صلوات الله عليهم. أخرج الترمذي عن عمر بن أبي سلمة، قال: (لّما نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿ إنّما يريدُ اللهُ ليُذهِبَ عنكُمُ الرِّجسَ أهلَ البيتِ ويُطهِّرَكُمْ تَطهيراً ﴾(الأحزاب/٣٣) في بيت أمِّ سلمة؛ فدعا فاطمةَ وحسناً وحسيناً، فجلّلهم بكساء، وعليٌّ خلف ظهره، فجلّله بكساء، ثمَّ قال: ((اللهمَّ هؤلاء أهل بيتي، فأذهِبْ عنهم الرجس، وطهِّرهم تطهيراً))، قالت أمُّ سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟ قال: ((أنتِ على مكانك، وأنتِ إلى خير))[1].

(١) سنن الترمذي: ٣٢٨/٥.

وحسبُك حديث الكساء الشريف الذي ورد في كتاب ضياء الصالحين للحاج محمد صالح الجوهرجي رحمه الله نقلاً عن كتاب عوالم العلوم للشيخ عبدالله البحراني، بسند معتبر عن جابر بن عبد الله الأنصاري عن فاطمة الزهراء عليها السلام، نقتطف منه النص الآتي: ((... فلمّا اكتملوا واجتمعوا جميعاً تحتَ الكساءِ أخذَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله بطَرفَيِ الكساءِ وأومأ بيدِه اليمنى إلى السماءِ وقالَ: اللهم إنَّ هؤلاءِ أهلُ بيتي وخاصَّتي وحامَّتي، لحمُهُمْ لحمي ودمُهُم دمي، يُؤلمُني ما يُؤلمُهمْ، ويُحزنُني ما يُحزنُهُم، أنا حربٌ لمن حاربهُمْ، وسِلمٌ لمن سالمهُمْ، وعدوٌ لمن عاداهُم ومحبٌ لمن أحبّهُمْ، إنهم منّي وأنا منهُمْ، فاجعلْ صلواتكَ وبركاتك ورحمتك وغفرانك ورِضوانك عَلَيَّ وعليهِمْ، وأَذهبْ عنهُمُ الرجسَ وطهِّرهُمْ تطهيراً...))[1].

أما قصة المباهلة مع نصارى نجران فتشير إلى عظيم الفضل والمنزلة الرفيعة للخمسة أصحاب الكساء وتميزهم على سائر المسلمين. أخرج الواحدي في أسباب النزول عن جابر، قال: (فنزلت فيهم هذه الآية ﴿ فَقُلْ تَعالَوْا نَدعُ أبناءَنا وأبناءَكُمْ ونِساءَنا ونِساءَكُمْ وأنفُسَنا وأنفسَكُمْ ﴾(آل عمران/٦١) قال الشعبي: أبناءَنا: الحسن والحسين، ونساءَنا: فاطمة، وأنفُسَنا: علي بن أبي طالب رضي الله عنهم)[2].

قال حكمت الرحمة: (فكانت صفوة الأولاد متمثلةً في أولاد النبي ﷺ الحسن والحسين، ولو كان غيرهما يحظى بمنزلتهما لدُعيَ معهما. وكانت صفوة النساء متمثلةً بفاطمة الزهراء، ولو كانت هنالك امرأةٌ تُماثلها لدُعيت معها، وكانت نفس النبي تتجلّى بصفات كمالها في نفس علي، ولو كان له مماثل لدعاه أيضاً. هكذا أمَرَ الله تبارك وتعالى، وهكذا امتثل رسوله ﷺ)[3].

---

(١) ضياء الصالحين: ٣٩٠-٣٩١.

(٢) أسباب نزول القرآن: ١٠٨.

(٣) تلخيص كتاب أئمة أهل البيت عليهم السلام: ٢٦.

إنَّ دلالة التسمية لا تقل أهمية من الناحية العقائدية والروحية من الرمز العددي وهي مكملة له. لذلك فنحن عندما نقترح أنْ يكون الباب موسوماً بباب فاطمة الزهراء صلوات الله عليها لأنّها صاحبة المنزلة الرفيعة والمكانة العظيمة عند الله ورسوله وأمير المؤمنين وأهل البيت وشيعتهم، فهي الصدّيقة والمباركة والطاهرة والزكية والراضية والمرضية والمحدَّثة والبتول والزهراء، وزوج الوصي وأم الأئمة الهادين، وليس لها نظير من بنات جنسها، فلها الأفضلية المطلقة على من سواها من النساء، لأنها سيدة نساء العالمين والقدوة الحسنة لجميع نساء العالم. روى الحاكم في المستدرك عن رسول الله صلى الله عليه وآله انّهُ قال لفاطمة الزهراء عليها السلام: ((يا فاطمة ألا ترضين أنْ تكوني سيدة نساء العالمين، وسيدة نساء هذه الأمة، وسيدة نساء المؤمنين))[١].

إنَّ الزهراء عليها السلام قبس من نور الله تعالى فهي الحوراء الإنسية، وبضعة رسول الله صلى الله عليه وآله وحبيبته وقلبه النابض، يؤذيه ما يؤذيها ويغضبه ما يغضبها، وهي بالمقابل الأشد شفقةً وحنواً على أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله حتى كُنّيت بأم أبيها.

قال آية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي : (وكفى بإسمها "فاطمة" الذي يعني البشارة الكبرى لمواليها ومحبيها، فلفظ "فاطمة" قد أُخذ من مادة "فطَم" بمعنى الانفصال، ومنه فطام الولد بمعنى فصله عن الرضاعة)[٢].

ويحدثنا الشيخ الصدوق بالإسناد عن محمد بن عمر البصري عن الإمام جعفر بن محمد بن علي، عن أبيه عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((يا فاطمة أتدرين لِمَ سُمّيتِ فاطمة؟ فقال علي عليه السلام: يا رسول الله لِمَ سُمّيتْ؟ قال: لأنها فُطِمت هي وشيعتها من النار))[٣]. وروى الصدوق أيضاً بإسناده عن جعفر بن محمد بن عمارة، عن أبيه قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن فاطمة لم سُمّيتْ الزهراء؟ فقال: ((لأنها كانت إذا

(١) المستدرك على الصحيحين: ١٥٦/٣.

(٢) الزهراء سيدة نساء العالمين: ١٣.

(٣) علل الشرائع: ١٧١/١.

قامت في محرابها زهر نورها لأهل السماء كما تزهر نور الكواكب لأهل الأرض))[١].

ب- تظليل الصحن الحيدري الشريف:

إنَّ قسوة الظروف المناخية في العراق عموماً والنجف خاصةً يقتضي عمل مظلات كبيرة للصحن الشريف، قابلة للفتح والإغلاق، تقي الزوار أشعة الصيف اللاهبة[٢]. وتكون هذه المظلات مشابهة لما موجود في المسجد النبوي الشريف ولكن بنقوش إسلامية تتوافق مع ما موجود في مراقدنا المقدسة في العراق، وتتناسق في زخرفتها مع الزخرفة الموجودة أصلاً في الصحن الشريف.

ذهب الدكتور المهندس يحيى وزيري في كتابه العمران والبنيان في منظور الإسلام في تفسير الآية الكريمة ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَلاَ الظُّلُمَاتُ وَلاَ النُّورُ وَلاَ الظِّلُّ وَلاَ الْحَرُورُ ﴾(فاطر/١٩-٢١) إلى: (أنَّ الآية تؤكد وتنبه على حقيقة يلمسها جميع البشر حيث يشعرون بالفرق الكبير بين الأماكن المظلّلة والأماكن المعرّضة للشمس والحر)[٣] .

وقال أيضاً: (إنَّ حرص القرآن الكريم على لفت الأنظار إلى أهمية الظلال في عملية التصميم البيئي له شقّان: الأول منهما يؤكد على أهمية العلاقة بين العوامل البيئية والعمران والبنيان الإسلامي، والثاني يوضح انَّ هذا التأكيد والحرص على

---

(١) علل الشرائع: ١/١٧٣.

(٢) قال الدكتور يحيى وزيري: (تعتبر عملية تظليل المباني أو الفراغات الخارجية أحد أهم مبادئ علم التصميم البيئي، وحتى يمكن إدراك أهمية إيجاد وتوفير الظلال خاصة بالمناطق الحارة فإنَّ بعض الدراسات أوضحت انَّ تظليل الشوارع يؤدي إلى انخفاض في درجة الحرارة يقدر بحوالي ٤ درجات مئوية، وفي قياسات تمت على بعض أفنية المنازل الاسلامية القديمة بالقاهرة اتضح انَّ درجات الحرارة داخل هذه الأفنية المعرضة للظل تقل بحوالي ٤ إلى ٧ درجات مئوية عن درجة حرارة سطح المنزل المعرض للشمس). العمران والبنيان في منظور الإسلام ١٠٥.

(٣) العمران والبنيان في منظور الإسلام: ١٠٣.

أهمية الظلال يتفق مع القياسات العلمية الحديثة التي توضح أثر توفير الظلال في خفض درجات الحرارة داخل المباني والفراغات الخارجية المكشوفة)[١].

وقد يقترح بعضهم عملية التسقيف لا التظليل للصحن الحيدري الشريف، فنقول: إنَّ التسقيف لا يصلح إطلاقاً للصحن الشريف لأسباب عدة هي:

أولاً: إنَّ العمارة الحالية للمرقد العلوي المقدس تُعد الأجمل من بين جميع العمارات الإسلامية في العالم، فهي تضم روائع البناء والزخرفة، والسعة والفخامة في المنظر، إضافةً إلى انَّ بناء القبة والمنائر والإيوان كان بغاية التناسق والإتزان والإتقان، ما جعل المرقد المطهر صرحاً إسلامياً مميزاً من حيث فن العمارة.

إنَّ مَنْ يتأمل ويقدر الفن المعماري الرفيع المتجسد بروعة مشهد القبّة المشرّفة التي تُعد أكثر القباب هيبةً ودقةً في البناء الهندسي ولفتاً للانتباه، والمنظر الفريد للإيوان الذهبي الذي يُعد آية من آيات الفن الإسلامي الأصيل، والمنارتان الذهبيتان الرائعتان، سوف يدرك بشكل كامل انَّ عملية تسقيف الصحن الشريف ستقضي على هذا الجمال المميز الذي يُعبر عن روح فنية مبدعة صمّمت وشيّدت هذه العمارة الرائعة.

ومن الجدير بالذكر انَّ لمنظر المرقد المقدس لاسيما للداخل من باب الساعة الكبير المواجه للإيوان الذهبي، طاقة روحانية هائلة، تصيب الناظر بالقشعريرة، وهذا المردود البصري المؤثر، قد يصل عند بعضهم إلى حد البكاء كما هو مشاهد، ولا يوجد في هذا الوصف والتعبير أدنى مبالغة. قال صاحب مفاتيح الجنان أعلى الله مقامه: (يعرض للزائر إذا وقع نظره على قبّته المنيرة، النشاط والانبساط، ويثور في فؤاده العشق والولاء، فيحاول أنْ يتوجه إليه عليه السلام بمجامع قلبه، وأنْ يمدحه ويثني عليه بكل لسان وبيان، ولاسيما إذا كان الزائر من أهل العلم والكمال...)[٢].

---

(١) العمران والبنيان في منظور الإسلام: ١٠٥.

(٢) مفاتيح الجنان: ٤٨١.

وذكر السيد عبدالكريم بن طاووس بسنده عن صفوان الجمّال تفاصيل زيارة الإمام جعفر الصادق عليه السلام قبر جدّه أميرالمؤمنين صلوات الله عليه، وما يهمنا من هذا النص هنا قول صفوان: (ثمَّ قام فصلّى عند الرأس ركعات، وقال: ((يا صفوان! مَنْ زار أمير المؤمنين بهذه الزيارة، وصلّى بهذه الصلاة، رجع إلى أهله مغفوراً ذنبه، مشكوراً سعيه، ويكتب له ثواب كل من زاره من الملائكة. قلتُ: ثواب كلّ من يزوره من الملائكة؟!، قال: نعم. قلتُ: كم يزوره من الملائكة؟، قال: يزوره في كلّ ليلة سبعون قبيلة. قلتُ: كم القبيلة؟ قال: مائة ألف))[1].

وإلى ذلك قال الشاعر عباس الترجمان:

والروضة الطاهرة القدسية ... يشعر من فيها بروحانيه
يحوطها الرواق مِنْ أطرافها ... وتعبق الأرواح في أكنافها
في روضة تؤمّها الأملاك ... وتنحني لقدرِها الأفلاكُ[2]

ومن المناسب أنْ نذكر هنا ما نقله الشيخ جعفر محبوبه عن كتاب عالم آراء (فارسي) ٧٠٧/٣ لوصف زيارة الشاه عباس الأول الصفوي للنجف الأشرف سنة ١٠٣٢هـ، وكيف تصرّف عندما شاهد القبّة المشرّفة من بعيد، ما ترجمته: (بعد ما قضى الشاه عباس زيارة الحسين عليه السلام توجّه على طريق الحلة إلى النجف للثم عتبة الحرم الحيدري، فلمّا أنْ صار على مرحلة من وادي السلام ولاحت لعينيه القبّة المقدّسة نزل عن ركابه وجعل يمشي حافياً على قدميه وهو حامل تاجه بين يديه، ونزل معه جميع وزرائه وأمرائه وعساكره وبقي في جوار ذلك الحرم المطهر عشرة أيام، وكان يقضي أكثر أوقاته في الزيارة والدعاء، وجعل نفسه أحد الخدمة الذين يخدمون ذلك المقام، وكانت وظيفته كنس ما في الحرم من الغبار)[3].

---

(١) فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين علي عليه السلام: ٢٣١.

(٢) الأرجوزة النجفية: ٤٧-٤٨.

(٣) ماضي النجف وحاضرها: ٢٢٢/١.

وقال الشيخ محبوبه عن زيارة السلطان مراد الرابع للنجف عام ١٠٤٧هـ بعد فتحه بغداد ما نصه: (ويُقال انّهُ لّما رأى القبة المباركة بعض وزرائه المتشيعين باطناً ترجّل من مسافة أربعة فراسخ فسأله السلطان عن سبب ترجّله فقال: هو أحد الخلفاء الراشدين نزلت تعظيماً له فترجّل السلطان أيضاً فقال بعض النواصب للسلطان انَّ كلاً منكما خليفة واحترام الحي أولى مِنْ احترام الميّت فتردد السلطان في الركوب وتفاءل بالقرآن المجيد فكانت الآية الشريفة ﴿ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً ﴾(طه/١٢).

فعندها أَمَرَ السلطان بضرب عنق الناصبي الذي عذله على ترجّله واستشهد مؤدب السلطان ببيتي أبي الحسن التهامي وهما:

تزاحم تيجان الملوك ببابهِ ويكثر عند الاستلام ازدحامُها
إذا ما رأته مِنْ بعيد ترجّلت وإنْ هي لم تفعل ترجّل هامُها[1]

ومما يجدر ذكره انَّ السيد جعفر بحر العلوم رحمه الله المتوفى سنة ١٣٧٧هـ في كتابه تحفة العالِم قد نسب هذه القصة إلى السلطان العثماني سليمان القانوني الذي دخل بغداد سنة ٩٤١هـ. وتابعه في ذلك الأستاذ الدكتور علي الوردي قال: (وبعد أنْ استراح السلطان في بغداد أربعة أيام ذهب لزيارة الأئمة في الكاظمية وكربلا والنجف، ويُحكى انّهُ حين صار على أربعة فراسخ من النجف ولمح قبّة القبر المقدس فيها، ترجّل عن فرسه وأخذ يمشي على قدميه قائلاً انَّ أعضاءه اهتزّت لمرأى القبة. وتروى عنه أبيات من الشعر في تمجيد الإمام نطق بها وهو يمشي نحو النجف)[2].

وعلى أي حال تدل هذه القصص وغيرها كثير على مدى التأثير الروحي الكبير للهندسة الفريدة لعمارة المرقد العلوي المطهر، ولاسيما البريق الأخاذ للقبّة الذهبية المشرّفة في عيون الناظرين بحيث يتجاوز الأمر بكثير الأبعاد المادية لهذا البناء المعماري للمرقد المقدس.

(١) ماضي النجف وحاضرها: ١/٢٢٠-٢٢١.
(٢) لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث: ١/٥٦.

ثانياً: تأثير عملية التسقيف على تعيين ظاهرة الزوال في الصحن الحيدري الشريف. فقد أصبح من المعروف انَّ بناء الصحن لم يتم على أساس اتجاه القبلة وإنما على زاوية الزوال، لذلك فانَّ عملية التسقيف لو حدثت فإنها ستقضي تماماً على هذه الميزة التي تنفرد بها هذه العمارة عن بقية المباني الإسلامية.

قال الشيخ جعفر محبوبه في هذا الصدد ما نصه: (العمارة الحاضرة اليوم – ١٣٥٣هـ- هي عمارة الشاه صفي وهي بديعة الشكل فخمة الصنعة يعجز عن تخطيطها أكبر مهندس في العصر الحاضر بما أوجد بها من معرفة أوقات الزوال وعدم اختلافه صيفاً وشتاءاً، وما تقف عنده أساتذة الفن من تحكيم بزوع الشمس في الضريح المقدّس وما التزم بها من المقابلة والمجانسات الفنية)[1].

إنَّ إسلوب البناء على أساس زاوية الزوال هو الذي أوجد الانحراف القليل إلى اليمين في الصحن الشريف بالنسبة للقبلة. قال المرحوم السيد عبدالمطلب الخرسان: (وفي العقد السادس من القرن العشرين بادر سماحة المرجع الديني الأعلى آية الله العظمى الإمام الحكيم قدس سره إلى التأكد من تعيين جهة القبلة، فاستدعى أساتذة متخصصين من جامعة بغداد وطلب منهم تعيين جهة القبلة بالوسائل العلمية المتاحة لديهم وتم التأكد من انحراف القبلة في عمارة الحرم الشريف نحو اليمين وتبعه على ذلك عدد كبير من العلماء ومختلف طبقات الناس)[2].

ونقل وميض الدين الغريفي عن آية الله السيد محي الدين الغريفي في كتابه الوقت والقبلة في الفقه والهيئة ١٨٤ قوله: (فإن قيل انَّ بناء الصحن العلوي الشريف كان بإشراف الشيخ البهائي الفقيه الخبير بفن الهندسة والعلوم الرياضية، فيكشف ذلك عن حدوث بنائه على سمت القبلة، قلنا: لم يرد ما يشير إلى انَّ الشيخ البهائي قد

(١) ماضي النجف وحاضرها: ١/٥٠-٥١.

(٢) مساجد ومعالم في الروضة الحيدرية المطهرة: ٥١-٥٢.

راعى في إشرافه على بناء الصحن الشريف أنْ يقع على سمت القبلة بلا انحراف. بل قيل: انّه راعى زوال الشمس، وأنها إذا وصلت إلى محل معين منه تحقق زوالها)[١].

ومن اللافت للنظر انَّ الشيخ البهائي قد توفي سنة ١٠٣٠ هـ بينما ابتدأ البناء في العمارة الصفوية الحالية عام ١٠٤٧هـ، أي بعد سبعة عشر سنة من وفاة الشيخ البهائي. نقول لتفسير هذا اللبس: انّه ربما كان يوجد تصميم جاهز قد وضعه البهائي للروضة الحيدرية المقدسة تم اعتماده من قبل المعماريين بعد وفاته، والله العالم. ورد في دليل العتبة العلوية المقدسة ما يأتي: (والمشهور انَّ البناء قد تم على ضوء تخطيط عمراني رائع وضعه الشيخ محمد بن الحسين العاملي المعروف بالشيخ البهائي وهو التصميم الموجود الآن. وجاء في هامش الكتاب: ولم يتم العثور على مصدر تاريخي يؤيد ذلك، وإنما ذلك هو المشهور عند أهل النجف)[٢].

أقول: هناك عدد من الأماكن يمكن بواسطتها معرفة وقت حلول الزوال، ومنها وصول الشمس إلى منتصف القوس الأوسط من الأقواس الثلاثة للقاشاني الملتوي المؤطر لباب الساعة من جهة اليسار بداخل الصحن الشريف، وكذلك وصول الشمس إلى حافة الأواوين الأربعة التي تقع بين باب مسلم بن عقيل عليه السلام (باب

(١) زاويتا الزوال والقبلة في العتبة العلوية المقدسة: ٣٨

وقد حدد المهندس وميض الدين الغريفي مقدار هذا الانحراف بدقة بمقدار ٢٤ درجة بالاتجاه الجنوبي الغربي، من خلال بحثه العلمي الهندسي الذي استخدم فيه طرائق علمية معتبرة ومستعيناً بأحدث الأجهزة. وأورد الغريفي في كتابه فتاوى عدد من مراجع الدين حول مقدار التسامح في الانحراف عن جهة القبلة، ومنها فتوى المرجع الكبير سماحة آية الله العظمى الشيخ محمد إسحاق الفياض دام ظله، ما نصه: (لا يضر الانحراف يميناً أو شمالاً بمقدار ١٥ درجة، لأنَّ المصلي يواجه سُبع دائرة الأفق التي تكون الكعبة المشرفة في هذا السُبع ويكفي أنْ يواجه المصلي الكعبة بوسط جبهته أو بطرف يمينها أو شمالها، ولا يلزم أنْ تكون في الوسط، فإذا كان المصلي مواجهاً للكعبة بطرف يمينه كان شماله ينحرف عنها أكثر من ١٥ درجة، وكذلك إذا كان مواجهاً لها بشماله، وهذا معناه انَّ الانحراف بهذا المقدار لا يضر وليس المراد منه الانحراف عن القبلة). زاويتا الزوال والقبلة ٧٥.

(٢) دليل العتبة العلوية المقدسة: ٣٤، ٣٥.

العبايجية) والزاوية الشمالية الشرقية. ولقد تابعتُ ورصدتُ ظاهرة الزوال في الصحن على فترات زمنية مختلفة، وكانت الظاهرة صحيحة وكما ذكرها المؤرخون من قبل في كتبهم، وقد وثقتُ هذه الظاهرة من خلال التصوير.

ويمكن إيضاح الأمر كما يأتي: عند تصميم هذه العمارة روعي أنْ يكون بناء الجدار الشرقي للصحن الشريف بمثابة مزولة لتعيين وقت الزوال وحلول فريضة صلاة الظهر، عن طريق علامة ثابتة لا تتغير بل هي ثابتة في كل يوم من أيام السنة، وهذا الأمر فيه من الإعجاز الهندسي الشيء الكثير.

ويتم تعيين الزوال بكل يسر بمشاهدة محاذاة أشعة الشمس لحافة أرض الأواوين الأربعة المحصورة بين الركن الشمالي الشرقي وباب مسلم بن عقيل عليه السلام. ويتوسط هذه الأواوين إيوان الغرفة التي دُفن فيها أستاذ العلماء وزعيم الطائفة السيد أبوالقاسم الموسوي الخوئي قدّس سره المتوفى سنة ١٤١٣هـ، وإيوان الغرفة التي فيها مدخل جامع الخضراء من جهة الصحن الشريف.

أما ما ذكره السيد عبدالمطلب الخرسان من تحقق وقت الزوال عندما تصعد الشمس إلى أرض الأواوين الأربعة بعرض أربعة أصابع، فهو داخل من باب الاحتياط والاطمئنان. لأنَّ هذا الصعود الذي ذكره السيد يكون بعد مضي فترة يسيرة من التحقق الشرعي للزوال مقدارها نحو أربع دقائق، وقد تابعت هذا الأمر بشكل دقيق وتأكدت منه بنفسي.

وقد انتبهت إلى انَّ مؤذن الروضة الحيدرية المقدسة يتأخر في إطلاقه لأذان فريضة الظهرين بمقدار بضع دقائق عن الوقت الشرعي المثبّت في جدول الأوقات الشرعية، ويدخل هذا الأمر من باب الاطمئنان بإحراز دخول وقت الصلاة. علماً إننا اعتمدنا في تحديد أوقات الزوال على كراس جدول الأوقات الشرعية في مدينة النجف الأشرف الصادر من مكتب سماحة آية الله العظمى السيد علي السيستاني دام ظله.

ثالثاً: انتفاء الحاجة لتسقيف الصحن الشريف الحالي نظراً لوجود عدد من الصحون الثانوية التي سيحتضنها الصحن الدائري الجديد إنْ شاء الله تعالى، لأنَّ احتواء هذه

الصحون على العديد من المباني المسقّفة والمكيّفة سيوفر ملاذاً للزوار من تطرف درجة حرارة الجو وظروف الطقس غير الطبيعية، ومن جانب آخر فهي تمثل مكاناً مريحاً وهادئاً لتعبد الزائرين بعيداً عن التزاحم والتدافع.

خلاصة القول انَّ تظليل الصحن الحيدري الشريف بالمظلات الكبيرة هو الأنسب والأصح، ولا يجوز التسقيف مطلقاً للأسباب التي شرحناها آنفاً، وإذا كان التسقيف ملائماً للصحنين الحسيني والعباسي، وأثبت جدواه في خدمة الزوار، فانَّ التسقيف لا يصلح ولا ينبغي أنْ يُعمل للصحن الحيدري لأنَّ لعمارة المرقد العلوي المقدس ولهندسة بنائه من الخصوصية ما لا يوجد في أية عمارة أخرى.

ج- تنظيم دخول الزائرين الى الحرم المقدس:

من اللافت للنظر حالياً انَّ الدخول إلى حرم الضريح المقدس فيه كثير من المشقة للزوار، وخاصة في الزيارات المليونية وفي أيام الجمع بل حتى في الأيام الاعتيادية عندما تكون هناك أعداد كبيرة من الزوار الوافدين من خارج العراق. ويعود سبب هذه المشكلة إلى طبيعة القطع الطولي غير المتناسق للرواق والحرم المطهر من جهة الإيوان الذهبي.

إنَّ هذا القطع صحيح من الناحية الشرعية لمنع الاختلاط بين الجنسين ولكنه ولّد مشكلات عدة منها الازدحام والتدافع بين الزوار، لأنَّ القطع الطولي قد جعل باباً صغيراً واحداً لدخول الرجال وباباً آخرَ لدخول النساء إلى داخل الحرم العلوي المطهر، ومما زاد الأمر سوءاً انَّ باب الرجال يدخل منه أيضاً الجنائز وعربات المرضى المعاقين عافاهم الله ببركة إمام المتقين عليه السلام. فضلاً عن ذلك فإنَّ هذا القطع الطولي قد شوّه المنظر الجمالي الفريد للحرم العلوي المطهر الذي يتوسطه شباك الضريح المقدس للإمام علي عليه السلام.

نقترح لحل هذه المشكلة أنْ يكون القطع عرضياً متناسقاً بدلاً من القطع الطولي الحالي، ونوضح التفاصيل كما يأتي:

أولاً- القطع العرضي بداخل الحرم المطهر:

يتم وضع حاجزاً عرضياً بوسط غرفة الحرم تماماً يصل بين الشباك ووسط البابين لكل من المدخل الشمالي والمدخل الجنوبي، وبذلك ستنصّف غرفة الحرم الطاهر بشكلٍ متساوٍ بين الرجال والنساء، لأنَّ الوضع الحالي الذي جعل للنساء الضلع الجنوبي من الشباك فقط فيه كثير من الظلم والإجحاف بحقهن بالرغم من انهنَّ قد يكنَّ الأكثر عدداً. لذا فإنَّ القطع العرضي سيعطي مساحة متساوية تماماً للزائرين وللزائرات بداخل الغرفة التي تضم الضريح المقدس وسيكون الأمر منصفاً للجنسين.

ثانياً- القطع العرضي بداخل الأروقة:

يتم وضع حاجزاً عرضياً في منتصف كل من الرواق الشمالي والرواق الجنوبي، وبذلك تكون الجهة الأمامية وفناء الإيوان الذهبي مخصصة للرجال، بينما تكون الجهة الخلفية ورواق أبي طالب عليه السلام من حصة النساء.

إنَّ القطع العرضي للحرم والرواقين سيحقق الفوائد والمنافع الوظيفية الآتية:

١. من ناحية المردود البصري سوف يُعاد المنظر الجميل والمهيب للحرم العلوي الطاهر وشباك الضريح المقدس كما كان سابقاً من جهة الايوان الذهبي وحتى من جهة رواق أبي طالب عليه السلام.

٢. تكون انسيابية الحركة للزوار أفضل من ناحية الدخول والخروج، وتقليل التزاحم والتدافع إلى أدنى حد ممكن. لأننا بهذا الترتيب سنكسب أبواب إضافية، إذ انَّ بابي الحرم المطهر من المدخل الشرقي ستكونان للرجال، كما يمكننا فتح الباب المعطّلة لممر مرقد المقدس الأردبيلي في الجهة اليسرى من الإيوان الذهبي أُسوة بباب ممر مرقد العلاّمة الحلي المفتوح في الجهة اليمنى من الإيوان وبذلك نكسب باباً إضافيةً لدخول الزوار من فناء الإيوان باتجاه الرواق الشرقي.

ومما يجدر ذكره انّه توجد ثلاثة غرف صغيرة تنتهي بشبابيك معدنية تقع بين بابي كل من الرواق الشمالي والرواق الجنوبي، وهذه الشبابيك تطل على باحة الصحن الشريف من الجهتين الشمالية والجنوبية. لذلك نقترح استغلال هذه الفتحات وتحويل الشباكين الطرفيين من كل جهة إلى بابين، وبذلك نكسب أربعة أبواب بمعدل بابين في الجهة الشمالية وبابين من الجهة الجنوبية.

إنَّ هذه الأبواب ستعطي جمالية أكبر على المرقد العلوي المقدس وتسهل من حركة الزوار خصوصاً الخارجين منه. أما الشباك الوسطي تماماً الذي يتوسط كل من إيوان العلماء في الجدار الشمالي وإيوان الميزاب الذهبي في الجدار الجنوبي فلا يصح فتحه أبداً بل يبقى على حاله.

٣. توفير مساحة منصفة للجلوس والعبادة لكل من الرجال والنساء في أروقة الحرم المطهر، لأنَّ هذا الترتيب يضمن مساحة متساوية تقريباً لكل من الرجال والنساء.

قد يعترض بعضهم على مقترحنا هذا فيقول انَّ هذا القطع سيعطي للنساء شرف الزيارة من جهة الرأس الشريف من دون الرجال؟ لاسيما وانّهُ وردت في بعض الزيارات عبارات تُردد في أماكن معينة من الروضة المقدسة أثناء حركة الزائر، وذلك بأنْ يكون الزائر عند الرأس الشريف أو مستقبلاً القبلة وغير ذلك.

أقول جواباً على ذلك: أولاً إنَّ الرجال لتتشرف أنْ تزور أمير المؤمنين وإمام المتقين صلوات الله عليه من جهة القدمين، ويزيدهم شرفاً وافتخاراً تقبيل هاتين القدمين. وثانياً انَّ الترابط بين نصوص الزيارة وحركة الزائر يمكن أنْ يتحقق عندما لا يكون هناك قطع في الحرم المقدس أصلاً وفي وقت كان فيه عدد الزوار قليلاً بالمقارنة مع الوقت الحالي الذي يشهد الزيارات المليونية للمراقد المقدسة. وهذا يعني انَّ للضرورات أحكام، ويجب إعادة النظر في هذا الترابط لدفع المشقّة عن الزائرين. لذلك نرى كثير من الزوار في الوقت الحاضر يقرأ الزيارة كاملة وهو في باحة الصحن الشريف أو عند طارمة الايوان الذهبي أو في الرواق ومن ثمَّ يدخل للحرم المطهر ليطوف ويغادر لأداء صلاة الزيارة، لا سيما انّه وردت توجيهات في آداب الزيارة

توصي الزوار بالتخفيف من وجودهم وتعلقهم بشباك الضريح المقدس ليفوز غيرهم بشرف القرب من جثمان أمير المؤمنين صلوات الله عليه وتقبيل شباكه المطهر.

قال الدكتور المهندس علي ناجي في كتابه عمارة العتبات المقدسة ما نصه: (المداخل الرئيسية لعتبات المعصومين عليهم السلام المقدسة أُنشئ بعضها من جهة الشرق عند الأقدام المباركة لهم وبقي على نفس الحال كالعتبة العلوية المقدسة. البعض الآخر بدأ من الشرق ولكنه تحوّل بعد ذلك نحو الجنوب للتوجه نحو وجوههم الشريفة عليهم السلام مباشرة كما حصل في العتبة الحسينية المقدسة... وقد يكون هذا التمييز بين الأئمة عليهم السلام مقصود في عمارة عتباتهم وله وقع خاص في نفس الزائر خصوصاً مع الإيوان الذهبي المميز للحرم العلوي عند قدمي أزهد الناس في الدنيا بعد النبي الأمين صلى الله عليه وآله وسلم)[1].

أما الاعتراض الثاني فهو يخص وجود مسجد الرأس ضمن رواق أبي طالب عليه السلام حالياً بعد انجاز التوسعة الجديدة، وما روته بعض كتب الحديث والتاريخ من كونه موضع رأس الإمام الحسين الشهيد عليه السلام أو مكان دفنه. ووجه الاعتراض انَّ هذا المقام سيكون من حصة النساء فقط، ويحرم منه الرجال.

أقول: على الرغم من أهمية الكتب التي تروي انَّ مسجد الرأس هو موضع لرأس الحسين عليه السلام أو مكان دفنه، فإننا لا نستطيع أنْ نجزم بصحة ما روته بهذا الصدد، حيث نُسب إلى الإمام جعفر الصادق عليه السلام قوله: انّه لما حُمل رأسه إلى الشام سرقه مولىً لنا، ودفنه بجانب مرقد أمير المؤمنين عليه السلام. ويتضح من سياق هذه الرواية أنها أشبه بالحكايات الخيالية التي يصعب تصديقها.

إنَّ المشهور عندنا انَّ الإمام علي السجاد عليه السلام قد أرجع معه من الشام رأس سيد الشهداء أبا عبدالله الحسين عليه السلام ورؤوس الشهداء من أهل بيته وأصحابه وقام بدفنها مع الأجساد الطاهرة في يوم العشرين من صفر في أرض كربلاء المقدسة.

(١) عمارة العتبات المقدسة: ٥٤-٥٥.

ووصف السيد هاشم الستري البحراني دفن الرؤوس في كربلاء بقصيدة طويلة مطلعها:

قُم جدّد الحزن في العشرين من صفرِ ففيه رُدّت رؤوس الآل للحفرِ

قال الشيخ جعفر بن نما الحلي قدس سره المتوفى سنة ٦٤٥هـ: (والذي عليه المُعوّل من الأقوال انّه أعيد إلى الجسد بعد أنْ طيف به في البلاد ودُفن معه)[١]. وقال آية الله السيد جعفر بحر العلوم في تحفته: (وأصح الروايات التي هي مختار الشيعة والعلماء الأخيار في باب دفن الرأس المكرَّم هو ذلك)[٢] وأكّد العلاّمة المحقق الشيخ جعفر محبوبه هذا الأمر قائلاً: (وهناك أحاديث كثيرة في موضع دفنه ولكن الصحيح انّه دُفن مع الجسد الطاهر)[٣].

وذكر العلاّمة المحقق السيد عبدالرزاق الموسوي المقرّم في كتابه مقتل الإمام الحسين عليه السلام ما يأتي: (لّما عرف زين العابدين عليه السلام الموافقة من يزيد، طلب منه الرؤوس كلّها ليدفنها في محلّها، فلم يتباعد يزيد عن رغبته، فدفع إليه رأس الحسين عليه السلام مع رؤوس أهل بيته وصحبه، فألحقها بالأبدان)[٤].

وبعد أنْ استعرض السيد المقرّم أقول جملة من العلماء والمؤرخين الذين يؤكدون بأنَّ رأس سيد الشهداء أبي عبدالله الحسين عليه السلام قد أُعيد بعد أربعين يوماً إلى كربلاء، قال معلقاً: (وعلى هذا فلا يُعبأ بكل ما ورد بخلافه، والحديث بأنّه عند قبر أبيه بمرأى من هؤلاء الأعلام، فإعراضهم عنه يدلّنا على عدم وثوقهم به، لأنَّ إسناده لم يتم ورجاله غير معروفين)[٥] .

---

(١) مثير الأحزان: ٨٥.

(٢) تحفة العالِم: ٦٢٠/١.

(٣) ماضي النجف وحاضرها: ٩٥/١.

(٤) مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ٣٣٣.

(٥) مقتل الإمام الحسين عليه السلام: ٣٣٤.

ومن هنا يمكن القول انَّ المحققين يرجّحون بل يجزمون انَّ الإمام زين العابدين عليه السلام قد أعاد رأس أبيه من الشام ودفنه مع الجسد الطاهر في كربلاء يوم العشرين من صفر. وهذا أمر له دلالته إذ يعزّ على الله أنْ يكون جسد سيد شباب أهل الجنة في مكان ورأسه في مكان آخر. ويبدو لنا جليّاً انَّ مسجد الرأس إنما سُمّي بهذا الإسم لأنّهُ يقع من جهة رأس أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا هو التفسير الأصح لهذه التسمية.

وقد ورد في دليل العتبة العلوية المقدسة: (في الجهة الغربية من الصحن الحيدري الشريف يقع مسجد الرأس، والمشهور انَّ تسميته بهذا الإسم بسبب كونه قد بُنيَ إلى جانب رأس الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ويعود تاريخ بنائه إلى عهد الايلخانيين، فيما نسبه البراقي إلى الشاه عباس الأول الصفوي)[1].

وخلاصة القول انّه لا ضير من أنْ يُخصص رواق أبي طالب عليه السلام للنساء. أضف إلى ذلك انّه يمكن أنْ تُقام صلاة الجماعة للنساء في مسجد الرأس الذي أصبح جزءاً من هذا الرواق، وبالمقابل يمكن إقامة صلاة الجماعة للرجال في مسجد عمران بن شاهين في حالة كون الظروف الجوية غير مؤاتية لإقامة الصلاة في باحة الصحن الحيدري الشريف. فالمهم برأينا هو تطبيق الأمور العملية التي تسهل انسيابية حركة الزوار داخل الحرم العلوي المطهر.

٢- إنشاء الصحن الحيدري الدائري الجديد :

تستند هذه الدراسة في إنشاء الصحن الجديد على المزاوجة بين أمرين هما التخطيط الحضري الذي تمثله الجوانب المادية الشكلية والوظيفية، والتخطيط العقائدي الذي تمثله الجوانب الدينية والروحية. حيث نعتقد انَّ دمج الجانبين معاً هو الكفيل بتشييد العمارة الجديدة لمرقد أمير المؤمنين الإمام علي صلوات الله عليه بمواصفات حديثة وبفن معماري ذي طابع إسلامي جميل. وسيتم توضيح هذين الأمرين بمزيد من التفصيل.

---

(١) دليل العتبة العلوية المقدسة: ٦٦.

الجوانب المادية في تصميم قطب الدائرة:

يمكن توضيح الجوانب الشكلية المقترحة للصحن الدائري الجديد بالآتي:

أولاً- نقترح أنْ يكون الشكل الهندسي للصحن الحيدري الجديد دائرياً، رمزاً لشكل المدينة القديم الدائري تقريباً المحاط بالسور. فلو رجعنا إلى الفترات الزمنية التي مرت بها مراحل نشوء مدينة النجف الأشرف القديمة عبر القرون الماضية، وكذلك الأسوار المشيدة حولها، لوجدنا انَّ النمو السكاني فيها يحدث دائماً بإشعاع محوري دائري حول ضريح الإمام علي عليه السلام.

ويساند رأينا هذا البيت من أرجوزة العلاّمة محمد السماوي:

هذا وموضع الضريح ذي الشرف مركز دَور السور من أرض النجف[1]

يحتضن الصحن الدائري الجديد عدداً من الصحون الثانوية بداخله، ونقترح أنْ تُسمّى هذه الصحون بأسماء بعض الشخصيات الإسلامية على غرار الصحن الذي سُمّي بإسم فاطمة الزهراء عليها السلام، مثل صحن الرسول الأعظم وصحن الحمزة بن عبدالمطلب وصحن جعفر الطيار وصحن خديجة الكبرى وصحن فاطمة بنت أسد وصحن الحوراء زينب وصحن أم البنين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لِما لهذه الأسماء من المنزلة الكبرى في عالم الإسلام والتي تجلّت في آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، فهي تمتلك مشاعرنا وعواطفنا لسموّها ومقامها العظيم عند الله تعالى.

ثانياً- للصحن الدائري الجديد إثنا عشر باباً تُسمّى بأسماء أئمتنا المعصومين الإثني عشر عليهم السلام، وهي باب الإمام علي المرتضى وباب الإمام الحسن المجتبى وباب الإمام الحسين الشهيد وباب الإمام علي السجاد وباب الإمام محمد الباقر وباب الإمام جعفر الصادق وباب الإمام موسى الكاظم وباب الإمام علي الرضا وباب الإمام محمد الجواد وباب الإمام علي الهادي وباب الإمام الحسن العسكري وباب الإمام

(١) عنوان الشرف في وشي النجف: ٦٤.

القائم المهدي. بحيث يكون باب الإمام علي المرتضى مواجهاً لشارع الإمام علي عليه السلام. فمن المعروف انَّ فتحة سور النجف القديم من هذه الجهة كانت تمثل باب الولاية التي يدخل منها الناس سابقاً من جهة مدينة الكوفة. ويكون ترتيب الأبواب مع اتجاه حركة عقارب الساعة.

ثالثاً- يكون لكل من باب الإمام علي المرتضى وباب الإمام علي السجاد وباب الإمام موسى الكاظم وباب الإمام علي الهادي، مئذنتان مشابهتان تماماً من ناحية الهيئة والشكل لمئذنة باب الساعة الموجودة في أعلى جدار باب الساعة في الصحن الحيدري القديم، وبذلك يكون عدد المآذن تسع للصحنين القديم والجديد بعدد الأئمة التسعة المعصومين من ذرية الحسين عليه السلام. أمّا المنارتان الذهبيتان للمرقد العلوي المقدس فهما غير داخلتين ضمن حساب عدد المآذن.

رابعاً: عند الشروع بتطوير الروضة الحيدرية المقدسة من جميع جوانبها إنْ شاء الله تعالى، ينبغي عند إجراء أعمال تسوية الأرض من قبل الشركات الهندسية المنفذه للعمل ترك أثر لكل من الذكوات البيض الثلاث المحيطة بقبر الإمام علي عليه السلام، وذلك للأهمية التاريخية لهذه التلال في الدلالة على قبره الشريف، كما ورد عن تراث أهل البيت صلوات الله عليهم في أحاديث كثيرة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: ((نعم، يا علي، تُقبَر بظاهرها قتلاً بين الغريين والذكوات البيض))[1]. ووصف الإمام جعفر الصادق موضع قبر أمير المؤمنين عليه السلام لصفوان الجمال، قال: ((إذا انتهيت إلى الغري، ظهر الكوفة، فاجعله خلف ظهرك وتوجه إلى نحو النجف، وتيامن قليلاً، فإذا انتهيت إلى الذكوات البيض والثنية أمامه فذلك قبر أمير المؤمنين عليه السلام))[2].

ويجدر بنا أنْ نؤكد بأنَّ ترك أثر لكل من هذه الذكوات البيض هو أمر إلزامي ولا مجال لأدنى اجتهاد يتضمن إزالة هذه الذكوات كليةً. وعلى ضوء ذلك نقترح أنْ

(١) فرحة الغري: ١٠٧.

(٢) كامل الزيارات: ٣٦.

يكون ارتفاع كل ذكوة ١٢ متر بمستوى جدار الصحن الحيدري الشريف وبقطر ٢٤ متر، أو أنْ تكون الأبعاد بمقدار يتم الاتفاق عليه اعتماداً على القياسات الهندسية الدقيقة للمكان. ووفقاً لتصميم قطب الدائرة ستكون آثار هذه الذكوات البيض الثلاث داخل الصحن الحيدري الدائري الجديد وكما يأتي:

١. جبل النور: يقع هذا التل في الجهة الجنوبية الشرقية ضمن محلة البراق حالياً، وسيكون أثره في المنطقة التي تقع بين كل من بابي الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام.

٢. جبل شرفشاه: يُسمّى أيضاً بجبل شريشفان، ويقع في الجهة الجنوبية الغربية ضمن محلة العمارة، وسيكون موقع أثر هذا التل بين بابي الإمامين الصادق والكاظم عليهما السلام.

٣. جبل الديك: يقع في الجهة الشمالية الشرقية بمحلة المشراق، وسيكون موقعه بين بابي الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام.

بوجه عام يحفزنا هذا التصميم على إجراء التطوير العمراني الهندسي للروضة الحيدرية المقدسة وفقاً لأحدث أساليب الهندسة المعمارية الإسلامية للمراقد في وقتنا الحالي، وبما يتناسب مع المكانة الدينية والروحية للمرقد العلوي المقدس. إضافةً لذلك ينبغي أنْ يكون بناء الصحن الجديد وفقاً لأنماط البناء الأصلية التي تُعد آية من آيات الفن المعماري وفيها من الخصوصية ما لا يوجد في أي حرم مقدس آخر.

بناءاً على ما تقدم فإنَّ الشركات الإعمارية التي سيتم التعاقد معها رسمياً لتنفيذ الصحن الدائري الجديد وصحونه الثانوية، ستكون ملزمة بإنشائه وفقاً للنسيج المعماري الصفوي من ناحية الطراز الإسلامي والتغليف بالقاشاني المنقوش، والذي يُعد الأجمل من حيث فن العمارة الاسلامية للمراقد المقدسة.

وبعبارة أوضح تكون الأساليب والطرز المعمارية الموجودة في الصحن الجديد من ناحية العناصر المعمارية الإنشائية للحرم العلوي من قباب وعقود وأعمدة وأبواب وعناصر التشكيل الزخرفي بشقيها المعماري الجمالي والروحي الرمزي بشكل مماثل للطراز الإسلامي القديم الجميل، وبذلك نضمن الحصول على التناظر الهندسي والانسجام بين العمارتين القديمة والجديدة.

إنَّ العمارة هي نتاج الفكر والثقافة الإنسانية، وقد تنوّع الإنتاج الشكلي المعماري بتنوع الفكر والرؤية الإنسانية للكون والحياة. ويمكن تقسيم الأشكال المعمارية للمساجد تبعاً لقدمها التاريخي وكما هو معروف إلى سبعة أشكال رئيسة هي المصري والمغربي والأندلسي والهندي والسلجوقي والصفوي والعثماني، ويُعد الطراز الصفوي ذا نماذج زخرفية راقية ويوصف بأنّه الغاية في حسن الذوق والانسجام، وتلاحظ زخارفه في كل جزء من أجزاء البناء تقريباً.

وبشكل عام فإنَّ هذه الأعمال العمرانية يجب أنْ تنفذ بطراز إسلامي يماثل أو يقترب من الطراز القديم الموجود في المرقد العلوي الحالي، لأجل التوفيق بين الأصالة المعمارية والمعاصرة الوظيفية، ولا مانع من استخدام التقنيات الحديثة في البناء ما دامت هذه التقنيات تسهل من إنجاز العمل وأداء المكان لوظيفته.

الوظيفية في الصحن الحيدري الدائري الجديد:

تعني الوظيفية بمعناها الواسع في فن العمارة أنْ يكون الشكل تبعاً للأغراض أو الوظائف. وانَّ نظرية الوظيفية Functionalism هي النظرية الرئيسة الهامة في نشأة وتطور العمارة الحديثة. ومن الممكن القول بوجه عام انَّ الوظيفة هي الدافع الداخلي الذي يوجد الشكل، وقد تأتي الأشكال نتيجة السعي وراء العثور على الطريقة التي تستوفى بها الوظائف المطلوبة كلها، ومعنى هذا انَّ نجاح الشكل يعود إلى خدمة الوظيفة والتعبير عنها.

وذهب إلى هذا الرأي الدكتور المهندس عرفان سامي بقوله: (العمارة هي الفن العلمي لإقامة مباني تتوافر فيها شروط الانتفاع والمتانة والجمال والاقتصاد، وتفي بحاجات الناس المادية والنفسية والروحية، الفردية والجماعية، في حدود أوسع الإمكانيات، وبأحسن الوسائل المتوفرة في العصر الذي تكون فيه. وهي طريقة في العمل، بتفكير ومنطق سليم، وتعتمد على علم صحيح وفن رفيع. ويقوم بها معماريون على صلة بالواقع وبالحياة، وعلى وعي وإدراك بأحوال بيئتهم وظروف

العمل في عصرهم. ونظريات العمارة هي التي تتولى تفسير كل هذا، وتبين الوسائل لتحقيقه)[١].

ويرى الدكتور عرفان سامي بأنَّ رجال علم الأحياء Biology هم أول من استعمل نظرية الشكل يتبع الوظيفة Form follows function، في دراستهم للكائنات الحية وبيان أثرها على الشكل، أما في فن العمارة فيعتبر المعماري الأمريكي لويس ساليفان الداعية الأكبر لعمارة العصر الحديث وهو الذي وضع في العقد الأخير من القرن التاسع عشر الأساس لنظرية الوظيفية واستقبلها معاصروه على انها اكتشاف جديد، ثم جاء فرانك لويد رايت بمبدأ العمارة العضوية Organic architecture وقال انَّ الحقيقة الأكبر هي انَّ الشكل والوظيفة شيء واحد Form and function are one ، حيث يتحد المبنى مع ما حوله في بيئته، ويأخذ شكله من طبيعة المواد، وتبعاً للغرض منه، وحتى يصبح وحدة متكاملة كل ما فيها حي وحقيقي[٢].

إنَّ العمارة قد تأثرت ببعض الحركات الفكرية مثل الحداثة Modern التي تُعد وليدة عصر النهضة الأوربية والثورة الصناعية ثم ما بعد الحداثة Post-modern المتأتية كرد فعل لحركة الحداثة. وقد أشار عبدالصاحب البغدادي وحيدر كمونة إلى هذا الأمر بالقول بأنَّ فكر العمارة الحديثة والثورة الصناعية قد أدّيا إلى إحداث ثورة معمارية كانت نتيجة التطورات الفكرية والتقنية وما صاحبها من التحولات الاقتصادية والسياسية التي ركزت على التخلي عن جميع الطرز التقليدية وإلغائها وإهمال الزخرفة واعتبارها عملاً إجرامياً، ففكرة العمارة الحديثة كانت تتوجه نحو التجريد والبساطة وبوجود الموارد والتقنيات الجديدة آنذاك وفرت حلولاً وأشكالاً

(١) نظريات العمارة: ١.

(٢) نظرية الوظيفية في العمارة: ٤١.

جديدة[١].

أما عمارة ما بعد الحداثة فقد أكدت على الهوية المحلية للعمارة وخصوصيتها واختلافها من مكان لآخر. وقد دمجت عمارة ما بعد الحداثة بين العقلانية المتمثلة بالوظيفة والتقنية والواقعية المتمثلة بالتاريخ والثقافة. ومن الملاحظ انَّ العمارة الإسلامية قد سبقت المعماري الأمريكي ساليفان منذ زمن في نظرية "الشكل يتبع الوظيفة" لكن دون أنْ تتجرد من روحها المحلية وهوية مجتمعها، وهذا ما يجعلها مميزة ولها فلسفتها الخاصة.

قال الباحث حسن العواودة: (إنَّ البحث عن الفكر المعماري الوسطي سيكون من خلال العلاقة بين الشكل والمضمون، كحالة بين الأشكال المادية والوظيفة ذات الالتصاق الحسي بالإنسان مع ما تقدمه هذه الأشكال من امتداد روحاني يحقق رضى داخلي. إنَّ دراسة الشكل والمضمون في العمارة سيكون من خلال دراسة المادة والروح كتعبير أكثر شمولية، فالروح تكون فيما تحققه الأشكال المادية أو من خلال البعد الروحاني في التشكيل الوظيفي، بمعنى أنَّ الروح يمكن التعبير عنها وتحقيقها في الشكل من خلال التكوينات الشكلية أو من خلال المضمون الذي يمثل الوظيفة بالبعد النفسي والإجتماعي)[٢].

وعلى الرغم من كون التعاليم الدينية لها الأثر المباشر في شكل العمارة، ويظهر هذا الأثر بقوة في العمارة الاسلامية، يجب أنْ تكون هناك معايير لتحقيق التوازن بين البعد الوظيفي للعمران والبعد الجمالي. وإننا نعتقد انَّ تصميمنا المقترح "قُطْب الدائرة" وهذه التوسعة الشاملة للروضة الحيدرية المقدسة وماحولها سوف يُحققان بإذنه تعالى الأمرين معاً.

---

(١) مجلة آداب الكوفة: ٢٦، العدد ٩، سنة ٢٠١١، البحث الموسوم (الإسلوب الأمثل في محاربة العولمة في العمارة في الوطن العربي).

(٢) فلسفة الوسطية الاسلامية: ١٥-١٦.

ونعتقد أيضاً انَّ هذا التصميم سوف يخدم الأغراض العملية المختلفة للناس وذا فائدة انتفاعية عظيمة للزوار في ضوء الوظائف المتميزة المتناسقة التي تتجلى بكبر مساحة الصحن الدائري الجديد، واحتوائه على الصحون الثانوية التي باستطاعتها استيعاب أعداد هائلة من الزائرين، وتهيئة الجو المناسب للزيارة والعبادة وذكر الله، ومن جانب آخر فإنَّ عدد الأبواب الإثني عشر سيسهل من حركة الزوار بشكل كبير ومريح عند الدخول والخروج إلى الروضة الحيدرية المقدسة.

إنَّ وجود الأسواق الكبيرة والحدائق ودورات المياه والحمامات ومواقف السيارات والأنفاق حول الصحن الدائري الجديد سيوفر كل أسباب الراحة النفسية والروحية للزوار الكرام، فضلاً عن ذلك فإنَّ الشكل الدائري للصحن الجديد سيؤدي إلى انسيابية عالية في حركة المركبات، وفي طواف المواكب الدينية في المناسبات المعروفة.

والناحية الأخرى هي انَّ هذا التصميم يوفر القيم البصرية الجمالية على مستوى المبنى ككل أو على مستوى تفاصيله وزخارفه. ويتضح هذا الأمر من خلال جعل المرقد العلوي من ناحية المشهد البصري هو العنصر المهيمن الأبرز في العمارة الجديدة، ومن جمالية البناء المعماري وعدد وترتيب وتناسق الأبواب الإثني عشر والمآذن التسع في وحدة متكاملة تظهر إنْ شاء الله تعالى كلوحة فنية ساحرة توفر المتعة والانشراح وتليق بمقام إمام المتقين صلوات الله عليه.

يمكن القول على أي حال انَّ التوازن مطلوب بين القيم الوظيفية والقيم الجمالية، وكلما ازداد المبنى كفاءة وملائمة لأغراضه ارتفعت قيمته وازداد الإعجاب بجماله. ونحن على ثقة بأنَّ تصميم قُطْب الدائرة يحقق الإتزان والتماثل والإنسجام المطلوب بين الشكل والوظيفة، ويتوافق عمرانياً مع الظروف البيئية، ونعتقد انَّ لهذا التصميم طابع خاص يميزه عن غيره من التصاميم، وتعبير مهم يدل على حقيقته بعد تنفيذه بإذن الله تعالى.

الجوانب الروحية في تصميم قطب الدائرة:

تتضمن الجوانب الروحية التي اعتمدنا عليها الرؤية الاسلامية والجانب العقائدي المستند إلى فكر أهل البيت عليهم السلام إضافةً إلى الخلفية التاريخية لمدينة النجف الأشرف المقدسة، كركائز أساسية استندنا عليها في تصميم العمارة الجديدة للروضة الحيدرية المقدسة. ونعتقد انَّ الجانب العقائدي الروحي في هذه الدراسة هو الأهم لأنَّ المضمون هو الذي يعطي الروح للعمارة الاسلامية، ويجعلها تحمل بين طياتها قيماً وأفكاراً لا غنى عنها.

إنَّ العمارة لغة مرئية، وانَّ من أهم صفات الأشكال المعمارية هي كيفية عملها كرموز أو إشارات، فالرمز هو شئ يذكرنا بشيء آخر. لذا فإنَّ عناصر تصميم قُطْب الدائرة من ناحية الشكل تمثل رموزاً إسلاميةً تعكس المبادئ الأساسية للفكر الشيعي والتصور الإسلامي للفن بشكل مفهوم ومعتدل بعيداً عن التعقيد والإفراط، وبالتالي فإنَّ هذا التصميم هو جزء من القاعدة الفلسفية للفكر المعماري الإسلامي الشيعي الذي يمثل موضوع الدراسة، ويعتمد الرمزية Symbolism كأساس في التشكيل الهندسي المعماري المقترح.

إنَّ تصميم قُطْب الدائرة يحمل سمواً في الرمزية والتعبير عن أمير المؤمنين وأولاده المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، بلغة معمارية واضحة قادرة على إيصال المعاني كاملة إلى المتلقي برسائل مفهومة ذات أبعاد كبيرة في عقيدتنا المستندة إلى فكر ومنهج أهل البيت عليهم السلام.

ومن الممكن القول انَّ هذه الرموز والإشارات قد تم تجسيدها إلى معالم مادية في هذا التصميم الهندسي، تتمثل بالشكل الدائري للصحن الحيدري الجديد وعدد الأبواب الإثني عشر والمآذن التسع. وبالتالي اعتماد المبادئ المميزة للفكر الشيعي المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة كأدلة صامتة، وتسخير هذه المعالم إلى دعاية لمذهب أهل البيت عليهم السلام وإلى دعم هوية التشيع.

الرمزية في الشكل الدائري للصحن الجديد:

إنَّ الروضة الحيدرية المقدسة لا تُعد مركزاً مقتصراً على العبادة فقط، ولا هي بناء يقف عند الإحساس المادي والصور الظاهرة، بل هي في الوقت نفسه رمزاً تلتف حوله القيم العقائدية للشيعة، فتوقظ في الأنفس الإشراق الروحي الذي يرفعها إلى عالمها العلوي. لذلك فإنَّ استخدامنا للتكوين الحلقي في هذا التصميم سوف يحقق البعد التوافقي بين الشكل والمضمون.

لقد تم استخدام الأشكال في الفن الإسلامي بوضع متنوع وواسع. وتنقسم الأشكال الهندسية عموماً على ثلاث فئات؛ أشكال هندسية محددة التكوين " المثلث، المربع، الدائرة..."، وأشكال حرة مستحدثة التكوين، وأشكال مركبة تجمع بين الفئتين السابقتين. وتمثل الأشكال الهندسية المحددة أشكالاً أولية عالمية متفق عليها.

قال حسن العواودة عن رمزية الأشكال ما يأتي: (أما الدائرة فإنها ترمز للسماء والكون، وهي مصدر للتكوينات التصميمية، فهي محيط يشكل نقطة لا نهائية ترتبط بنقطة ثابتة في المركز تشكل الحقيقة. وهي شكل تعبدي يرسمه المسلم في شعائر الحج حول الكعبة)[1].

إنَّ التعبير عن البعد العقائدي في تصميم قُطْب الدائرة يتجسد من خلال الشكل الدائري الذي يرمز إلى الإمام علي عليه السلام، باعتباره قُطْب رحى الإسلام وقُطْب دائرة الوجود، لذلك فإنَّ تصميمنا الهندسي أسميناهُ "قُطْب الدائرة" للإشارة إلى هذه المعاني السامية التي استلهمنا منها هذا التصميم.

(١) فلسفة الوسطية الاسلامية: ٣٦.

أولاً- الإمام علي عليه السلام هو قطب رحى الإسلام:

لقد استوحينا الفكرة العقائدية للتصميم الدائري للصحن الحيدري الجديد من قول أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته الشّقشقية من نهج البلاغة: ((أما والله ... أنَّ مَحلّي منها مَحلُّ القُطْبِ مِنَ الرَّحى، يَنحدرُ عَنّي السَّيلُ، ولا يَرقى إليَّ الطَّيرُ))[1].

ويكمن التوفيق في هذا الاستلهام من انَّ الإمام عليّ صلوات الله عليه قد وصف نفسه بالقُطْبِ في كتابه الذي أرسله إلى أهلِ الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة لقتال أصحاب الجمل. فقد ورد في نهج البلاغة ما نصه: ((مِنْ عبدِالله عَليٍّ أَميرِ المُؤمنينَ إلى أهلِ الكوفة، جبهةِ الأنصارِ، وسَنامِ العَرَبِ، أمّا بَعدُ:... واعلَموا أنَّ دارَ الهِجرَةِ قَدْ قَلَعَتْ بأهلِها، وقَلَعوا بِها، وجاشَتْ جَيْشَ المِرْجَلِ، وقامَتِ الفِتنةُ على القُطْبِ، فَأسرِعوا إلى أميرِكُمْ، وبادِروا جِهادَ عَدُوِّكُمْ، إنْ شاءَ اللهُ))[2].

ولو استقصينا معنى القُطْب في معاجم اللغة فسنعرف انَّ معنى القُطْب هو: المحور القائم المثبَّت في الطبق الأسفل من الرَّحى يدور عليه الطبق الأعلى. ويتضح لنا من هذا القول انَّ الإمام علي عليه السلام يبيّن أحقيته بالخلافة وقيادة الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وانّه مركز مدار الإسلام، وانَّ هذا الأمر لا يصلح لغيره، لصفات عظيمة جعلها الله فيه ولا توجد في أحد سواه.

قال ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة مفسراً قول أمير المؤمنين صلوات الله عليه: (كما انَّ الرّحا لا تدور إلاّ على القُطْب، ودورانُها بغير قُطْب لا ثمرة له ولا فائدة فيه، كذلك نِسبتي إلى الخلافة، فإنها لا تقوم إلاّ بي، ولا يدور أمرُها إلاّ عليّ. هكذا فسروه. وعندي أنّه أراد أمراً آخر، وهو أني من الخلافة في الصميم، وفي وَسَطها وبُحبُوحتِها، كما أنَّ القُطْب وسط دائرة الرّحا)[3].

---

(١) نهج البلاغة: ٣٤/١.

(٢) نهج البلاغة: ٣٩١/٣-٣٩٢.

(٣) شرح نهج البلاغة: ١٠٠/١-١٠١.

وقال الشيخ محمد عبده في شرحه: (تمثيل لسمو قدره كرم الله وجهه وقربه من مهبط الوحي وأنَّ ما يصل إلى غيره من فيض الفضل فإنما يتدفق من حوضه ثم ينحدر عن مقامه العالي فيصيب منه من شاء الله وعلى ذلك قوله: ولا يرقى إليَّ الطير، غير أنَّ الثانية أبلغ من الأولى في الدلالة على الرفعة)[1].

قال الشيخ الأزري بهذا الشأن:

لك نفسٌ من جوهر اللطف صِيغت جعل الله كلّ نفس فِداها
هي قُطْب المُكوناتِ ولولاها لما دارت الرّحى لولاها

وقال الشاعر صفي الدين الحلي في آل محمد صلوات الله عليهم:

هم الزاهدون هم العابدون هم العالمون بآدابها
هم الصائمون هم القائمون هم الساجدون بمحرابها
هم قُطْب ملة دين الإله ودَوْر الرِحيّ بأقطابها

إنَّ الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الدالة على إمامته للمسلمين وعلو مقامه كثيرة جداً، وانَّ العلماء من الفريقين قد ألّفوا الكتب الكاملة فيه وفي أهل البيت عليهم السلام، بحيث يتضح بدون أدنى شك من خلال الاطلاع على هذه النصوص انَّ الإمامة ترقى إلى درجة مقاربة من درجة النبوة، وانَّ الكتاب والعترة متلازمان دائماً، والتمسك بهما هو السبيل الوحيد للنجاة من الضلال. وقد استوفى العلاّمة السيد عبدالحسين شرف الدين قدس سره في كتابه المراجعات عرض النصوص المتضمنة للإمامة العامة وخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله.

تولّى النبي صلى الله عليه وآله تربية الإمام علي عليه السلام وكان يحرص على تعليمه شخصياً، وكان الإمام يلازم النبي منذ الصغر، يسأله ويتعلم منه وهو الأذن الواعية. قال الإمام علي عليه السلام: ((كنتُ إذا سألتُ رسول الله صلى الله عليه وآله أعطاني وإذا سكتُ ابتدأني))[2].

---

(١) نهج البلاغة: ٣٤/١.

(٢) سنن الترمذي: ٦٤٠/٥.

وقد أخرج أئمة الحديث وكبار الحفاظ في كتبهم ومسانيدهم الأحاديث الصحيحة المتواترة في فضائله ومناقبه وخصائصه، واتفقت على انّهُ لا يوجد من أحد يمكنه أنْ يداني الإمام بفضائله أبداً. قال أحمد بن حنبل: (ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله من الفضائل ما جاء لعلي بن أبي طالب)[1]. وقال الحافظ البَرسي رحمه الله: (فله الفضل الذي لا يُعد، والمناقب التي ليس لها حد، ولقد أنصف الشافعي محمد بن إدريس إذ قيل له: ما تقول في عليّ؟ فقال: وماذا أقول في رجل أخفى أولياؤه فضائله خوفاً، وأخفى أعداؤه فضائله حسداً، وشاع له بين ذين ما ملأ الخافقين)[2]

وقد أفاض ابن أبي الحديد في هذا الشأن إذ قال: (وما أقول في رجل تُعزى إليه كلُّ فضيلة، وتنتهي إليه كلُّ فِرقة، وتتجاذبه كلُّ طائفة، فهو رئيس الفضائل ويَنبوعها، وأبو عُذرِها، وسابق مضمارها، ومجلّي حَلْبتها، كلُّ مَنْ بزغ فيها بعده فمنه أخذ، وله اقتفى، وعلى مثاله احتذى)[3].

وإلى هذا المعنى أشار الشاعر عبدالباقي العمري الموصلي بقوله:

ما فرّق الله شيئاً في خليقته من الفضائل إلاّ عندك اجتمعا

وقال أبو الطيب المتنبي بعد أنْ عوتب على تركه مدح أمير المؤمنين عليه السلام:

وكتمتُ مدحي للوصي تعمداً إذ كان نوراً مستطيلاً شاملا
وإذا استطال الشيء قام بنفسه وصفات ضوء الشمس تذهب باطلا

ومن مختارات فضائله عليه السلام كما دلّت عليها النصوص الكثيرة، انّه خُلق والرسول من نور واحد، وانّه أخ رسول الله في الدنيا والآخرة، وزوج ابنته الزهراء البتول وأبو الأئمة الهادين المهديين، وأحب الخلق إلى الله وإلى رسوله، لا يحبه إلاّ مؤمن ولا يبغضه إلاّ منافق. وهو رفيقه وصاحبه ووزيره، فهو من النبي بمنزلة هارون من

(١) المستدرك على الصحيحين: ١٠٧/١.
(٢) مشارق أنوار اليقين في حقائق أسرار أمير المؤمنين عليه السلام: ١٩٩.
(٣) شرح نهج البلاغة: ١١/١.

موسى، وانّه وصيه وخليفته وولي كلّ مؤمن وأفضل من يتركه بعده، وانَّ طاعته طاعة للنبي ومعصيته معصية له، وهو المؤدّي عنه، ينجز عدته ويقضي دينه. فضلاً عن ذلك انّه أمير المؤمنين وإمام المتقين ويعسوب الدين وسيّد المسلمين وقائد الغر المحجّلين وخاتم الوصيين، قائد البررة وقاتل الفجرة. هو سيّد في الدنيا وسيّد في الآخرة، وقسيم الجنة والنار.

يقول أمير المؤمنين الإمام عليّ صلوات الله عليه عن نفسه:

محمد النبي أخـــي وصنوي ... وحـــمزةُ سيدُ الشهداءِ عمّي
وجعفرٌ الذي يُضحي ويُمسي ... يطيرُ مـــع الملائكة ابـنُ أمّي
وبنتُ محـمد سكَني وعِرسي ... منوطٌ لحمُـــها بدمي ولحمي
وسبطا أحـــمد ولَداي منها ... فَأيّكمُ لـــــه سهمٌ كسهمي
سـبقتكمُ إلى الإســـلام طُـراً ... على ما كان مـــن فَهمي وعلمي
فأوجـــبَ لي ولايتَهُ عـليكمْ ... رسولُ الله يومَ غـــديرِ خُـمٍّ
فويلٌ ثمّ ويـــــلٌ ثـــمّ ويلٌ ... لمـــن يلقى الإلـه غداً بظلمي

قال العلاّمة الشيخ عبدالحسين الأميني: (هذه الأبيات كتبها الإمام عليه السلام إلى معاوية لما كتب معاوية إليه: إنَّ لي فضائل! كان أبي سيّداً في الجاهلية، وصرت مَلِكاً في الإسلام، وأنا صهر رسول الله، وخال المؤمنين، وكاتب الوحي؛ فقال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: أباالفضائل يبغي عليَّ ابن آكلة الأكباد؟! أُكتب ياغلام: محمد النبي أخي وصنوي... إلى آخر الأبيات المذكورة)[1].

نشأ الإمام علي عليه السلام وهو يملك طاقات لا محدودة. فهو الأول إسلاماً والأكمل إيماناً، وأشجع الناس وأقواهم جناناً، وقد قام الإسلام بسيفه وتأسس بجهاده. ورث الإمام علم النبي، فهو سيّد البلغاء وأمير البيان وأفصح العرب، وأعلم الصحابة وأدراهم بأحكام الدين وشؤون الشريعة ولاسيما في شؤون القضاء، باب مدينة

(١) موسوعة الغدير: ٥٤/٢.

علمه وباب دار حكمته، وانّهُ مع الحق والحق معه وانّهُ مع القرآن والقرآن معه، وهو الأعرف بكتاب الله. قال الشيخ كمال الدين الدميري: (ومناقبه رضي الله تعالى عنه كثيرة جداً ويكفي منها قوله صلى الله عليه وسلم: ((أنا مدينة العلم وعلي بابها))[1].

وقد وصف الشيخ الأزري هذه المناقب العظيمة في قصيدته الهائية المشهورة ومنها نذكر هذه الأبيات:

أنت بعد النبي خير البرايا والسما خير ما بها قمراها
لك ذات كذاته حيث لولا أنها مثلها لما آخاها
هو في آية التباهل نفس المصطفى ليس غيره إياها
فارس المسلمين في كل حرب قُطْب محرابها وإمام وغاها
إنما المصطفى مدينة علم وهو الباب من أتاه أتاها

وقد أجاد الخليل بن احمد الفراهيدي وهو يصف الإمام بقوله: (احتياج الكل إليه، واستغناؤه عن الكل، دليل على انّهُ إمام الكل)[2]. ومن أعظم الشواهد على أفضليته، وانّهُ أعلم الناس بعد رسول الله، وانّهُ قد سبق عصره وفاق دهره، هي قوله عليه السلام: ((سَلوني قبل أن تفقدوني)). ولم يقل أحد من الناس سَلوني غير أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا يعني انَّ الإمام يملك الجواب لكل سؤال محتمل في كل علم ومعرفة وفن، ولا يجرؤ أحد غيره على قول مقالته. أَوَ ليس هو القائل: ((بَلِ اندَمَجتُ على مَكنونِ عِلمٍ لَو بُحتُ بِهِ لاضطَرَبتُمُ اضطِرابَ الأَرشِيةِ في الطَّوِيِّ البَعيدةِ))[3].

---

(١) حياة الحيوان الكبرى: ٩٢/١.

(٢) ملامح من عبقرية الإمام عليه السلام: ١١٣.

(٣) نهج البلاغة: ٤٢.

الأرشِية: جمع رِشاء وهو الحبل الذي يستقى به، والطَّويُّ البعيدة بمعنى البئر العميقة.

إنَّ الأفضلية المطلقة للإمام علي عليه السلام على سائر المسلمين هي التي دعت النبي صلى الله عليه وآله إلى تعريف المسلمين في صعيد خُمّ بما أمر الله به من تعيين الإمام وانتخابه قائداً عاماً للأمة الاسلامية. وهذا يعني انَّ الارتباط الحقيقي بالله سبحانه وتعالى يقتضي من المؤمنين السمع والطاعة لله ولرسوله وأولي الأمر من بعد الرسول صلى الله عليه وآله، وهذا الولاء والتسليم والانقياد يتمثل في فكر ووجدان الفرد الشيعي من خلال قيمة عليا سامية تدعى الوَلاية. وتتمثل هذه الوَلاية باتباع طريق الحق الذي انتهجه الإمام علي صلوات الله عليه وسلكه من بعده أولاده المعصومين عليهم السلام.

أخرج أحمد بن حنبل من حديث البراء بن عازب، قال: (كنا مع رسول الله، فنزلنا بغدير خُمّ، فنودي فينا الصلاة جامعة، وكُسح لرسول الله صلى الله عليه وآله تحت شجرتين، فصلى الظهر وأخذ بيد علي، فقال: ((ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى، قال: فأخذ بيد علي، فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه))، قال: فلقيه عمر بعد ذلك، فقال له: هنيئاً يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة)[1].

وقال الشيخ باقر شريف القرشي رحمه الله: (ليست الخلافة خاضعة للأهواء والعواطف لأنها من القضايا المصيرية للأمة، وعليها ترتكز جميع أهدافها وشؤونها. والشيء المؤكد حسب الدراسات العلمية، والتأمل الجاد في السيرة النبوية، ومصادر التاريخ الإسلامي يتضح بصورة جلية لا غبار عليها انَّ النبي صلى الله عليه وآله قد رشّح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لمنصب الخلافة، وأقامه إماماً للمسلمين من بعده، ويدعم ذلك النصوص المتواترة القطعية عن النبي صلى الله عليه وآله في الإشادة بالإمام وتعظيم مركزه من انّه باب مدينة علمه، وانّه مع الحق والحق معه، وانّه مع القرآن والقرآن

(١) المسند: ٤/٢٨١.

معه، وانّه من النبي صلى الله عليه وآله بمنزلة هارون من موسى، ويتجلى ذلك في مؤتمر الغدير الذي أخذ النبي البيعة بالخلافة للإمام عليه السلام...)[١].

ولكن لم يتم هذا الأمر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، وتنازع القوم على منصب الخلافة، وتنكّروا لبيعة الإمام بالإمرة والوَلاية، وكان كما قال الكميت الأسدي رحمه الله:

ويوم الدوح دوح غدير خُمّ أبان له الخلافة لو أُطيعا
ولم أرَ مثل ذاك اليوم يوماً ولم أرَ مثله حقاً أضيعا
ولكنّ الرجال تبايعوها فلم أرَ مثلها خطراً مبيعا

روى الحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء عن رسول الله صلى الله عليه وآله انّهُ قال: ((مَنْ سرَّه أنْ يحيى حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنة عدن غرسها ربي فليوالِ علياً من بعدي، وليوالِ وليه، وليقتد بالأئمة من بعدي، فإنهم عترتي، خُلقوا من طينتي، رزقوا فهماً وعلماً. وويل للمكذبين بفضلهم من أمتي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي))[٢].

وجاء في وسائل الشيعة للشيخ الحر العاملي قدس سره عن الإمام أبي عبدالله جعفر الصادق عليه السلام، قال: ((إنَّ الله افترضَ على أمة محمدٍ خمسَ فرائضَ: الصلاةَ والزكاةَ والصيامَ والحجَّ وولايتَنا))[٣]. وروى الشيخ أبو محمد الحسن الحرّاني قدس سره في كتابه تحف العقول قول رسول الله صلى الله عليه وآله: ((لا يدخل الجنة إلاّ من كان مسلماً، فقال أبو ذر: يا رسول الله وما الإسلام؟ فقال: الإسلام عريان ولباسه التقوى، وشعاره الهدى، ودثاره الحياء، وملاكه الورع، وكماله الدين، وثمرته العمل الصالح. ولكل شيء أساس وأساس الإسلام حبنا أهل البيت))[٤].

---

(١) حياة سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام: ٢٦٣.
(٢) حلية الأولياء: ٨٦/١.
(٣) تفصيل وسائل الشيعة: ٢٢/١.
(٤) تحف العقول عن آل الرسول: ٤٠.

وتأسيساً على ما تقدّم فإنَّ كون الإمام علي عليه السلام قُطْب رحى الإسلام، هو جعل إلهي وتنصيب رباني، وإنْ أنكر الناكرون ورفض الرافضون. والإمامة بهذا المنظور تعني الكمال الذاتي، والدين هو الوَلاية، والميزان في يوم المعاد هو علي عليه السلام. فلا وجود للإسلام الحقيقي بدون محبة ووَلاية أمير المؤمنين وأبنائه المعصومين عليهم السلام.

ثانياً- الإمام علي عليه السلام هو قطب دائرة الوجود:

إنّ الأدلة متضافرة والبراهين قاطعة على انَّ أهل البيت عليهم السلام لا يُقاس بهم أحد، فهم الأسرار الإلهية والكلمات الربانية التي أودعها الله في الأجساد البشرية. ويوجد من النصوص ما يدلّ دلالة صريحة قاطعة انَّ علياً وكذلك الخمسة أصحاب الكساء صلوات الله عليهم هم قُطْب دائرة الوجود في هذا الكون.

إنَّ من يستعظم وينكر هذا الكلام هو الذي يقيس الأشياء بحدود عقله، وهذا من قصور الفهم. قال الإمام علي عليه السلام: ((إنَّ أمرَنا صَعْبٌ مُستَصعَبٌ لا يَحمِلُهُ إلاّ عَبدٌ مؤمنٌ امتَحنَ اللهُ قَلبَهُ للإيمانِ، ولا يَعي حَديثَنا إلاّ صُدورٌ أَمينةٌ، وأحلامٌ رزينةٌ))[1]. وروى الشيخ محمد بن الحسن الصفار رحمه الله المتوفى سنة ٢٩٠هـ عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنّه قال: ((حديثنا صَعْبٌ مُستَصعَبٌ لا يَحتمِلُهُ إلاّ ملَكٌ مقرّب أو نبيّ مرسَل أو مؤمنٌ ممتحن أو مدينة حصينة فإذا وقع أمرنا وجاء مهدينا كان الرجل من شيعتنا أجرأ من ليث وأمضى من سنان يطأ عدونا برجليه ويضربه بكفيه وذلك عند نزول رحمة الله وفرجه على العباد))[2].

قال العلاّمة الأميني في موسوعة الغدير ما يأتي: (وأنّى لنا البلاغ مدية ما منحهم المولى سبحانه من فضائل ومآثر؟ وأنّى لنا الوقوف على غاية ما شرّفهم الله به من ملكات فاضلة، ونفسيات نفيسة، وروحيّات قدسية، وخلائق كريمة، ومكارم ومحامد، فمن ذا الذي يبلغ معرفة الامام؟... ولذلك تجد كثيراً من علمائنا المحققين في

(١) نهج البلاغة: ٣٠٧/٢.

(٢) بصائر الدرجات: ٥٥.

المعرفة بالأسرار يثبتون لأئمة الهدى صلوات الله عليهم كل هاتيك الشؤون وغيرها مما لا يتحمله غيرهم... ألا إنَّ الناس لمعادن كمعادن الذهب والفضة، وقد تواتر عن أئمة أهل البيت عليهم السلام: ((إنَّ أمرنا، أو حديثنا صعب مستصعب لا يتحمّله إلا نبيٌّ مرسل أو ملك مقرّب، أو مؤمنٌ امتحن الله قلبه بالإيمان)). إذن فلا نتحرى وقيعة في علماء الدين ولا نمسُّ كرامة العارفين، ولا ننقم من أحد عدم بلوغه إلى مرتبة من هو أرقى منه، إذ لا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها. وقال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: ((لو جلست أحدثكم ما سمعت من فم أبي القاسم صلى الله عليه وآله لخرجتم من عندي وأنتم تقولون: إنَّ علياً من أكذب الكاذبين)) [1].

إنَّ الله قد خلق نور محمد وآل محمد من نور عظمته، ومن شعاع نورهم خلق سائر الخلق، ولولاهم لم يخلق الله الكون والكائنات. ورد في حديث الكساء ما نصه: ((فقال اللهُ عزَّ وجلَّ يا ملائكتي ويا سكانَ سماواتي إني ما خلقتُ سماءً مبنيةً ولا أرضاً مدحيةً ولا قمراً منيراً ولا شمساً مضيئةً ولا فَلَكاً يدورُ ولا بحراً يجري ولا فُلْكاً تسري إلاّ في محبةِ هؤلاءِ الخمسةِ الذينَ هُمْ تحتَ الكساءِ. فقالَ الأمينُ جَبرائيلُ: يا ربِّ ومَنْ تحتَ الكساءِ؟ فقالَ اللهُ عزَّ وجلَّ: هُمْ أهلُ بيتِ النُّبوةِ ومعدنُ الرسالةِ وهُمْ فاطمةُ وأبوها وبَعلُها وبنوها...)) [2].

ومن اللافت للنظر انَّ في هذا النص من الحديث إشارة لطيفة، وهي انَّ فاطمة الزهراء عليها السلام تتبيّن أنها محور القُطْب، لأنها سر الأسرار ومنبع الأنوار، وصلة الوصل بين النبوة والإمامة. روى الشيخ الحر العاملي في الجواهر السنيّة عن الإمام علي الرضا عليه السلام عن أبيه عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: ((هبط عليَّ جبرائيل فقال: يا محمد إنَّ الله تعالى يقول: لَوْ لمْ أخلُقْ علياً ما كانَ لفاطمةَ كُفوٌ من وَلَدِ آدمَ ومِنْ ذُريتهِ، وفي نُسخةِ آدمَ ومَن دونِهِ)) [3].

---

(١) موسوعة الغدير: ٧/٥٠-٥٢.

(٢) ضياء الصالحين: ٣٩١.

(٣) الجواهر السنية في الأحاديث القدسية: ٢٣٢.

روى الشيخ الصدوق في علل الشرائع بإسناد رفعه إلى أبي ذر رحمه الله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول: ((خُلقتُ أنا وعلي بن أبي طالب من نور واحد نسبح الله يمنة العرش قبل أنْ يُخلق آدم بألفي عام، فلما أنْ خلق الله آدم جعل ذلك النور في صُلبه...))[1]. وجاء في العلل أيضاً عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام في حديث طويل، أنّهُ قال : ((أما علمت أنَّ محمداً وعلياَ صلوات الله عليهما كانا نوراً بين يدي الله عزَّ وجل قبل خلق الخلق بألفي عام، وأنَّ الملائكة لّما رأت ذلك النور رأت له أصلاً قد تشعب منه شعاع لامع فقالت: إلهنا وسيدنا ما هذا النور؟ فأوحى الله تبارك وتعالى إليهم: هذا نورٌ من نوري أصلُهُ نُبوةٌ وفَرعُهُ إمامةٌ، أما النُبوةُ فلمحمدٍ عبدي ورسولي، وأما الإمامةُ فلعليٍّ حجتي ووليٍّ ولولاهما ما خلقتُ خلقي))[2].

ونقل الشيخ الأميني في غديره عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله انّهُ قال: ((لّما خلق الله تعالى آدم أبا البشر ونفخ فيه من روحه إلتفت آدم يمنة العرش فإذا في النور خمسةُ أشباح سُجداً وركعاً. قال آدم: هل خلقتَ أحداً من طين قبلي؟ قال: لا يا آدم. قال: فمن هؤلاء الخمسة الأشباح الذين أراهم في هيئتي وصورتي؟ قال: هؤلاء خمسة من ولدك لولاهم ما خلقتك، هؤلاء خمسةٌ شَققتُ لهم خمسة أسماء من أسمائي لولاهم ما خلقتُ الجنة والنار، ولا العرش ولا الكرسيّ، ولا السماء ولا الأرض، ولا الملائكة ولا الإنس ولا الجن، فأنا المحمود وهذا محمد، وأنا العالي وهذا عليّ، وأنا الفاطر وهذه فاطمة، وأنا الإحسان وهذا الحسن، وأنا المحسن وهذا الحسين، آليتُ بعزّتي أنْ لا يأتيني أحدٌ بمثقال ذرة من خردل من بُغض أحدهم إلاّ أُدخله ناري ولا أُبالي، يا آدم هؤلاء صفوتي بهم أُنجيهم وبهم أهلِكُهم، فإذا كان لك إليَّ حاجة فبهؤلاء توسّل))[3].

---

(١) علل الشرائع: ١٣٠/١.

(٢) علل الشرائع: ١٦٧/١.

(٣) موسوعة الغدير: ٤٢٢/٢.

وقد اقتبس العلاّمة الشيخ عبدالحسين الحويزي[1] هذه المعاني وصاغها في قصيدة طويلة رائعة في مدح أمير المؤمنين عليه السلام منها هذه الأبيات:

أنت الذي بـــدأ الإله بخـــلقهِ للخلق أقسم في الكتاب بحقهِ
متخلف عـــنك الوجود بسبقهِ بيديك أعــطى الله قسمة رزقهِ
في كل صبح مشرق ومساءِ
أنت ابن عم المصطفى خير الورى وأبو الأئمة من بهم زهت الثرى
شرّفت مكة والصفا والمشـــعرا وقد استطلت على الخليقة مفخرا
مذ كنت كفو البضعة الزهراءِ
لولاك آدم في البرية مـــا خُلق فوجوده بوجود قدســك قد سبق
والكون فعلا من فعالك لم يطق يا غافلاً عن فضـــل حيدرة أفق
من ظلمة لترى عمود ضياءِ

(١) العلاّمة الشاعر الشيخ عبدالحسين بن عمران بن حسين بن يوسف بن أحمد بن درويش بن نصار بن سفاح آل قمر الحويزي الابراهيمي. وُلد في النجف الأشرف في محلة البراق سنة ١٢٨٧هـ/١٨٧٠م، ونشأ بها نشأة طيبة وأولاه أبوه عنايته. قرأ المقدمات الشرعية والأدبية على لفيف من أهل العلم والفضل. ثم حضر الأبحاث العالية على أكابر علماء عصره. كان من نوابغ الأدب وله نتاج شعري ضخم، وكان له إلمام بالرياضيات والهندسة والجفر والرمل وغيرها من العلوم الغريبة. انتقل في الفترة الثانية من سني حياته إلى كربلاء وتوفي بها سنة ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧م ونقل إلى النجف حيث نشأته ودفن بالصحن الحيدري الشريف في الحجرة رقم ٥٢. أما مؤلفاته الشعرية فهي فريدة البيان وديوان الحويزي. يُنظر: شعراء الغري ٢٣١/٥، وموسوعة أعلام العراق في القرن العشرين ١٣٨/٢.

أقول: لقد وَهَمَ الأستاذ علي الخاقاني رحمه الله في كتابه شعراء الغري عندما نسبه إلى عشيرة أخرى، ووقع في ذات الخطأ عدد من الكتاب الذين اعتمدوا على ما ذكره الخاقاني في تثبيت نسب المُترجَم له، فالشيخ عبدالحسين الحويزي هو ابن عم جدّي، فكاتب هذه السطور هو عبدالهادي عباس هادي عبدالله بن حسين بن يوسف الإبراهيمي، ولدتُ بمحلة الجديْدَة في النجف سنة ١٩٦٤. ويتصل نسبنا بالبطل الهمام الأمير إبراهيم بن مالك الأشتر رضي الله عنهما. وانَّ الصحيح في نسبنا هو ما ذكره الأستاذ حميد المطبعي في موسوعة أعلامه، لذا وجب التنويه.

شابهت أحمد بالعلى جرياً وجد والله غيـــــرك للأخوة ما وجد
روحاكما روح موحـــــدة بعد والحق ثنّى في الوجود لها الجسد
كفوان شخصكما بلا أكفاءِ
نوراً بساق العرش حين سطعتما خرت لعزتـه ملائكـــة السما
والله بصّر فيكـــــما ليل العمى وجلال شأنكما ســرى فتقدما
من قبل خلق الله للأشياءِ

إنَّ هـذا المقـام العظيم للإمـام علـي صـلوات الله عليـه هـو مقـام القطبيـة ومركـز الـدائرة، ونقطـة الكمـال الـتي تنتهـي إليهـا الموجـودات، وعلّـة التكـوين، ومفـترض الطاعة لكونه أمين الله على ما أنزل، فهو صاحب الأسرار ومنبع الأنوار.

يحـدثنا العـالم العرفـاني الحـافظ رجـب البَرسـي[1] في المشـارقِ عـن مقـام القطبيـة فيقول: (وهذه إشارة إلى انّه عليه السلام غاية الفخار ومنتهى الشرف وذروة العزّ، وقُطْب الوجـود وعـين الوجـود، وصـاحب الـدهر ووجـه الحـق وجنـب العلـى، فهـو القُطْـب الذي دار به كل دائر وسار به كل سائر، لأنَّ سريان الـولي في العـالم كسريان الحـق تعالى في العالم، لأنَّ الولاية هـي الكلمـة الجارية السـارية، فهـي لكـل موجـود مـولاه ومعناه، لأنَّ المولى هو الإسم الأعظم المتقبل لأفعال الربوبية والمظهر القـائم بالأسـرار

(١) قال الشيخ عبدالحسين الأميني في ترجمته ما نصه: (الحافظ الشيخ رضي الدين رجب بـن محمـد بـن رجـب البرسـي الحلي، مـن عرفـاء علمـاء الإماميـة وفقهائهـا المشـاركين في العلـوم، علـى فضـله الواضـح في فـن الحـديث، وتقدمـه في الأدب وقـرض الشـعر وإجادتـه، وتضـلعه مـن علـم الحـروف وأسرارها واستخراج فوائدها، وبذلك كله تجد كتبه طافحة بـالتحقيق ودقـة النظـر، ولـه في العرفـان والحروف مسالك خاصة، كما انَّ له في ولاء أئمة الـدين عليهم السلام آراء ونظريـات لا يرتضـيها لفيـف مـن الناس، ولذلك رموه بالغلو والارتفاع، غير انَّ الحق أنَّ جميع ما يثبته المترجَم لهم عليهم السلام من الشؤون هي دون مرتبة الغلو غير درجة النبوة، وقد جاء عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قوله: ((إياكم والغلـو فينا، قولوا: إنا عبيد مربوبون، وقولوا في فضلنا ما شئتم))، وقال الإمام الصادق عليه السلام: ((اجعل لنا رباً نؤوب إليه وقولوا فينا مـا شـئتم))، وقـال عليه السلام: ((إجعلونـا مخلـوقين وقولـوا فينـا مـا شـئتم فلـن تبلغوا))). يُنظر: موسوعة الغدير ٥٠/٧.

الإلهية، والنقطة التي أُدير عليها بِرْكار النبوّة في حقيقة كل موجود، فهي باطن الدائرة والنقطة السارية السايرة التي بها ارتباط سائر العوالم)[1].

وله من شعره الرائق في مدح أمير المؤمنين صلوات الله عليه قوله:

يا منبعَ الأنوار ياسـرَّ المهيمن في الممـالكْ
يا قُطْبَ دائرةِ الوجود وعينَ منبـعه كذلكْ
والعيـنَ والسرَّ الذي منـه تلقّنت الملائـكْ
ما لاح صبحٌ في الدجى إلاّ وأسفرَ عن جمالكْ
يابن الأطايبِ والطواهرِ والفواطم والعـواتكْ
أنت الأمانُ من الردى أنت النجاةُ من المهالكْ
أنت الصراطُ المستقيم قسيمُ جنّات الأرائكْ
والنارُ مفزعُها إليك وأنـت مالكُ أمرِ مالكْ
يا من تجلّى بالجمالِ فشقَّ بردةَ كلِّ حالكْ
صلّى عليكَ اللَّهُ من هـادٍ إلى خيرِ المسالكْ
والحافظ البرسيّ لا يخشى وأنـت له هنالكْ

ويفسر لنا البَرسي كلام إمام المتقين عليه السلام في خطبته الشّقشقية قال: (فهو قُطْب الوَلاية ونقطة الهداية، وخطة البداية والنهاية... فقوله "ينحدر عنّي السيل" إشارة إلى أنّه باطن النقطة التي عنها أُظهرت الموجودات ولأجلها تكوّنت الكائنات، وقوله "ولا يرقى إليَّ الطير" إشارة إلى انّهُ أعلى الموجودات مقاماً ولسائر البريات إماماً، ولهم في الحشر قائداً وقساماً، فهو قسيم نور الحضرة النبوية المحمدية وصاحب الوَلاية الإلهية، فهو الكلمة الربّانية ومولى سائر البرية)[2].

---

(١) مشارق أنوار اليقين في حقائق أسرار أمير المؤمنين عليه السلام: ٨٥.

بِرْكار: بَرْجل أو فِرْجار، وهي آلة هندسية ذات ساقين إحداهما ثابتة والأخرى متحركة مزوَّدة بقلم، تُرسم بها الدوائر والأقواس.

(٢) مشارق أنوار اليقين في حقائق أسرار أمير المؤمنين عليه السلام: ٨٦.

وقد أشار إلى معنى القطبية كثير من الشعراء وضمنوه قصائدهم في مدح أمير المؤمنين عليه السلام. وسبق أنْ أوردنا قصيدة السيد محمد بن أمير الحاج في تاريخ الشروع بتذهيب القبّة المشرّفة عام ١١٥٥هـ، فهو يصف في أحد أبياتها القبّة المنورة بأنها قُطْب دائرة الوجود، لأنّه يرقد تحتها صاحب مقام القطبية أسد الله الغالب علي بن أبي طالب عليه السلام، إذ يقول:

هي قُطْب دائرة الوجود وشمس كل الأدهرِ
فلذا دعا تاريخها (الشمس قبّة حيدرِ)

وفي إمتحان شعري في دار العلاّمة الشيخ عبدالحسين الجواهري بالنجف الأشرف في النصف الأول من القرن العشرين، جاءت هذه القصيدة الارتجالية في مدح إمام المتقين عليه السلام. وكان التصدير للأديب البغدادي المُلاّ عباس الزيوري والتعجيز للعلاّمة الشاعر النجفي الشيخ عبدالحسين الحويزي:

يا قُطْب دائرة الوجود ومن هو الـ نبأ العظيم ومن إليه المفزعُ
أنت ابن عم المصطفى ووصيه وأبو بنيه وسره المستودعُ
ما قام بيت للنبوة مشرع إلاّ وأنت له عماد يرفعُ
وجبت ولايته على أهل السما والأرض إنْ سمعوا وإنْ لم يسمعوا[1]

وقال الشاعر عبدالباقي العمري من قصيدة أنشدها في الروضة الحيدرية المقدسة في إحدى زياراته لمدينة النجف الأشرف، يصف فيها القبّة المشرّفة:

قبّة المرتضى عليّ تعالى شأنها عن موازن وعديلِ
من نضار صيغت بغير نظير في مثال منزّه عن مثيلِ
فوقها كالإكليل لاح هلالُ رمقته السُها بطرف كليلِ
كبرت فاستقلت الفلك الدوار عنها بأنْ يرى ببديلِ
جلّلتِ مرقداً جليلاً تجلّت فوقه هيبة المليك الجليلِ

(١) تاريخ النجف الأشرف: ١٦٩/١.

فعلى قبّة السماء إذا ما فضّلوها أقول بالتفضيلِ
هي باءٌ مقلوبةٌ فوق تلك النقطة المستحيلة التأويلِ
كرةٌ مستديرةٌ فوق قُطْب دبّر الكائنات بالتعديلِ

ويشرح لنا الشيخ البَرسي هذه الأسرار العظيمة بقوله: (وأما علم النقط والدوائر، فهو من أصل العلوم وغوامض الأسرار، لأنَّ منتهى الكلام إلى الحروف، ومنتهى الحروف إلى الألف، ومنتهى الألف إلى النقطة، والنقطة عندهم عبارة عن نزول الوجود المطلق بالباطن، ومن الابتداء بالانتهاء، يعني ظهور الهوية التي هي مبدأ الوجود التي لا عبارة لها ولا إشارة)[١].

وقال البَرسي عن سر الباء والنقطة ما نصه: (وسر اللَّه مودع في كتبه، وسر الكتب في القرآن، لأنّه الجامع المانع، وفيه تبيان كل شئ، وسر القرآن في الحروف المقطعة في أوائل السور، وعلم الحروف في لام ألف، وهو الألف المعطوف المحتوي على سرّ الظاهر والباطن، وعلم اللام ألف في الألف، وعلم الألف في النقطة، وعلم النقطة في المعرفة الأصلية، وسرّ القرآن في الفاتحة، وسر الفاتحة في مفتاحها، وهي ﴿ بسم اللَّه ﴾، وسر البسملة في الباء، وسر الباء في النقطة)[٢]. وإليها الإشارة بقول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: ((أنا النقطة التي تحت الباء وسر الباء المبسوطة))[٣].

ثالثا– وَلاية الإمام علي عليه السلام هي الحصن الحصين:

إنَّ الصحن الحيدري الدائري الذي يشبه الحصن المستدير يوفرّ مردوداً بصرياً روحياً ذي تأثير حسي ونفسي في كيان الزائر عندما يشاهده، فيأخذ هذا الشعور

(١) مشارق أنوار اليقين في حقائق أسرار أمير المؤمنين عليه السلام: ٤٨.
(٢) مشارق أنوار اليقين في حقائق أسرار أمير المؤمنين عليه السلام: ٤٩.
(٣) مشارق أنوار اليقين في حقائق أسرار أمير المؤمنين عليه السلام: ٤٥.

أبعاداً عقائدية تتمثل في كون الحصن الذي سوف يدخله الزائر لتأدية مراسيم الزيارة هو وَلاية علي بن أبي طالب صلوات الله عليه المنجية من النار والعذاب.

وإذا كان للشيعة وسائل تحميهم من المخاطر الدنيوية، فإنَّ الصحن الحيدري الدائري بوجود قطبه قسيم الجنة والنار هو حصنهم من العذابات الأخروية. وما أجمل وأسمى هذه المعاني الرمزية بحق سيد الأوصياء عليه السلام وهي تربط بين الشكل المادي والمضمون الروحي.

روي عن الإمام علي الرضا عليه السلام عن أبيه عن آبائه عن علي بن أبي طالب عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله عن جبرائيل عن ميكائيل عن إسرافيل عن اللوح عن القلم، قال: ((يقول الله عزَّ وجلَّ: وَلايةُ عليٍّ بنِ أَبي طالبٍ حِصني فَمَن دَخَلَ حِصني أَمِنَ مِنْ عَذابي))[1].

وذكر الحافظ رجب البَرسي الآتي : (ومثل هذا الباب من الحديث القدسي يقول اللَّه سبحانه: ((وَلايةُ علي حِصني فَمَن دَخَلَ حِصني أَمِنَ من عذابي))، فخصَّ الله تعالى الأمان من العذاب في وَلاية علي، لأنّ الإقرار بالوَلاية يستلزم الإقرار بالنبوّة، والإقرار بالنبوّة يستلزم الإقرار بالتوحيد، فالموالي هو القائل بالعدل، والقائل بالإمامة والعدل مع التوحيد هو المؤمن. والمؤمن آمن، فالموالي لعلي هو المؤمن الآمن، وإلاّ فهو المنافق الزاهق من غير عكس)[2].

قال العلاّمة الشيخ جعفر النقدي رحمه الله واصفاً المرقد العلوي المقدس بمعناه الروحي:

أعدّه الله مثوى للوصي كما ... أعدَّ يثرب للمختار ذي شرفِ
في حصن ظاهره الأبصار حائرة ... لكنَّ معناه عن غير المحب خفي

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١٤٦/٢.

(٢) مشارق أنوار اليقين في حقائق أسرار أمير المؤمنين عليه السلام: ٥١.

ومن المناسب أنْ نذكر هنا قول رسول الله صلى الله عليه وآله: ((علي بن أبي طالب بابُ حِطّة، مَنْ دَخل منه كان مؤمناً، ومن خرج منه كان كافراً)) [١]. وقال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام : ((هؤلاء بنو إسرائيل نُصب لهم باب حِطّة، وأنتم يا معشر أمة محمد نُصب لكم باب حِطّة أهل بيت محمد عليهم السلام، وأُمرتم باتباع هداهم، ولزوم طريقتهم ليغفر لكم بذلك خطاياكم وذنوبكم، وليزداد المحسنون منكم، وباب حِطّتكم أفضل من باب حِطّتهم، لأنَّ ذلك كان بأخاشيب ونحن الناطقون الصادقون المؤمنون الهادون الفاضلون...))[٢]. روى العلاّمة الفضل الطبرسي في مجمع البيان عن الإمام محمد الباقر عليه السلام، أنّه قال: ((نحنُ باب حِطّتكُم))[٣].

وعلّق الحافظ البرسي طاب ثراه على قوله تعالى: ﴿ وإذْ قُلنا ادخُلوا هذِهِ القَريةَ فكُلوا منها حيثُ شئتُمْ رَغَداً وادخُلوا البابَ سُجَّداً وقولوا حِطَّةٌ نَغفِرْ لكُمْ خَطاياكُمْ وسَنَزيدُ المُحسنينَ ﴾(البقرة/٥٨) قائلاً: (ثم بيّن أنَّ من اتبعهم نال الرضوان، وفاز بالغفران، ونجى من النيران، فقال: ﴿ وادخُلوا البابَ سُجَّداً وقولوا حِطَّةٌ نَغفِرْ لكُمْ خطاياكُمْ ﴾ ومعناه قفوا عند عليّ وعترته فهم الباب، وتمسكوا بحبهم تأمنوا العذاب، واتبعوا سبيله فهو أم الكتاب، واعلموا انَّ علياً مولاكم يغفر لكم خطاياكم)[٤] .

الرمزية في عدد الأبواب الإثني عشر:

تشير الأبواب الإثني عشر للصحن الدائري الجديد لأئمتنا الإثني عشر المعصومين صلوات الله عليهم، أولهم الإمام علي المرتضى عليه السلام وآخرهم الإمام

(١) كنز العمال: ٦٠٣/١١.

(٢) بحار الأنوار: ١٢٢/٢٣-١٢٣.

(٣) مجمع البيان: ٢٩٥/١.

(٤) مشارق أنوار اليقين في حقائق أسرار أمير المؤمنين عليه السلام: ١٩٠.

القائم المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف. ونقترح أنْ يُكتب إسم الإمام بالقاشاني المزخرف في أعلى الباب الذي يخصّه حسب الترتيب الذي أوضحناه.

إنَّ الرمزية في العدد الذي يشير إلى أئمتنا الإثني عشر عليهم السلام لم يغفل عنها المعماريون في العهد الصفوي عندما تم بناء المرقد العلوي المطهر، إذ نلحظ انَّ عدد شبابيك القبّة الذهبية الشامخة ١٢ شباكاً، وانَّ هناك ١٢ نافذة لكل منارة ذهبية، وبذلك فإنَّ التناغم والانسجام من الناحية الرمزية سيكون بأبهى صوره وأوضح معانيه بين الصحن الحيدري القديم والصحن الجديد عندما يكون عدد الأبواب ١٢ للصحن الدائري الجديد.

إنَّ العدد ١٢ عند أهل العرفان هو من أسرار الربوبية والنبوة والإمامة، لأنَّ عبارة "لا إله إلاّ الله" برسمها القرآني تتألف من إثني عشر حرفاً، و "محمد رسول الله" إثنا عشر حرفاً، و "أمير المؤمنين" إثنا عشر حرفاً، وهي إشارة واضحة إلى أئمتنا الاثني عشر صلوات الله عليهم.

ولا يخفى أنَّ لقب أمير المؤمنين مختص بإمام المتقين علي عليه السلام، ولا ينطبق على أحد سواه لا قبله ولا بعده، ويوثّق ذلك ما ذكره أرباب الحديث ومنهم المتقي الهندي في كنز العمال عن رسول الله صلى الله عليه وآله وقد أشار بيده إلى علي: ((إنَّ هذا أولُ مَنْ آمن بي، وأولُ مَنْ يصافحني يومَ القيامة، وهذا الصدّيقُ الأكبرُ، وهذا فاروق هذه الأمة يُفرّقُ بين الحق والباطل، وهذا يعسوبُ المؤمنين، والمالُ يعسوبُ الظالمين))[1]. وكما هو معلوم في اللغة فإنَّ اليعسوب هو أمير النحل، ويعسوب قومه يعني زعيمهم ورئيسهم وكبيرهم ومقدّمهم.

وروى النعماني بسنده عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، أنّهُ قال: ((الليل إثنتا عشرة ساعة، والنهار إثنتا عشرة ساعة، والشهور إثنا عشر شهراً، والأئمة عليهم السلام إثنا

(١) كنز العمال: ٦١٦/١١.

عشر إماماً، والنقباء إثنا عشر نقيباً، وإنَّ علياً ساعة من إثنتي عشرة ساعة، وهو قول الله عزّ وجلّ ﴿ بَلْ كذَّبوا بالسَّاعةِ وأَعتَدنا لِمَنْ كَذَّبَ بالسَّاعةِ سَعيراً ﴾(الفرقان/١١))[١].

وقد أشرنا في المبحث الأول إلى انَّ أسماء أئمتنا المعصومين صلوات الله عليهم قد كُتبت في قمة باطن القبّة المشرّفة المطرزة بالفسيفساء والقاشاني الجميل. ولعلّ من المناسب أنْ نذكر هنا انَّ هذه الأسماء قد كُتبت بشكل دائري وكان ترتيبها مع حركة عقارب الساعة، لذلك رتبنا الأبواب الإثنى عشر ابتداءاً بباب الإمام علي عليه السلام بنفس النسق أي مع حركة عقارب الساعة. أما نص كتابة أسماء الأئمة عليهم السلام بداخل القبّة فقد كُتب حرفيّاً بالشكل الآتي: " الإمام علي، وبعده إبنه الحسن، وبعده إبنه الحسين، وإبنه علي بن الحسين، وإبنه محمد بن علي، وإبنه جعفر بن محمد، وموسى بن جعفر، وإبنه علي بن موسى، وإبنه محمد التقي، وإبنه علي بن محمد، وإبنه الحسن بن علي، ومحمد بن الحسن".

إنَّ النصوص الواردة في خلافة الأئمة الإثني عشر بعد النبي وإنهم من قريش ومن أهل البيت عليهم السلام كثيرة جداً، وقد أثبتها علماء الخاصة والعامة في صحاحهم ومسانيدهم، وبعض هذه الأحاديث قد ذكرت العدد، والقسم الآخر تضمن التعيين بأسمائهم أو نعوتهم، بما لا يدع مجالاً للشك بانحصار هذه النصوص ودلالتها بأئمتنا الإثني عشر عليهم السلام ولا مجال لتطبيقها في مورد آخر.

وقد أشار النبي صلى الله عليه وآله في مواطن عدة إلى تعيين خلفائه وإنهم إثني عشر خليفة كلهم من قريش، ومن هذه الأحاديث ما ورد في صحيح البخاري عن جابر بن سمرة، قال: (سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((يكون إثنا عشر أميراً))، فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنّه قال: كلُّهم من قريش)[٢]. وأخرج مسلم في صحيحه عن جابر بن سمرة، قال: (دخلت مع أبي على النبي صلى الله عليه وسلم، فسمعته يقول: ((إنَّ هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم إثنا عشر خليفة)). قال: ثم تكلم

(١) الغيبة: ٨٧.

(٢) صحيح البخاري: ١٢٧/٨.

بكلام خفي عليَّ، قال: فقلت لأبي: ما قال؟ قال: قال: كلُّهم من قريش)[١]. وجاء في نهج البلاغة قول أمير المؤمنين عليه السلام: ((إنَّ الأئمةَ مِنْ قُرَيشْ، غُرِسوا في هذا البَطنِ من هاشمٍ، لا تَصلُحُ على سِواهُمْ، ولا تَصلُحُ الوُلاةُ مِنْ غَيرِهِمْ))[٢].

ومنها حديث عبدالله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله قال: ((يكون بعدي من الخلفاء عدة نقباء موسى))[٣]. ومن المعلوم انَّ نقباء موسى عليه السلام كانوا إثنا عشر. وأخرج أحمد بن حنبل في مسندِه عن مسروق قال: (كنا جلوساً عند عبدالله بن مسعود، وهو يُقرئنا القرآن، فقال له رجل: يا أبا عبدالرحمن هل سألتم رسول الله صلى الله عليه وسلم كَمْ تملك هذه الأمة من خليفة؟ فقال عبدالله بن مسعود: ما سألني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك، ثمَّ قال: نعم؛ ولقد سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ((إثنا عشر كعدة نقباء بني إسرائيل))[٤].

أما ما ورد من الأحاديث في وصف الأئمة الإثني عشر عليهم السلام بأسمائهم فهي مستفيضة، ومنها ما أخرجه القندوزي الحنفي عن جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((أنا سيّد النبيين، وعلي سيّد الوصيين، وإنَّ أوصيائي بعدي إثنا عشر، أولهم علي، وآخرهم القائم المهدي))[٥]. وحديث عبدالله بن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((إنَّ خلفائي وأوصيائي وحجج الله على الخلق بعدي، الإثنا عشر، أولهم علي، وآخرهم ولدي المهدي))[٦].

ومنها حديث اللوح الذي رآه الصحابي الجليل جابر الأنصاري عند سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام المشتمل على أسماء الأئمة الإثني عشر صلوات الله عليهم. وكان الإمام محمد الباقر عليه السلام قد أدرك جابراً فحدثّه بهذا الحديث. قال

(١) صحيح مسلم: ١٤٥٢/٣.
(٢) نهج البلاغة: ٢٢٨/٢.
(٣) كنز العمال: ٣٣/١٢.
(٤) المسند: ٣٩٨/١.
(٥) ينابيع المودة: ٢٩١/٣.
(٦) ينابيع المودة: ٢٩٥/٣.

جابر: (دخلت على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وقدّامها لوح يكاد ضوؤهُ يغشي الأبصار، فيه إثنا عشر إسماً: ثلاثة في ظاهره وثلاثة في باطنه وثلاثة في آخره وثلاثة أسماء في طرفه، فعددتها فإذا هي إثنا عشر. فقلت: أسماء من هؤلاء؟ قالت: ((هذه أسماء الأوصياء، أولهم ابن عمي وأحد عشر من ولدي آخرهم القائم)). قال جابر: فرأيت فيها: محمداً محمداً محمداً في ثلاثة مواضع، وعلياً علياً علياً في أربعة مواضع))[1].

قال أبو الواثق العنبري:

شفيعي إليك اليومَ يا خالقَ الورى ... رسولُك خيرُ الخلق والمرتضى علي
وسبطاهُ والزهراءُ بنت محمد ... ومن فاق أهلَ الأرض في زهده علي
وباقرُ علمِ الأنبياءِ وجعفرٌ ... وموسى وخيرُ الناس في رشده علي
ومولاي من بعد الكرام إلى الورى ... محمدٌ المحمودُ ثم ابنهُ علي
وبالحسنِ الميمونِ تمت شفاعتي ... وبالقائم المهديّ ينمى إلى علي
أئمةُ رشدٍ لا فضيلةَ بعدَهم ... سلالةُ خيرِ الخلقِ أفضلُهم علي

وأصرح من الكل حديث أم سلمة، قالت: قال رسول الله ﷺ: ((لما أُسري بي إلى السماء نظرتُ فإذا مكتوب على العرش لا إله إلا الله محمد رسول الله أيدته بعليّ ونصرته بعليّ، ورأيتُ أنواراً، نور علي وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي، ورأيت نور الحجة يتلألأ من بينهم كأنّه كوكب درّي، فقلتُ: يا رب من هذا ومن هؤلاء؟ فنوديت: يا محمدُ، هذا نورُ عليٍّ وفاطمةَ وهذا نورُ سِبطَيكَ الحَسنِ والحُسينِ وهذا نورُ الأئمة بَعدَكَ من وَلَدِ الحُسينِ مُطَهّرونَ مَعصومونَ، وهذا الحُجَّةُ الذي يَملأُ الدُّنيا قِسطاً وعَدْلاً))[2].

---

(١) بحار الأنوار: ٢٠١/٣٦.

(٢) الجواهر السنية في الأحاديث القدسية: ٢٦١.

وخلاصة القول انَّ هذه النصوص صريحة في انَّ الخلفاء هم من قريش ومن بني هاشم بالتحديد، وانَّ عدد الأئمة إثنا عشر بدون زيادة أو نقصان، أولهم علي وآخرهم المهدي، وإنهم الأئمة المعترف شرعياً بإمامتهم. وهذا ما يوافق معتقدنا كشيعة إمامية، ولا يهمنا من يحاول التملص من دلالة هذه النصوص ويتكلف تأويلها، ويجافي أهل البيت عليهم السلام.

الرمزية في عدد المآذن التسع:

يكون لكل من باب الإمام علي المرتضى وباب الإمام علي السجاد وباب الإمام موسى الكاظم وباب الإمام علي الهادي، مئذنتان مشابهتان لمئذنة باب الساعة الموجودة في أعلى باب الساعة في الصحن الحيدري القديم، وبذلك يكون عدد المآذن تسع، وهي ترمز إلى الأئمة التسعة المعصومين من ذرية الإمام الحسين الشهيد عليه السلام. وستوفر هذه المآذن منظراً جمالياً أخّاذاً للروضة الحيدرية المقدسة، مشابهاً لما موجود في الحرم المكي الطاهر والحرم النبوي الشريف، وبذلك سيكون صوت لا اله إلاّ الله، محمد رسول الله، عليّ ولي الله، والأدعية المأثورة عن أهل بيت النبوة صلوات الله عليهم مسموعة حول جميع المناطق الأربع المحيطة بالروضة الحيدرية المقدسة. ونقترح أنْ يكون عدد نوافذ المئذنة تسع كرمز إضافي يشير إلى الأئمة التسعة المعصومين صلوات الله عليهم.

تُعد المآذن من العناصر المعمارية البارزة في عمارات المشاهد المقدسة والروضات المطهرة، وتُعد مئذنة باب الساعة قمة في الإبداع المعماري ورائعة من روائع التراث الإسلامي، وقد تم تصميمها بشكل هندسي ملفت للانتباه جعلها تحفة من تحف فنون العمارة الاسلامية من حيث شكلها وساعتها الفريدة وما ضمته من زخارف ونقوش إسلامية بديعة، ما يدل عن روح فنية مرهفة أوجدت معلماً بلغ حداً عالياً من الروعة تصميماً وتنفيذاً. فلا غرو إذن أنْ يكُنّ لها أهل النجف والزوار الكرام الإعجاب والحب الشديد.

إنَّ اختيارنا للمآذن لتكون نسخة من مئذنة باب الساعة جاء للأسباب التي ذكرناها آنفاً، أمّا من حيث الإشارة العقائدية فإنها سوف تحمل سمواً في التعبير والرمزية يعكس الموقف الجمالي والروحي معاً، وهذه الرمزية التي اقترحناها تؤكدها الأحاديث الكثيرة التي وردت في الأئمة التسعة المعصومين من ذرية الإمام الحسين عليه السلام، والتي يختتم اغلبها بالبشارة بقيام مهدينا المنتظر أرواحنا فداه.

أخرج القندوزي الحنفي عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ((أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهرون معصومون))[١]. وحديث سلمان الفارسي رضي الله عنه، قال: (دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله، وإذا الحسين بن علي على فخذه، وهو يقبّل عينيه ويلثم فاه، ويقول: ((أنت سيّد، إبن سيّد، أخو سيّد. أنت إمام، إبن إمام، أخو إمام. أنت حجّة، إبن حجّة، أخو حجّة. وأنت أبو حجج تسع، تاسعهم قائمهم))[٢]. وروى النعماني عن أبي بصير عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنّه قال: ((يكون تسعة أئمة بعد الحسين بن علي، تاسعهم قائمهم))[٣].

وعن أبي حمزة الثمالي عن الإمام الباقر عليه السلام قال: ((لمّا قُتل الحسين عليه السلام ضجّت الملائكة بالبكاء والنحيب وقالوا: إلهنا وسيدنا تغفل عمن قتل صفوتك وابن صفوتك. فأوحى الله إليهم: قِرُّو ملائكتي فوعزّتي وجَلالي لأنتقمنَّ مِنهمْ ولَوْ بعدَ حين. ثمَّ كشف الله عن الأئمة من ولد الحسين عليهم السلام فسرّت الملائكة بذلك فإذا أحدهم قائم يصلي. فقال الله: بذلكَ القائمُ أنتقمُ مِنهمْ))[٤].

ونختتم مبحثنا هذا بالقول بأنَّ النظرية المعمارية الإسلامية تنبع من تكامل الشكل والمضمون. لذلك فإنَّ ما يفعله بعض المهندسين من تقليد للعمارة الغربية واعتماد

(١) ينابيع المودة: ٣١٦/٢.
(٢) ينابيع المودة: ٣٩٤/٣.
(٣) الغيبة: ٩٥.
(٤) الجواهر السنية في الأحاديث القدسية: ٢٢٦-٢٢٧.

الشكل دون المضمون هو تقليد خال من الإبداع والابتكار وبعيد عن قيم ومبادئ المجتمعات الإسلامية. وينبغي على المهندسين في المجتمعات الإسلامية فهم العمارة والتعامل معها على انها عمارة تخص المجتمع بكامله لا على كونها عمارة أفراد. وليس هناك مانع من إتاحة الفرصة للتجديد والإبداع ولكن بما يتوافق مع الهيئة العامة للعمارة الأصلية.

إنَّ تطبيق فلسفة الوسطية كإسلوب معماري في العمارة الاسلامية لتطوير الروضة الحيدرية المقدسة يتم من خلال الحالة الجامعة بين المادة والروح أي من خلال الربط بين الشكل والمضمون، وهي بالتالي رسالة رمزية بالتوجه نحو الخالق جلَّ وعلا. فالوسطية في الإسلام تمثل خصيصة للمنهج الإسلامي، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (سورة البقرة/١٤٣).

وبوجه عام يمكن القول انّه عندما يتم تنفيذ تصميم قُطْب الدائرة إنْ شاء الله تعالى، فإنَّ عمارة الروضة الحيدرية المقدسة سوف تتمتع بطابع معماري فريد ومميز لا يوجد ما يماثله في أي مدينة مقدسة في العالم. وأي صورة فضائية يتم التقاطها للعمارة الجديدة سوف تُظهر انَّ المرقد المقدس للإمام عليه السلام بداخل الصحن الحيدري القديم يرمز للقُطْب المحوري أما الشكل المستدير للصحن الجديد فيمثل رحى الإسلام ودائرة الوجود. وهذه الرمزية هي خصيصة من خصائص أمير المؤمنين عليه السلام. وبناءاً على ما تقدم فإنَّ اتخاذ أي تصميم آخر غير الشكل الدائري في تطوير الروضة الحيدرية المقدسة هو خطأ جسيم بحق الإمام علي عليه السلام ومرقده المقدس.

المبحث الخامس

المنافع الاجتماعية لتطوير الروضة الحيدرية المقدسة وفقاً لتصميم قطب الدائرة

المبحث الخامس

المنافع الاجتماعية لتطوير الروضة الحيدرية المقدسة وفقاً لتصميم قطب الدائرة

إنَّ مشروع تطوير الروضة الحيدرية المقدسة يشتمل على منافع إنسانية كثيرة تصب فوائدها في صالح المجتمع النجفي خاصةً والعراق عامةً. وهذه المنافع تتضمن تقديم جميع الخدمات الضرورية للزوار الوافدين من داخل العراق وخارجه للتشرف بالزيارة، إلى جانب الفوائد الدينية والتاريخية والتراثية والاقتصادية والسياحية وغيرها التي ستحصل حتماً عند تنفيذ المشروع. وفيما يأتي إجمال هذه المنافع:

أولاً– خدمة الزوار الكرام:

على الرغم من الزيادة الكبيرة الحاصلة في أعداد الزائرين الوافدين للتشرف بزيارة المراقد المقدسة بالعراق من الداخل والخارج، وخاصة في المناسبات الدينية المعروفة، فقد بقيت ولأسباب عدة بدون تطوير حقيقي وتوسعة نافعة. ويبدو انَّ هناك عوامل كثيرة أدت إلى زيادة عدد الزوار منها تحسن الظروف المادية والتطور الحاصل في وسائل النقل وافتتاح مطار النجف الأشرف الدولي الذي سهل من وصول الزائرين.

إنَّ أهم منفعة إنسانية لهذا التطوير يتمثل بخدمة الزوار. وتتم هذه الخدمة من خلال تقديم الحلول الفنية والتقنية للمشكلات والصعوبات والمساوئ التي تنغصهم أثناء تأديتهم لمراسيم الزيارة. ومن جملة الخدمات التي سيوفرها المشروع عند تنفيذه إنْ شاء الله تعالى هي:

١. نظراً لسعة الصحن الحيدري الدائري الجديد واشتماله على عدد من الصحون الثانوية فإنّه سيعمل على منع الازدحام الشديد الحاصل الآن في المرقد المقدس، ويستوعب جموع الزائرين ومهما كان عددهم ليتحركوا بحرية وبمساحة عريضة داخل الروضة المقدسة. كما ان الصحون المسقفة والمكيفة ستوفر ملاذاً للزوار من حرّ الصيف وبرد الشتاء ومن تقلبات الطقس من رياح عاتية وعواصف ترابية وغيرها، وستكون مكاناً مريحاً للتعبد ولأداء طقوس الزيارة المتعارف عليها في تراث أهل البيت عليهم السلام.

٢. إنَّ الأبواب الإثنا عشر للصحن الدائري سوف تسهل إنسيابية حركة الزوار أثناء الدخول والخروج، لاسيما في الزيارات المخصوصة التي قد تصل فيها أعداد الزائرين إلى ملايين، وبذلك ننهي معضلة كبيرة عانى منها الزوار طويلاً عند زيارتهم الروضة الحيدرية المقدسة.

٣. إنشاء مباني متخصصة داخل الصحن الجديد تقدم خدمات متنوعة للزوار منها الثقافية كالمكتبات والمتاحف، بالإضافة إلى المراكز الصحية لطبابة الزوار، ومضايف لإطعام زوار العتبة وغيرها من الخدمات. ويمكن أيضاً إيواء الزوار من المنقطعين عن أهاليهم من خارج المحافظة والعراق من ضعيفي الحال ممن لا يستطيعون دفع المبالغ النقدية للسكن في الفنادق.

٤. إنشاء أربعة مباني واسعة للخدمات الصحية تشتمل على دورات المياه الصحية ومغاسل الوضوء والحمامات للتطهير. حيث انَّ التطهر والوضوء هو جزء من آداب الزيارة للعتبات المقدسة، وهذه المنشآت تكون تحت الأرض ومزودة بسلالم عادية وكهربائية لكبار السن والمرضى والمعاقين، ومبنية وفقاً للطراز الحديث من حيث الجمالية والأناقة ووفقاً لأعلى المستويات.

إنَّ وجود دورات المياه خارج الصحن الحيدري الشريف هو الأصح حفاظاً على طهارة الروضة الحيدرية المقدسة، كما ينبغي ألاّ تكون دورات المياه في اتجاه القبلة

عند تشييدها، ويجب أنْ تتوافر في هذه المنشآت الشروط الصحية المطلوبة من ناحية التهوية والإنارة.

٥. إنشاء أربعة مواقف لسيارات الزائرين، وتكون هذه الخدمة مجانية للزوار تحت الأرض. وستستوعب هذه المواقف آلاف المركبات القادمة باتجاه المناطق الأربع المحيطة بالصحن الدائري الجديد. وبذلك يتم حل مشكلة كبيرة يعاني منها الزوار في منطقة المدينة القديمة تتمثل بقلة مواقف السيارات في المناطق المحيطة بالروضة الحيدرية المقدسة.

٦. إنشاء مساحات خضر حول الروضة الحيدرية المقدسة، تُحوّل إلى متنزهات ذات حدائق غناء فيها أنواع الأشجار كالنخيل والشجيرات والزهور وأحواض النافورات ذات الأهمية في تغيير جو المدينة الحار الجاف. إضافةً إلى توفير أرائك (مصاطب) ذات مظلات لجلوس الزائرين ومرح أطفالهم. إنَّ هذا العمل يعزز مبدأ ما يُعرف علمياً بالبيئة الخضراء ويضفي البهجة والجمالية في هذا المكان المقدس.

إنَّ من الضروري توافق العمران مع الظروف البيئية، لذا فإنَّ عمل الحدائق والنافورات في الفراغات الداخلية بين الصحون الثانوية وفي الفراغات الخارجية حول الصحن الدائري الجديد بالإضافة إلى كونه عنصراً جمالياً، فانّهُ يهدف إلى توفير المناخ المناسب لراحة الزوار ضمن المحيط العمراني، لذا فإنَّ الإهتمام بالبعد البيئي هو أحد الضوابط التي يجب مراعاتها في العمران الإسلامي.

علّق الدكتور المهندس يحيى وزيري حول الآيات الكريمة: ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴾(الواقعة/٢٧-٣١) التي تشير إلى أهمية البعد البيئي في المحيط العمراني، فقال: (ومن اللافت للنظر انَّ الآية الكريمة قد ربطت ما بين الظل الدائم ووجود الماء الجاري، وهو ما يؤدي إلى زيادة التقليل من درجات الحرارة وهو ما أثبتتهُ العديد من التجارب العلمية الحديثة. لقد أعطت الآية الكريمة نموذجاً مثالياً للتصميم البيئي

حيث الجمع بين الظلال والماء، وهو ما يفسر حرص المسلمين الأوائل على وجود النوافير والبحيرات المائية داخل أفنية المباني والبيوت الاسلامية، وفي الحدائق الخارجية المحيطة بها بهدف خفض درجات الحرارة، إلى جانب تحقيق العامل الجمالي أيضاً)[1].

٧. إنشاء إثني عشر نفقاً للمشاة بمعدل نفق واحد أمام كل باب من أبواب الصحن الحيدري الدائري الجديد، وهذه الأنفاق تكون واسعة ومزودة بسلالم ثابتة عادية وأخرى كهربائية متحركة.

إنَّ هذه الأنفاق ستسهل حركة الزوار عبر الشارع المحيط باتجاه الروضة الحيدرية المقدسة لاسيما في المناسبات الدينية المليونية كزيارة يوم الغدير مثلاً. ومن ناحية ثانية فإنَّ وجود أنفاق المشاة سينظم حركة سير المركبات في الشارع المحيط وحركة وانسيابية المواكب الدينية ولاسيما المواكب الحسينية في شهر محرم الحرام التي تطوف حول الصحن الدائري الجديد.

زيارة المراقد المقدسة:

إنَّ زيارة المراقد المقدسة في العراق تعبير عن إعلان للانتماء والهوية الحضارية والثقافية وعقيدة إيمانية للمسلم وخاصةً للفرد الشيعي. ولهذه الطقوس المتوارثة دلالات روحية كبيرة تم التأكيد عليها في أحاديث الرسول الأكرم وأئمة أهل البيت عليه وعليهم أفضل الصلوات وأتم التسليم.

روى الشيخ ابن قولَويه القمي بإسناده عن المعلى بن أبي شهاب عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام، قال: قال الحسين عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله: ((ما جزاء من زارك، فقال: يا بُني من زارني حياً أو ميتاً أو زار أباك أو زار أخاك أو زارك، كان حقاً عليَّ أنْ

(١) العمران والبنيان في منظور الإسلام: ١٠٤-١٠٥.

أزوره يوم القيامة حتى أخلّصه من ذنوبه))[١]. وذكر السيد عبدالكريم بن طاووس بسنده عن الحسن بن محمد بن مالك، عن أخيه جعفر، عن رجاله يرفعه، قال: (كنت عند الصادق عليه السلام وقد ذُكر أمير المؤمنين. فقال ابن مارد لأبي عبدالله: ما لمن زار جدك أمير المؤمنين؟ فقال: ((يا بن مارد، من زار جدي عارفاً بحقه، كتب الله له بكل خطوة حجة مقبولة، وعمرة مبرورة، يا بن مارد والله ما يطعم الله النار قدماً تغبّرت في زيارة أمير المؤمنين ماشياً كان أو راكباً. يا بن مارد، أُكتب هذا الحديث بماء الذهب))[٢].

وروى الشيخ القمي بسنده عن الوشاء قال: سمعتُ الرضا عليه السلام يقول: ((إنَّ لكل إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته وانَّ من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم، فمن زارهم رغبةً في زيارتهم وتصديقاً بما رغبوا فيه كان أئمتهم شفعاءهم يوم القيامة))[٣].

إنَّ الحب والولاء والارتباط الروحي بين الأئمة عليهم السلام وشيعتهم يتجسد من خلال تعمير قبورهم والمداومة على زيارة مراقدهم الشريفة، وقد وردت عن النبي وأئمة أهل البيت صلوات الله عليهم أحاديث كثيرة بهذا المضمون.

ومنها ما روي عن أبي عامر البناني واعظ أهل الحجاز، قال: (أتيت أبا عبد الله جعفر بن محمد، وقلت له: يا بن رسول الله ما لمن زار قبره - يعني أمير المؤمنين - وعَمَّر تربته؟ قال: ((يا أبا عامر، حدثني أبي، عن أبيه، عن جده الحسين بن علي، عن عليّ، إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال له: والله لتُقتلنّ بأرض العراق، وتُدفن بها. قلت: يا رسول الله، ما لمن زار قبورنا وعَمَرَها وتعاهدها؟ فقال لي: يا أبا الحسن إنَّ الله تعالى جعل قبرك وقبر ولدكَ بقاعاً من بقاع الجنة، وعَرَصَةً من عَرَصاتها، وإنَّ الله جعل قلوب نجباء من خلقه، وصفوة عباده تحنّ إليكم، وتحتمل

(١) كامل الزيارات: ٩.

(٢) فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين علي عليه السلام: ٢٠٠-٢٠١.

(٣) كامل الزيارات: ١٢٨.

المذلة والأذى، فيعمرون قبوركم، ويكثرون زيارتها، تقرّباً منهم إلى الله، ومودةً منهم لرسوله، أولئك يا علي المخصوصون بشفاعتي، الواردون حوضي، وهم زوّاري غداً في الجنة.

يا علي من عَمَّر قبوركم، وتعاهدها، فكأنما أعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدس، ومن زار قبوركم عدل ذلك ثواب سبعين حجة بعد حجة الإسلام، وخرج من ذنوبه حتى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته أمه. فابشر، وبشّر أولياءك ومحبيك من النعيم، وقرة العين بما لا عين رأت، ولا أُذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ولكن حُثالةٌ من الناس يُعيّرون زوّار قبوركم كما تُعيّر الزانية بزناها، أولئك شرار أُمّتي، لا نالتهم شفاعتي، ولا يردون حوضي))[1].

وبالإضافة إلى الأجر العظيم للزيارة فإنَّ الروضة الحيدرية المقدسة بقعة مباركة تفتح عندها أبواب السماء لاستجابة الدعوات وقضاء الحاجات. روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، أنّه قال: ((إنَّ إلى جانب كوفان لقبراً ما أتاه مكروب فصلى عنده ركعتين، أو أربع ركعات إلاّ قضى الله حاجته، ونفّس كربته...))[2]. وقال عليه السلام: ((نحن نقول بظهر الكوفة قبر ما يلوذ به ذو عاهة إلاّ شفاه الله))[3].

وقد زار مرقد الإمام علي عليه السلام بعد دفنه في هذه البقعة الكريمة المقدسة أولاده المعصومين من بعده الحسن والحسين والسجاد والباقر والصادق صلوات الله عليهم والخواص من شيعته. وكان الإمام علي السجاد عليه السلام عندما يفد إلى أرض النجف قاصداً زيارة جده يستقر في المكان المعروف حالياً بمقام زين العابدين عليه السلام الواقع على الطريق الدائري المطل على حافة منخفض بحر النجف والمجاور لمدفن العبد الصالح أثيب اليماني المعروف لدينا بصافي صفا. ومما يتناقله الناس انَّ الإمام عليه السلام إذا

(١) فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين علي عليه السلام: ٢٠٢-٢٠٣.

(٢) فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين علي عليه السلام: ١٨٨.

(٣) فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين علي عليه السلام: ٢٢٣.

أراد زيارة مرقد جدّه أمير المؤمنين صلوات الله عليه يربط ناقته عنده، ثم يقصد القبر الشريف حافياً ثم يعود إلى مكانه ويبيت حتى الصباح[١].

وقد تضمنت الكتب المعتبرة والمصادر الأساسية المتخصصة بالأدعية والزيارات عدداً من نصوص الزيارة لأمير المؤمنين عليه السلام رواها كبار العلماء والمحققين عن أئمة أهل البيت صلوات الله عليهم ولاسيما الزيارة المعروفة بأمين الله.

قال الشيخ عباس القمي في كتابه مفاتيح الجنان عن زيارة أمين الله: (وهي في غاية الاعتبار، ومروية في جميع كتب الزيارات والمصابيح، وقال العلاّمة المجلسي رحمه الله: إنها أحسن الزيارات متناً وسنداً، وينبغي المواظبة عليها في جميع الروضات المقدسة، وهي كما روي بأسانيد معتبرة، عن جابر، عن الباقر عليه السلام انّه زار الإمام زين العابدين عليه السلام أمير المؤمنين عليه السلام فوقف عند القبر وبكى، وقال:

((السَّلامُ عَلَيْكَ يا أمينَ الله في أرضه وَحُجَّته عَلى عباده اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا أميرَ الْمُؤْمنينَ اَشْهَدُ اَنَّكَ جاهَدْتَ في الله حَقَّ جهاده وَعَمِلْتَ بكتابه وَاتَّبَعْتَ سُنَنَ نَبيِّه صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَآله حَتّى دَعاكَ اللهُ إلى جواره فَقَبَضَكَ إلَيْه بِاخْتيارِه وَأَلْزَمَ أعْداءَكَ الْحُجَّةَ مَعَ ما لَكَ مِنَ الْحُجَجِ الْبالغَة عَلى جَميع خَلْقه.

اَللّهُمَّ فَاجْعَلْ نَفْسي مُطْمَئِنَّةً بِقَدَرِكَ راضيَةً بِقَضائِكَ مُولَعَةً بِذِكْرِكَ وَدُعائِكَ مُحِبَّةً لِصَفْوَةِ أَوْلِيائِكَ مَحْبُوبَةً في أَرْضِكَ وَسَمائِكَ صابِرَةً عَلى نُزُولِ بَلائِكَ شاكِرَةً لِفَواضِلِ نَعْمائِكَ ذاكِرَةً لِسَوابِغِ آلائِكَ مُشْتاقَةً إلى فَرْحَةِ لِقائِكَ مُتَزَوِّدَةً التَّقْوى لِيَوْمِ جَزائِكَ مُسْتَنَّةً بِسُنَنِ أَوْلِيائِكَ مُفارِقَةً لأَخْلاقِ أَعْدائِكَ مَشْغُولَةً عَنِ الدُّنْيا بِحَمْدِكَ وَثَنائِكَ.

---

(١) يُعد مقام الإمام علي زين العابدين من المعالم الدينية المشهورة في مدينة النجف الأشرف، وقال عنه الشيخ جعفر محبوبة: (وأما انَّ هذا المكان هو محل مبيته فليس لدينا ما يثبته سوى الشهرة الطائرة عند النجفيين والاعتناء به كثيراً وقد عرفه النجفيون بهذا الاسم خلفاً عن سلف وصاغراً عن كابر وقد عقد عليه الصفويون بنية وهي القائمة اليوم وقد طرأ عليها إصلاح في آخر أيام الحكومة التركية ويؤمه كثير من الغرباء الذين يردون النجف وتنسب له كرامات). ماضي النجف وحاضرها ٩٠/١.

اللّـهُمَّ إنَّ قُلُـوبَ الْمُخْبِـتينَ إلَيْـكَ والِهَـةٌ وَسُـبُلَ الـرّاغِبينَ إلَيْـكَ شـارِعَةٌ وَأعْـلامَ الْقاصِدينَ إلَيْكَ واضِحَةٌ وَأفْئِدَةَ الْعارِفينَ مِنْكَ فازِعَةٌ وَأَصْواتَ الدّاعينَ إلَيْكَ صاعِدَةٌ وَأبْوابَ الاِجابَةِ لَهُمْ مُفَتَّحَةٌ وَدَعْوَةَ مَنْ ناجاكَ مُسْتَجابَةٌ وَتَوْبَةَ مَنْ أنابَ إلَيْكَ مَقْبُولَةٌ وَعَبْرَةَ مَنْ بَكى مِنْ خَوْفِكَ مَرْحُومَةٌ وَالاِغاثَةَ لِمَنِ اسْتَغاثَ بِكَ مَوْجُودَةٌ وَالاِعانَةَ لِمَنِ اسْتَعانَ بِكَ مَبْذُولَةٌ وَعِداتِكَ لِعبادِكَ مُنْجَزَةٌ وَزَلَلَ مَنِ اسْتَقالَكَ مُقالَةٌ وَأعْمالَ الْعامِلينَ لَدَيْكَ مَحْفُوظَةٌ وَأرْزاقَكَ إلى الْخَلائِقِ مِنْ لَدُنْكَ نازِلَةٌ وَعَوائِدَ الْمَزيدِ إلَيْهِمْ واصِلَةٌ وَذُنُوبَ الْمُسْتَغْفِرينَ مَغْفُورَةٌ وَحَوائِجَ خَلْقِكَ عِنْدَكَ مَقْضِيَّةٌ وَجَوائِزَ السّائِلينَ عِنْدَكَ مُوَفَّرَةٌ وَعَوائِدَ الْمَزيدِ مُتَواتِرَةٌ وَمَوائِدَ الْمُسْتَطْعِمينَ مُعَدَّةٌ وَمَناهِلَ الظِّماءِ مُتْرَعَةٌ.

اَللّهُمَّ فَاسْتَجِبْ دُعائي وَاقْبَلْ ثَنائي وَاجْمَعْ بَيْني وَبَيْنَ أَوْلِيائي بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَفاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ اِنَّكَ وَلِيُّ نَعْمائي وَمُنْتَهى مُنايَ وَغايَةُ رَجائي في مُنْقَلَبي وَمَثْوايَ)).

ثم قال الباقر عليه السلام: ((ما قال هذا الكلام ولا دعا به أحد من شيعتنا عند قبر أمير المؤمنين عليه السلام، أو عند قبر أحد من الأئمة عليهم السلام، إلاّ رُفع دعاؤه في درج من نور، وطُبع عليه بخاتم محمد صلى الله عليه وآله وكان محفوظاً كذلك حتى يُسلّم إلى قائم آل محمد عليهم السلام، فيُلقى صاحبه بالبشرى والتحية والكرامة، إنْ شاء الله تعالى))[1].

ثانياً- تنظيم حركة المواكب الدينية:

إنَّ بقاء المدينة القديمة على حالها وضيق أزقتها جعل المواكب الدينية وخاصة المواكب الحسينية في شهر محرّم تواجه كثير من المصاعب والمشكلات أثناء حركتها باتجاه الروضة الحيدرية المقدسة وهي تؤدي طقوسها المختلفة ولاسيما مواكب حمل المشاعل هذا التقليد المؤثر الموروث الذي يمتاز به المجتمع النجفي عن بقية مناطق العراق.

(١) مفاتيح الجنان: ٤٩٢-٤٩٤.

إننا نعتقد انَّ الشكل الدائري للصحن الحيدري الجديد سيكون ذا منفعة كبيرة إنْ شاء الله تعالى لأنه يوفر انسيابية كبيرة في حركة المواكب الدينية ومهما كان عددها، ويحل مشكلة الازدحام الملاحظة في شهر محرّم الحرام. حيث سيكون تجمع المواكب بمختلف أصنافها بساحة ثورة العشرين، وتقوم هيئة المواكب الحسينية بتنظيم سير هذه المواكب، التي ستسلك شارع الإمام علي عليه السلام، وعندما تصل ساحة الميدان تنعطف يميناً سالكة الشارع المحيط لتطوف حول الصحن الدائري دورة كاملة راجعة لساحة الميدان مرة أخرى لتعود من حيث أتت.

ومما لا شك فيه ولا ريب انَّ هذا التصميم فيه دعم كبير للشعائر الحسينية بمختلف أصنافها، والتي تُعد رمزاً للثورة الحسينية المباركة ضد سلطة الكفر والطغيان والاستبداد، وجزء من شعائر الله، قال تعالى: ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾(الحج/٣٢).

وقد ورد الحث الأكيد في الروايات الشريفة على إقامتها وإحيائها والدفاع عنها بكل السبل لانها تجسد جميع المضامين والمعاني السامية التي تحافظ على دعائم الشريعة الاسلامية والتي ثار من أجلها الإمام الحسين عليه السلام.

إنَّ إقامة الشعائر الحسينية من قبل الشيعة تعبير عن الارتباط والولاء والمودة للحسين وأهل البيت صلوات الله عليهم، وإحياء أمرهم، وهي إحدى الأمور الأساسية التي لا ينبغي تركها، بل الاهتمام بها بشدة. كما انَّ هذه الشعائر تحمل الكثير من الأبعاد السياسية والاجتماعية والروحية وغيرها التي تبنتها ثورة الإمام الحسين عليه السلام.

وقد وردت مجموعة من النصوص الشريفة في هذا الشأن، منها ما جاء عن الريّان بن شبيب عن الإمام علي الرضا عليه السلام في حديث طويل، انّهُ قال: ((... يا بن شبيب إنْ سرَّك أنْ تكون معنا في الدرجات العُلى من الجنان فاحزن لحزننا وافرح لفرحنا وعليك بوَلايتنا، فلو أنَّ رجلاً أحبَّ حَجَراً لحشرهُ اللهُ عزَّ وجلَّ معه يوم

القيامة))[1].

وورد في كامل الزيارات عن معاوية بن وهب، قال: (استأذنت على أبي عبدالله عليه السلام فقيل لي: أدخل، فدخلت، فوجدته في مصلاه في بيته، فجلست حتى قضى صلاته، فسمعته وهو يناجي ربه وهو يقول:

((اللهمَّ يا مَنْ خصَّنا بالكرامة، ووعَدَنا بالشفاعة، وخصَّنا بالوصيَّة، وأعطانا علمَ ما مضى وعلمَ ما بقيَ، وجعل أفئدةً منَ الناسِ تَهوي إلينا، اغفرْ لي ولاخواني، وزُوّارِ قبرِ أبي عبدالله الحُسينِ، الذينَ أنفَقوا أموالَهُم، وأشخَصوا أبدانَهُم، رغبةً في برِّنا، ورجاءً لما عندكَ في صلتنا، وسُروراً أدخلوهُ على نبيِّكَ، وإجابةً منهُم لأمرِنا، وغَيظاً أدخلوهُ على عَدُوِّنا، أرادوا بذلك رِضوانَكَ، فكافِهِمْ عنا بالرِّضوانِ، وأكلأهُمْ باللّيلِ والنّهارِ، واخلفْ على أهاليهمْ وأولادِهمْ الذينَ خَلَّفوا بأحسنِ الخَلَفِ، وأصحبهُمْ، واكفِهِمْ شرَّ كُلِّ جبارٍ عنيدٍ، وكُلِّ ضعيفٍ من خلقكَ وشديدٍ، وشرِّ شياطينِ الإنسِ والجنِّ، وأعطِهِمْ أفضَلَ ما أملوا منكَ في غُربتِهِمْ عَن أوطانِهِمْ، وما آثَرونا بهِ على أبنائِهِمْ وأهاليهِمْ وقَراباتِهِمْ.

اللهمَّ إنَّ أعداءَنا عابوا عليهِمْ بخُروجِهِم، فلم ينهَهُمْ ذلكَ عَنِ الشُّخوصِ إلينا خلافاً منهمْ على مَن خالفَنا، فارحَمْ تلكَ الوجوهَ التي غيَّرتها الشمسُ، وارحَمْ تلكَ الخُدودَ التي تتقلّبُ على حُفرةِ أبي عبد الله الحُسينِ عليه السلام، وارحَمْ تلكَ الأعينَ التي جَرَت دُموعُها رحمةً لنا، وارحمْ تلكَ القلوبَ التي جزَعتْ واحترقتْ لنا، وارحَمْ تلكَ الصَّرخةَ التي كانت لنا. اللهمَّ إني استودِعُك تلكَ الأبدانَ وتلكَ الأنفُسَ، حتى تُوافيهِمْ مِنَ الحَوضِ يومَ العَطَشِ))[2].

يقول المرجع الكبير سماحة آية الله العظمى الشيخ بشير النجفي دام ظله: (الإمام عليه السلام يدعو الله جلَّ ثناؤه أنْ يرحم الصرخة التي تصدر لأهل البيت عليهم السلام ومصائبهم، كل صرخة سواء في البيت أو الشارع أو الحُسينية أو المسجد أو أي مكان آخر، فإنَّ

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢٦٩/١.

(٢) كامل الزيارات: ١٢٢-١٢٣.

الإمام عليه السلام يدعو لها بالرحمة. ومعلوم أنَّ الصرخة في اللغة هي الصوت المرتفع، وهذا حثٌّ على إقامة العزاء والبكاء والنوح في كل مكان ومهما ارتفعت الأصوات)[١].

ثالثاً- تطوير التخطيط الحضري لمدينة النجف الاشرف القديمة:

تُعد النجف الأشرف من أوائل المدن العربية والإسلامية التي تم تخطيطها، وقد امتاز تخطيط النجف عن غيرها من المدن العربية الاسلامية بهيئة حضرية وعمارة ذات طابع خاص هي نتاج لتفاعل عوامل فكرية ومادية عدة عكست الهوية الثقافية المتميزة لهذه المدينة المقدسة.

قال الشيخ جعفر محبوبه: (أخذت النجف أهميتها عند ظهور القبر الشريف بعد إخفائه زمناً غير قليل فنشأت العمارة حول المرقد المقدس سنة ١٧٠هـ وقطن النجف بعض العلويين والخاصة من الشيعة)[٢]. وقال الشيخ محمد حسين حرز الدين: (بظهور المرقد المطهر سنة ١٧٥هـ/٧٩١م على يد الخليفة العباسي هارون الرشيد أصبح هذا المشهد نواة لسكنى عدد من الشيعة والعلويين وقد اطمأنوا من خليفة عصرهم بعد ظهور القبر المطهر على يده، فبنوا بيوتاً حول القبر الشريف وأقاموا فيها. وبقيت المجاورة للمرقد المطهر بين الوجود والعدم حتى قيام الداعي بإنشاء عمارة على المرقد المطهر حوالي سنة ٢٨٣هـ في عهد المعتضد العباسي، فاستمرت المجاورة بعد هذه السنة دون انقطاع حتى يومنا هذا)[٣].

وذكر المؤرخ الدكتور حسن الحكيم ما يأتي: (يُعد تخطيط المدن في عصر صدر الإسلام مظهراً حضارياً، وعربياً إسلامياً، وقد كان العراق أول بلد قد حظي بهذا المظهر الحضاري في التاريخ العربي الإسلامي، وكانت أرض السواد من العراق قد

(١) الشعائر الحسينية: ٢٩.

(٢) ماضي النجف وحاضرها: ٢١/١.

(٣) تاريخ النجف الأشرف: ٥٢/١.

خُططت فيها مدينتا البصرة والكوفة في عامي ١٤ و١٧ هجرية، وذلك في العصر الراشدي، وخُططت مدينة واسط عام ٨٣ هـ في العصر الأموي، وخُططت مدينتا بغداد والنجف الأشرف في عامي ١٤٥ و١٧٠ هجرية في العصر العباسي)[١].

وبرأينا فإنَّ بداية تخطيط مدينة النجف لم يكن في سنة ١٧٠هـ، لأنَّ المكان الذي شيد به مرقد الإمام علي عليه السلام بعد إظهاره لم يكن يوجد حوله أي بناء، وإذا كانت هناك مجاورة فهي مؤقتة وتحكمها ظروف مختلفة، وكان هذا المكان أرض صحراوية تسرح بها الحيوانات البرية، وما يساند رأينا رواية محمد بن علي بن دُحيم الشيباني، قال: (مضيت أنا ووالدي علي بن دُحيم، وعمّي حسين بن دُحيم، وأنا صبيٌّ صغير سنة نيف وستين ومائتين، ومعنا جماعة متخفّين إلى الغري لزيارة قبر مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، فلمّا جئنا إلى القبر وكان يومئذ قبر حوله حجارة سند، ولا بناء عنده، وليس في طريقه غير قائم الغري.

فبينما نحن عنده، بعضنا يقرأ، وبعضنا يصلّي، وبعضنا يزور، وإذا نحن بأسد مُقبل نحونا، فلما قرب منّا مقدار رمح، قال بعضنا لبعض: إبعدوا عن القبر حتى ننظر ما يُريد، فأبعدنا، فجاء الأسد إلى القبر، فجعل يمرّغ ذراعه على القبر، فمضى رجل منّا فشاهده، وعاد فأعلمنا، فزال الرعب عنّا، وجئنا بأجمعنا حتى شاهدناه يمرّغ ذراعه على القبر وفيه جراح، فلم يزل يمرّغه ساعة ثُمَّ انزاح عن القبر ومضى، وعُدنا إلى ما كنّا عليه من القراءة والصلاة والزيارة وقراءة القرآن)[٢].

وذكر أبي الغنائم ابن النرسي أنّه: (توفي بالكوفة ثلاثمائة وثلاثة عشر من الصحابة لا يُدرى قبر أحد منهم إلاّ قبر علي عليه السلام، وقال: جاء جعفر بن محمد وأبوه محمد بن علي بن الحسين فزارا الموضع من قبر أمير المؤمنين علي، ولم يكن إذ ذاك القبر، وما

(١) مجلة آداب الكوفة: ١١ ، العدد ١، سنة ٢٠٠٨ ،البحث الموسوم: (تخطيط المدينة العربية الاسلامية، النجف والكوفة إنموذجاً).

(٢) فرحة الغري: ٣٠٧-٣٠٩.

كان إلاّ الأرض، حتى جاء محمد بن زيد الداعي، فأظهر القبر)[١].

ومما يدعم رأينا بخصوص طبيعة المجاورة ما ذكره الدكتور صلاح الفرطوسي، قال: (ولابد انَّ الزيارة والجوار كانتا تخضعان لموقف الدولة من أهل البيت عليهم السلام، فمتى خف الضغط عليهم توافد شيعتهم للزيارة والمجاورة جهرة، وحينما يشتد الضغط عليهم تقل الزيارة ويختفي المجاورون، ويغلب على الظن انَّ الجوار كان موسمياً تتحكم فيه المناسبة كذكرى مولد النبي الكريم صلى الله عليه وآله وذكرى خطبة الغدير، وذكرى استشهاد الامام وولادته، وهي مناسبات معروفة عند شيعة أمير المؤمنين عليه السلام، كما تتحكم فيه أيضاً أحوال البيئة، وأظنه لم يستقر إلا عند عمارة محمد بن زيد الداعي)[٢].

ويستفاد مما سبق انَّ سنة ٢٨٣هـ هي التاريخ الأصح لبداية التخطيط الحضري لمدينة النجف الأشرف عندما أقام السيد محمد بن زيد الداعي في هذه السنة العمارة الثانية للمرقد العلوي المقدس وجعل فيه سبعين طاقاً (حجرة) ضمت طلائع المجاورين الذين أنشأ العلماء منهم نواة الحركة العلمية في المدينة المقدسة. إضافة لذلك كان للسيد الداعي شرف بناء أول سور حول المشهد الحيدري لحمايته من هجمات الأعراب. قال الشيخ جعفر محبوبه عن السور الأول ما نصه: (هو سور محمد بن زيد الداعي فانّهُ لّما عمر القبة المنورة عمر سوراً حولها لرد هجمات العادين والمناوئين، فانّه من بات حول المرقد العلوي لم يكن آمناً ولا طامعاً في البقاء إذ لا دافع عنه ولا مانع)[٣].

ومما شجع الشيعة على السكن في هذا المكان ورود مجموعة من الأحاديث الشريفة في فضل أهل الكوفة وفضل المجاورة لمرقد الإمام علي عليه السلام. جاء في كتاب فضل الكوفة وفضل أهلها للسيد محمد بن علي العلوي الحسني المتوفى سنة ٤٤٥هـ،

---

(١) فرحة الغري: ٢٨٤.

(٢) مرقد وضريح أمير المؤمنين عليه السلام: ٩١-٩٢.

(٣) ماضي النجف وحاضرها: ٢٠٩/١.

قول رسول الله صلى الله عليه وآله: ((أخصاص من هذه الأمة بين الحيرة ووادي كوفان يُدافع الله عنها كدفاعه عن حرمي، ما أرادها جبار بسوء إلاّ قصمه الله))[١]. وقال الإمام علي الرضا عليه السلام: ((جوار أمير المؤمنين عليه السلام يوماً خير من عبادة سبعمائة عام))[٢].

نستنتج مما استعرضناه إنَّ العامل الأساس الذي أدّى إلى نشوء مدينة النجف الأشرف هو ظهور مرقد الإمام علي عليه السلام وقيام العمارات المتتالية عليه عبر القرون الماضية. وجاء النشوء من زيادات تدريجية في التجمعات السكنية التي أخذت شكل الحلقة حول المرقد المقدس خلال القرن الثالث الهجري، وتحول المكان إلى مدينة صغيرة في القرن الرابع الهجري.

ذكر الشيخ جعفر محبوبه الآتي: (... ثم توسعت البلدة وتلاحقت العمارة بتوالي الأعوام وأخذت بنصيب وافر من العمران حتى لم ينقض القرن الرابع الهجري إلاّ وفي النجف من السادة العلوية ألف وتسعمائة عدا غيرهم من الشيعة. وتقدمت النجف تقدماً باهراً من حيث العمران والعلم وازدحام السكان في القرن السابع والثامن في عصر السلطة الشيعية الجلائرية والإيلخانية في العراق، فإنهم بذلوا جهودهم ونقدوا أموالاً طائلةً من خزائنهم فعمروا فيها المدارس والمساجد والخانقاهات "التكايا". وأجروا إليها الأنهار وأدروا الأرزاق والإعاشة على من حلَّ بها كما فعل قبلهم البويهيون فإنهم هم الذين أسسوا قواعد المرقد المعظم وشيدوا بازائه المساجد والدور لمن جاور بالنجف ووصلوهم بالأموال الكثيرة والصِلات الثمينة وحاطوها بالأمن ونظروا أهلها بعين التبجيل والاحترام)[٣].

وعندما زار الرحالة العربي ابن جبير النجف سنة ٥٧٩ هـ/ ١١٨٣م قال: (وفي غربي المدينة "الكوفة"، على مقدار فرسخ منها، المشهد الشهير الشأن، المنسوب لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وحيث بركت ناقته وهو محمول عليها مُسجّى

(١) فضل الكوفة وفضل أهلها: ٣٣.

(٢) ماضي النجف وحاضرها: ١٥/١.

(٣) ماضي النجف وحاضرها: ٢١/١-٢٢.

ميتاً على ما يُذكر، ويُقال إنَّ قبره فيه، والله أعلم بصحة ذلك. وفي هذا المشهد بناء حفيل على ما ذُكر لنا، لأنّا لم نشاهده بسبب إنَّ وقت المقام بالكوفة ضاق عن ذلك، لأنّا لم نبت فيها سوى ليلة يوم السبت. وفي غدائه رحلنا ونزلنا قريب الظهر على نهر منسرب من الفرات)[1].

ووصفها الرحالة الشهير ابن بطوطة في رحلته عندما زار النجف سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٥م، فقال: (ثمَّ رحلنا منها "القادسية" فنزلنا مدينة مشهد عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه، بالنّجَف، وهي مدينة حسنة في أرض فسيحة صُلبة من أحسن مدن العراق، وأكثرها ناساً، وأتقنها بناء، ولها أسواقٌ حسنة نظيفة، دخلناها من باب الحضرة، فاستقبلنا سوقُ البقّالين والطبّاخين والخبّازين ثمّ سوق الفاكهة ثمّ سوق الخيّاطين والقَصَّاريّة، ثمّ سوق العطّارين ثمّ باب الحضرة حيثُ القبرُ الذي يزعمون أنّه قبرُ عليّ، عليه السلام، وبازائه المدارس والزوايا والخوانق معمورة أحسن عمارة، وحيطانها بالقاشاني، وهو شبه الزلّيج عندنا لكن لونَه أشرقُ ونقشَه أحسنُ)[2].

ومن الرحالة الأجانب الذين زاروا النجف البرتغالي بيدروا تكسيرا في سنة ١٠١٣هـ/١٦٠٤م. ورد في موسوعة العتبات المقدسة ما نصه: (وقد وصلت قافلة تكسيرا إلى النجف مساء السبت ١٨ أيلول /٢٣ ربيع الثاني ١٠١٣هـ فقصدت خاناً من الخانات الكبيرة التي كانت تشبه في شكلها ومنظرها العام الصوامع الموجودة في البلاد الأوربية على حد قوله. وبعد أنْ يأتي في رحلته على الجوانب التاريخية المعروفة للمكان وكيفية دفن الإمام عليه السلام في هذه البقعة يأخذ بوصف الروضة المقدسة وبنائها وزخرفتها، لكنه لا يشير إلى القباب والمآذن بشيء وإنما يذكر انَّ البلدة كلها كانت تبدو فيها إمارات الخراب والإهمال بوضوح. فبعد أنْ كانت تحتوي على ستة

(١) رحلة ابن جبير: ١٥٤.

(٢) رحلة ابن بطوطة: ١٧٦

الخوانق: جمع خانقة أو خانقاه (كلمة فارسية)، وتطلق على رباط الصوفية.

آلاف إلى سبعة آلاف دار مبنية بإتقان في الغالب أصبحت حينما زارها لا يزيد عدد بيوتها على الستمائة فقط. وقد علم من بعض الناس انَّ إهمالها وانحطاط شأنها كان قد حصل بعد وفاة الشاه طهماسب الصفوي - توفي في ١٥٧٦م أو ٩٨٤هـ- الذي كان يرعاها ويعنى بشأنها عناية كبيرة)[١].

ويبدو انَّ وضع مدينة النجف الأشرف قد تحسن بعد ذلك من الناحية الاقتصادية والعمرانية. ويُلحظ ذلك مما كتبه الرحالة السيد عباس الحسيني المكي في نزهة الجليس عن زيارته للنجف الأشرف سنة ١١٣١هـ/١٧١٨م إذ قال: (فخرج إلينا أهل النجف بأنواع المأكول الطيب، والمشروب الهني، والمشموم الذكي، ولطائف التحف، وبتنا تلك الليلة يا صاح بأكمل السرور، وأتم الأفراح، والتقى الخلان والأصحاب، واجتمع شمل الأحباب بالأحباب... والبلدة رخيّة أمينة، طيبة حصينة، سورها مكين، وهي جنة المتقين، وأهلها سادة كرام، ملجأ الخاص والعام)[٢].

وفي سنة ١٢٣٧هـ/١٨٢١م وصل النجف الرحالة السيد محمد الحسيني الملّقب بالمنشيء البغدادي، فقال: (وانَّ النجف في محل مرتفع، وهو قلعة محكمة فيها نحو ألفي بيت من العرب والعجم، وهواؤها في غاية اللطف والجودة لاسيما لياليها، وماء الآبار في النجف ملح جداً، ولا تصل الحبال إلى الماء إلاّ بعد عشرين لفّة ليصل الدلو إلى الماء)[٣]. ونقل الشيخ محمد حسين حرز الدين عن كتاب رياض السياحة (فارسي) ٧٨٣ : (وفي هذه السنة قدّر المؤرخ زين العابدين الشيرواني عدد دور النجف بين ألفين إلى ثلاثة آلاف دار في غاية الجودة، وهي كلّها محيطة بالحرم المطهر)[٤].

---

(١) موسوعة العتبات المقدسة: ٢٠٢/٦-٢٠٣.

(٢) نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس: ١٠٢/١، ١٠٥.

(٣) رحلة المنشيء البغدادي: ٩١.

(٤) تاريخ النجف الأشرف: ٤٢٣/٢.

وقد قامت الحكومة العثمانية في سنة ١٢٨٢هـ/١٨٦٥م بتقسيم مدينة النجف القديمة إدارياً إلى أربع محلات هي المشراق والعمارة والحويش والبراق. وكان السبب في هذا التقسيم هو إحصاء السكان كمقدمة للتجنيد الإجباري الذي عُمل به سنة ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م أثناء حكم والي العراق عمر باشا. وعينت الحكومة لكل محلة مختاراً يدير شؤون سكانها، فكان سعد الحاج راضي زعيماً لمحلة المشراق وعطية أبو كلل زعيماً لمحلة العمارة ومهدي السيد سلمان زعيماً لمحلة الحويش وكاظم صُبّي زعيماً لمحلة البراق.

وتُعد محلة المشراق التي فيها دار الشيخ الطوسي قدس سره - التي تحولت فيما بعد إلى مرقد ومسجد- أقدم محلات النجف وتليها محلة العمارة لذا نرى انَّ أغلب المدارس الدينية والمساجد ومراقد العلماء الأعلام قدس الله أسرارهم موجودة في هاتين المحلتين. يقول الشيخ محبوبه: (وهاتان المحلتان تُفضَّل السكنى بهما على غيرهما من المحال الأخر لوقوعهما بين الحرمين "كربلاء والنجف" ومن هذه الوجهة ترى فيهما كثيراً من المراقد للعلماء والسادات)[1].

ولا يخفى على أحد انَّ هذه المنطقة التي تشغلها هاتان المحلتان تنحصر بين مقبرة وادي السلام والمرقد العلوي المقدس، ومن وجهة نظر الناس كلما كان الدفن أقرب إلى المرقد العلوي كان أفضل لورود روايات شريفة كثيرة حول فضل الدفن بجوار أمير المؤمنين صلوات الله عليه.

وقال أستاذ الآثار الأمريكي جون بيترز عن النجف عندما زارها في سنة ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م أنّه: (وجد النجف مدينة مزدهرة يتراوح عدد نفوسها ما بين العشرين والثلاثين ألف نسمة، وقد ألفاها محاطة بسور متداع مشرف على السقوط. وكانت البيوت مثل السور مبنية بالطابوق المستمد من خرائب الكوفة، ولذلك كانت الحمير تُشاهد وهي تنقل هذا الطابوق يومياً من الكوفة الى النجف)[2].

---

(١) ماضي النجف وحاضرها: ٢٣/١.

(٢) موسوعة العتبات المقدسة: ٢٠٢/٦-٢٠٣.

وجاء في رحلة المستشرقة الإنجليزية ليدي درور سنة ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م قولها: (وليس بمستغرب أنْ تُحاط المدينة بأسوار عالية، وبخندق على غرار المدن في القرون الوسطى ... والنجف جميلة جداً، لكن شوارعها ليست على شيء من الاستقامة والتنظيم، وتعلو الأزقة فيها طوق البيوت، ولهذه نوافذ ناتئة. والأزقة في النجف ضيقة متعرجة، ولا تنفذ أشعة الشمس إليها إلاّ لماماً)[1].

وورد في دليل المملكة العراقية لعام ١٩٣٥-١٩٣٦ ما يأتي: ("النجف" بلدة واسعة قائمة على رابية مرتفعة فوق أرض رملية فسيحة. تطل من الجهتين الشمالية والشرقية على مخيم واسع من القباب والقبور التي تُعد بمئات الألوف، يدعى وادي السلام. وتطل من الجبهة الغربية على بحر النجف الناشف، ويشاهد القادم من مسافة بعيدة مرقد الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام تتجلى فوقه قبّة فخمة كأنها قطعة من الذهب الإبريز تناطح السماء علواً وتفاخرها سمواً...

وقد أحصت الحكومة نفوسها أخيراً فكانوا ٤٦٠٦٤. شوارعها مستقيمة وفسيحة - إلاّ البعض منها - وعمارتها جليلة ومرتفعة، وأسواقها عريضة ومنتظمة، ولاسيما السوق الكبير الذي يبتدئ من سور المدينة الشرقي وينتهي عند الصحن الشريف، ولاستقامته، فإنَّ الواقف على سور البلدة يرى داخل الحضرة الشريفة بكل سهولة. وهي على بعد ٤٨ ميلاً من شرقي كربلاء، وفيها من المدارس الحكومية ثلاث، ومن الأهلية ثلاث، ومن العلمية الروحية العدد الكبير، ومن المساجد الشيء الكثير. وفي أكثر بيوتها مقابر خصوصية للعلماء وأهل الوجاهة والثراء. والذي يؤسف له كثيراً بُعد البلدة عن الفرات، والماء ركن من أركان الحياة بلا ريب. وقد حُفرت للنجف ترع وجداول كثيرة لإيصال الماء إليها غير انَّ ما يجري فيه منه لا يسد حاجة الأهلين فضلاً عن الزائرين في كلّ عام. فقد دلّت الإحصاءات الرسمية على انَّ متوسط عدد الزائرين للنجف في المواسم المخصوصة يتجاوز نصف مليون نسمة)[2].

---

(١) في بلاد الرافدين صور وخواطر: ٧١، ٧٣.

(٢) دليل المملكة العراقية لسنة ١٩٣٥-١٩٣٦: ٩٥٠-٩٥١.

ومن الناحية التاريخية فإنَّ الجِدَيْدَة الأولى التي تضم حالياً المنطقة المحاذية لشارع الرابطة وخان المخضر تُعد المنطقة الأقرب للمدينة القديمة، وقد أنشأها الناس عندما بدأت عملية تهديم سور النجف وتوسعة المدينة في ثلاثينيات القرن الماضي نتيجة لزيادة نفوس المدينة والهجرة إليها من المناطق الأخرى. وكانت مساحات الدور حسب ما يحدده الشخص لذا كانت هذه المنطقة غير منظمة من ناحية التخطيط الحضري في بداية الإنشاء.

قال الشيخ محمد حسين حرز الدين حول توسّع مدينة النجف في العهد الملكي ما نصه: (في عام ١٣٥٠هـ/١٩٣١م قامت حكومة النجف بأول بادرة لتوسعة مدينة النجف القديمة المسورة، ففتحت خمسة أبواب في سور المدينة القديمة من الجهة الجنوبية المواجهة لمحلة البراق ومحلة الحويش. ثمَّ أنشأت مقابل كل فتحة من السور شارع يتجه نحو الجنوب تحتضنه دور جديدة سُميّت بمحلة الأمير غازي، وبعد ذلك أُطلق عليها إسم الجِدَيْدَة. ثمَّ قامت السلطة الحاكمة بالتخطيط لإنشاء أحياء سكنية عديدة، نتيجة لازدياد نفوس مدينة النجف، وللهجرة الجديدة من مدن وقرى الفرات الجنوبية)[1].

ومن الجدير بالذكر انَّ محلة الغازية قد قام بتأسيسها قائمقام النجف يومئذٍ السيد جعفر حمندي في سنة ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م، وتقع حالياً ضمن منطقة الجِدَيْدَة المحاذية لشارع المدينة من جهة جامع الحاج صالح الجوهرجي رحمه الله، وانَّ المكان المعروف عند أهل النجف بحديقة غازي يقع ضمن هذه المنطقة.

وأُنشئت بعد ذلك محلة الصالحية سنة ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م في عهد القائمقام صالح حمام كمنطقة مجاورة لمحلة الغازية، وتقع في الوقت الحاضر بمنطقة الجِدَيْدَة من جهة جامع الحاج عباس الرحباوي رحمه الله وهي تُعرف الآن بإسم الجمهورية. وتم فيما بعد تنظيم هذه المناطق وفقاً للتخطيط الحضري السليم، وأصبحت شوارعها مستقيمة

(١) تاريخ النجف الأشرف: ٢٦٢/١.

كما نراها اليوم وخاصةً بعد زوال الملكية وتسلّم الزعيم عبدالكريم قاسم مقاليد الحكم الجمهوري في العراق سنة ١٩٥٨.

يحدثنا الشيخ جعفر محبوبه عن هذا التوسّع قائلاً: (وفي أيام قائمقام النجف صالح حمام سنة ١٣٥٧هـ قُلع السور بتمامه من سائر جهاته وأعطى الفقراء وأهل الأواوين في السور المذكور عرصات مجاورة لمحلة الملك غازي فصارت محلة ثانية جديدة تُعرف بالصالحية نسبة إلى هذا القائمقام، واتصلت المحلتان بالبلدة القديمة فصار الكل بلد واحد، ولم يبق اليوم للسور أثر بارز واتسعت البلدة اتساعاً عظيماً، وخططت الحكومة عرصات كبيرة حول مسجد الحنانة ووزعتها فأصبحت النجف واسعة كبيرة مترامية الأطراف)[1].

وقال الشيخ رحمه الله عن حي السعد أنّه: (تم تخطيطه في سنة ١٩٥٦م الموافق سنة ١٣٧٥هـ في أيام متصرفية السيد حسين السعد والذي يقع على الطريق الممتد بين النجف والكوفة، وقد أخذ في الأيام الأخيرة نصيبه من العمران والتقدم)[2].

وقد حدث تغيير كبير في تخطيط المدينة القديمة في سنة ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م بسبب إنشاء عدد من الشوارع الرئيسة بداخلها، حيث أُزيلت بعض الأبنية بعد استملاكها من قبل الحكومة، وتم فتح شارع دائري حول الصحن الحيدري الشريف عُرف بشارع دورة الصحن، إرتبط به عدد من الشوارع المستقيمة وهي الرسول والطوسي وزين العابدين والصادق. أما الأبنية التي كانت ملاصقة لسور الصحن الحيدري الشريف فقد تمت إزالتها بالكامل في فترة السبعينيات.

ومن الجدير بالذكر انَّ العراق قد شهد في تاريخه الحديث ثلاثة أنواع من أنظمة الحكم، وهي العثماني الذي حكم العراق لمدة أربعة قرون للفترة ١٥٣٢-١٩١٨ ميلادية لم يجنِ منه الشعب سوى التخلف والأمية والفقر والمرض، والحكم المَلَكي

(١) ماضي النجف وحاضرها: ٢١٤/١.

(٢) ماضي النجف وحاضرها: ٢٧/١.

الذي ابتدأ سنة ١٩٢١ بتنصيب فيصل بن الحسين ملكاً على العراق ومن ثمَّ الحكم الجمهوري سنة ١٩٥٨ بزعامة عبدالكريم قاسم.

ولم يهدأ العراق خلال فترة الحكم الجمهوري حيث حدثت كثير من الفتن والانقلابات العسكرية التي أدّت في النهاية إلى تسلم حزب البعث مقاليد السلطة في العراق سنة ١٩٦٨. وقد مر العراق بأسوأ فتراته وبلغ الخراب أسفل دركاته عندما تسنم الطاغية صدام كرسي الحكم عام ١٩٧٩، والذي أدخل العراق في ظلمات الهاوية بطغيانه وطائفيته المقيتة وحروبه العبثية، إلى أنْ سقط النظام غير مأسوف عليه في سنة ٢٠٠٣.

ولم تسلم النجف الأشرف من بطش رأس النظام المقبور وشرور أزلامه بل كانت المستهدفة الأولى بسبب موقعها الديني والروحي ولكونها المدينة المقدسة التي تحتضن المركز العلمي الأهم والمرجعية الكبرى والحوزة العلمية الأم للطائفة الشيعية في العالم. فتم تهميش الدور المهم لهذه المدينة وإهمالها وإعدام وسجن وتشريد الأخيار من أبنائها ولاسيما العلماء الأفاضل. بل وصل الأمر إلى قصف المدينة المقدسة بالقذائف والصواريخ أثناء الانتفاضة الشعبانية المباركة عام ١٩٩١، ولم يسلم حتى المرقد العلوي المقدس من حقد الحاقدين ما أدى إلى تضرر جميع أجزاء الصحن الحيدري الشريف ولاسيما القبّة المنورة لأمير المؤمنين عليه السلام. قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (يوسف/١١١).

قال الدكتور صلاح الفرطوسي حول هذا الموضوع ما نصه: (والمدينة على الرغم من كل مجدها عصفت بها منذ يوم نشأتها أنواء زلزلت كيانها، وروعت أبناءها، وشتتهم في الآفاق أيدي سبأ، وفعلت بهم الأفاعيل حتى ما تكاد تستطيع النهوض لولا القوة التي كانت تستمدها بعد كل كبوة من بهاء صاحب الضريح، ولكنها ما زالت منذ أنْ تأسست تُؤثر في مجريات الأحداث عراقياً وعربياً وإسلامياً وعالمياً، وتطاول كبريات المدن الاسلامية بما أنجبته من علماء في شتى مسارب المعرفة، بل

طاولتها خلال القرن العشرين في كل نواحي الحياة الدينية والعلمية والوطنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، وما زالت الأنظار تتجه إليها مع كل نائبة يتعرض لها العالم الإسلامي)[1].

تعيش اليوم محافظة النجف الأشرف أزهى أطوارها وأجمل فتراتها بعد زوال الكابوس المقيت وتنفس هواء الحرية. وتضم المحافظة في الوقت الحاضر ثلاثة أقضية هي النجف والكوفة والمناذرة وخمس نواحي هي المشخاب والقادسية والعباسية والحرية والحيدرية. وتُعد الآن واحدة من أهم المحافظات العراقية من حيث المركز الديني والسياحي والتجاري والزراعي والصناعي إنْ لم تكن أهمها.

وقد تبنّى مجلس محافظة النجف الأشرف بالتعاون مع الحكومة المحلية استراتيجية محددة وتخطيط مدروس للنهوض بالواقع التنموي والخدمي للمحافظة في جميع المجالات ومختلف القطاعات، وقد آتى هذا العمل أُكلهُ حيث نرى اليوم النجف الناهضة تشهد تطوراً مدنياً كبيراً ومتسارعاً بسبب الحركة المتصاعدة الدؤوبة فيها من ناحيتي الإعمار والإستثمار في مختلف الجوانب و المجالات. ويتمثل في إنشاء البُنى التحتية وفق أسس علمية سليمة وإعمار الطرق والجسور والأنفاق وإنشاء الشوارع الجميلة وتشييد واعادة تأهيل المباني الحكومية من المدارس والمعاهد والكليات والمستشفيات وغيرها من المؤسسات الخدمية لتقديم أفضل الخدمات لأبناء هذه المدينة المقدسة.

وتشهد المحافظة حالياً حركة كبيرة وغير مسبوقة في إعمار وتأهيل مراقد أهل البيت الأطهار عليهم السلام وصحابتهم الكرام والمقامات الدينية والمساجد والمباني الأثرية والتراثية. وهذا الإعمار أدخل السرور في قلوب أتباع أهل البيت عليهم السلام. ومن المؤكد انَّ النجف ستكون مستقبلاً إنْ شاء الله تعالى أهم المدن العراقية قاطبةً ببركة وجود المرقد المقدس لأمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وبهمة وإخلاص أبنائها الغيارى.

---

(١) مرقد وضريح أمير المؤمنين عليه السلام: ٩.

إنَّ ما تشهده المحافظة من تطور ملحوظ ومتصاعد في الإعمار والاستثمار هو مدعاة للفخر والاعتزاز. وقد أصبح المواطن النجفي يفتخر بمحافظته والانجازات العمرانية العظيمة المتحققة فيها، ومن حقه أنْ يفتخر بأقدس مدن العراق، والقادم أفضل بإذن الله وعونه ببركة وليه إمام المتقين عليه السلام.

إنَّ هذه الانجازات العظيمة قد تظافرت فيها جهود جميع المسؤولين في مؤسسات محافظة النجف الأشرف وبدعم من الوزارات في حكومة الدولة العراقية، حيث يُلاحظ انهم يعملون بكل جدٍّ وعزيمة كخلية نحل من أجل النهوض بهذه المدينة العزيزة الغالية. ومن المؤكد فإنَّ جهود كل الخيرين المساهمين في حملة الإعمار الكبرى التي تشهدها هذه المدينة المقدسة من أجل رقيها وتقدمها إنما هي خدمة يسيرة مقدمة لصاحب هذه المدينة أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام و ﴿ لِمثلِ هذا فَليعملِ العاملونَ ﴾(الصافات/٦١).

إنَّ أهم المحاور الرئيسة التي تتبناها هذه الدراسة في تطوير التخطيط الحضري لمدينة النجف القديمة والمناطق القريبة منها وفقاً لتصميم قُطْب الدائرة هي ما يأتي:

أ- إنشاء الأسواق الكبيرة:

يتطلب التطوير الشامل للروضة الحيدرية المقدسة وفقاً للتصميم الجديد إزالة السوق الكبير[1] وجميع المحال التجارية في المدينة القديمة. وقد اقترحنا إنشاء أربعة

(١) يمتد السوق الكبير بشكل مستقيم بين ساحة الميدان وباب الساعة للصحن الحيدري الشريف، ويُعد الحد الفاصل بين محلتي المشراق والبراق، وقد شيده الشاه عباس الأول الصفوي في الأصل كأواوين لضيافة الزوار يوم لم تعرف النجف الفنادق ولم يكن خان الشيلان مشيداً يومئذ، وسُمّي بالرباط العباسي نسبة إليه، ولكن تم الاستيلاء عليها بعد ذلك من البعض لتتحول الى دكاكين رغم انها موقوفة لزوار أمير المؤمنين عليه السلام. قال الشيخ جعفر محبوبه بهذا الشأن ما نصه: (لهذا السلطان آثار جليلة في النجف منها الأواوين التي عمرها وقفاً للزائرين وكانت تعرف بالخيابان ومحلها جهتا السوق الكبير اليوم الممتد من الصحن الشريف الى باب البلدة وقد شاهدنا آثارها عند هدم السوق قبل سنوات ولكن سلبتها الأيدي العادية وجعلتها ملكاً لها كما سلبت غيرها من الآثار الموقوفة فإنا لله وإنا إليه راجعون). ماضي النجف وحاضرها ٤٧/١.

أسواق جديدة حول الصحن الدائري الجديد موزعة حسب المواقع الافتراضية لمحلات النجف الأربع القديمة المزالة (المشراق والعمارة والحويش والبراق)، وتُسمّى هذه الأسواق بأسماء هذه المحلات لأجل الإستذكار التاريخي والتراثي لها أي: سوق المشراق الكبير وسوق العمارة الكبير وسوق الحويش الكبير وسوق البراق الكبير. ويجب أنْ تكون هذه الأسواق عند إنشائها بارتفاع أدنى من المستوى الأعلى لجدار الصحن الدائري الجديد.

ومما يجدر أنْ نذكره في هذا الصدد انَّ السوق الكبير كان دائماً عقبة كبيرة في تنفيذ مشروع توسعة الصحن الحيدري الشريف، لأنَّ إزالته في نظر البعض تعني محو أحد المعالم التاريخية للمدينة، ومركز تجاري لا يستهان به. ولكننا نعتقد انَّ الأمر لو تطلب إزالة هذا السوق من أجل عمارة هندسية عقائدية للروضة الحيدرية المقدسة فإننا سنقف مع هذا الخيار وبدون تردد، مع حسن ظننا بجميع الآراء المطروحة، فلا نتهم أحداً. ومن جانب آخر فإننا اقترحنا بديلاً للسوق الكبير هي الأسواق الأربعة الكبيرة التي ستكون واجهة اقتصادية حتماً، ومعلماً تاريخياً للمدينة أيضاً بعد مرور فترة زمنية معينة.

وينبغي على المسؤولين عند المباشرة بعملية التوسعة إحصاء عدد المحال التجارية في كل محلة من قبل لجنة متخصصة وإنشاء المحال الجديدة وفقاً للعدد أو أكثر من قبل الشركة الاعمارية المشرفة على العمل بطريقة المراحل المتتالية، وبذلك يتم ضمان مكان في الأسواق الجديدة لكل شخص لديه محل داخل المدينة القديمة وبذلك نحفظ للناس مصادر أرزاقهم ونذلل واحدة من أكبر معرقلات التوسعة الشاملة للصحن الحيدري الشريف .

ونقول للمؤمنين من تجار النجف الأشرف في المدينة القديمة، ومن أصحاب المحال فيها بأننا نعدكم وعداً حسناً بأنَّ هذه التوسعة المباركة ستدر عليكم مردوداً مالياً جزيلاً إضافةً إلى القرب من الله تعالى وخدمة لمقام إمامكم، لاسيما وانَّ تشرفكم بالإقامة في هذه المدينة هو لأجل قدسية المكان، وهذه القدسية هي التي جعلت

النجف مركزاً تجارياً مقصوداً للوافدين من بقاع العالم.

قال الدكتور عبدالباقي ابراهيم عن الأسواق في المدن العربية القديمة ما نصه: (لقد كانت الشوارع التجارية أو الأسواق من أهم العناصر التخطيطية التي ارتبطت بالسكان أو بالإنسان في المدينة العربية إذ لم يتأثر هذا النوع من النشاط الجماعي كثيراً بالبصمات الشخصية التي تركها الحكام الذين تتابعوا على المدينة العربية في العصور المختلفة. ومن هنا كانت الشوارع التجارية أو الأسواق من أهم العناصر المكونة للتراث الحضاري للمدينة العربية القديمة لِما كان لها من صفة الاستمرار والنمو العضوي في نطاق الكيان الطبيعي للمدينة)[1].

إنَّ المدينة العربية تمتلك تشكيلاً خاصاً يُعبر عن فكرها الخاص، ومن ذلك نرى بأنَّ الهيئة الحضرية والعمارة هي نتاج لتفاعل عوامل فكرية ومادية، وهذه العوامل تحدد الهوية المميزة للأمم والبلدان. لذا يجب أنْ تكون هذه الأسواق على النمط العمراني القديم السائد في النجف من ناحية الهندسة المعمارية ذات الطراز الإسلامي المعروف، أي ترسيخ بيئة عمرانية معاصرة لها أصالة الماضي ومقومات المستقبل.

وينبغي التوفيق في عملية بناء هذه الأسواق بين الأصالة المعمارية وتطبيق العناصر الوظيفية اللازمة لراحة المتسوقين بما يتوافق مع الطابع العمراني للمنطقة. وأنْ لا تحتوي الواجهات المعمارية والتصميم الداخلي لهذه الأسواق على عناصر تشكيلية غربية بعيدة عن قيمنا وتراثنا وتعاليمنا الاسلامية بتأثير ظاهرة العولمة التي تؤثر على العادات والتقاليد والسلوك وتحاول إدخال الأفكار الهدامة التي تمسح الهوية العربية الاسلامية عن مدننا المقدسة.

إنَّ هذه الأسواق وبحكم إحاطتها بالروضة الحيدرية المقدسة ستكون مكاناً مفضلاً لتسوق الزائرين. ويتوقع لها أنْ تستقطب مختلف الأنشطة التجارية والاقتصادية ما يعود بالنفع المادي على سكان مدينة النجف الأشرف، وتتضح هذه

(١) التراث الحضاري في المدينة العربية المعاصرة: ٤٨.

الاستفادة للسكان المحليين من توفير فرص العمل الدائمة المباشرة وغير المباشرة. كما سيتم المحافظة على الإرث الطبيعي والثقافي للمجتمع النجفي الذي يمتد لأكثر من ألف عام من خلال مساهمة هذه الأسواق في تطوير الصناعات الحرفية والتقليدية بين السكان المحليين، مع إمكانية التصدير للخارج من خلال الزوار القادمين من مختلف دول العالم، لأنَّ الزائر بعد أداء مراسيم الزيارة يدخل الأسواق ويشتري منها ما يريد ولاسيما الصناعات النجفية التقليدية.

ب- تطوير مقبرة وادي السلام:

تقع مقبرة وادي السلام على جانب طرفي المشراق والعمارة، وتأخذ خطاً موازياً لطريق النجف/كوفة وطريق النجف/كربلاء. وقد انحصر الدفن في جوار أمير المؤمنين عليه السلام بأقرب منطقة من المرقد الشريف وتحولت الأرض إلى مدفن واسع يُسمّى مقبرة وادي السلام. وبعد تكدس القبور وامتلاء السراديب بالموتى في المقبرة القديمة، خُططت المقبرة الجديدة في الجهة الشمالية من المقبرة القديمة، وقد أخذت امتداداً طولياً على حافة بحر النجف في ذلك الوادي، فأصبحت واحدة من أعظم المدافن في العالم.

قال الدكتور حسن الحكيم عن الدفن في هذه المقبرة ما يأتي: (تعود عادة الدفن في مدينة النجف الأشرف إلى العصر الراشدي "١١-٤٠ هـ"، وقيل أنْ تتشرف أرض الغري بجسد أمير المؤمنين عليه السلام، فقد اعتاد الكوفيون الدفن في منطقة الثوية... وبعد استشهاد الإمام علي عليه السلام عام ٤٠ هـ أخذ الناس يزورون قبره الشريف خفية ويدفنون موتاهم حوله، ومن ثمَّ أخذت مقبرة وادي السلام في البروز، وأخذت مقبرة الثوية أو الجبانة بالاختفاء)[1].

(١) المفصل في تاريخ النجف الأشرف: ١٤١/٣.

وجرت العادة انَّ شيعة الإمام عليه السلام ومحبيه ينقلون جنائزهم إلى النجف لتدفن إلى جنب الضريح المقدس للإمام عليه السلام، لذا يضم ثرى المدينة رفات أعداد هائلة من البشر وأصبحت هذه العادة واحدة من التقاليد الشائعة عند الشيعة ومستمرة إلى يومنا هذا.

قال الدكتور علي الوردي عن ظاهرة دفن الأموات في النجف ما يأتي: (منذ بداية القرن الثامن عشر تقريباً أخذ الشيعة ينقلون جنائز موتاهم إلى النجف لتدفن هناك في مقبرة عُرفت بإسم "وادي السلام". وعندما زار نيبور النجف عام ١٧٦٥ خمّن عدد الجنائز التي تُنقل إلى النجف سنوياً بما يتجاوز الألفين. وقد أخذ هذا العدد يتزايد على توالي الأعوام. وعندما بدأت وسائل النقل الحديثة تُستخدم بعد الحرب العالمية الأولى صار أكثر أموات الشيعة، من جميع أنحاء العالم، يُدفنون في النجف، ولعلني لا أغالي إذا قلت أنَّ مقبرة وادي السلام هي أعظم مقبرة في العالم كلّه)[1].

وقال الأستاذ جعفر الخياط رحمه الله في موسوعتِهِ: (وفي تقرير عسكري مكتوم، أعدته رئاسة الأركان البريطانية العامة في ١٩١١، عن المنطقة الممتدة من بغداد إلى الخليج، يرد ذكر النجف بتفصيلات تفيد الأغراض العسكرية عنها. فقد ورد فيه انَّ النجف، أو مشهد علي، بلدة يبلغ عدد نفوسها زهاء "١٢٠٠٠" نسمة، منهم عدد من الهنود المسلمين. وتصل إليها حوالي ستة آلاف جثة في السنة لتدفن في مقابرها نظراً لقدسية المكان)[2].

ونقل الخياط أيضاً ما ذكرته السائحة الإنجليزية المسز رولاند ويلكنز في كتابها المطبوع في لندن سنة ١٩٠٨ عندما زارت العراق في أوائل القرن العشرين. فهي تقول عما شاهدته عن الزوار الإيرانيين القادمين لزيارة العتبات المقدسة: (انَّ هؤلاء الزوار كانوا يأتون معهم بالجنائز مشدودة بصورة مستعرضة فوق أظهر الحمير، لأنَّ

(١) دراسة في طبيعة المجتمع العراقي: ٢١١.

(٢) موسوعة العتبات المقدسة: ٢٤٥/٦.

أمنية المؤمن الحق هنا أنْ لا يقتصر في أيام حياته على زيارة الأئمة فقط بل يطمح أيضاً في أنْ تقبر رفاته بسلام بعد الموت في الأرض المقدسة التي استشهد فيها الحسين وأبوه عليهما السلام)[1].

وتضم مقبرة وادي السلام جثامين الملايين من عامة الناس بالإضافة إلى قبري النبيين هود وصالح عليهما السلام ومقامي الإمامين الصادق والمهدي عليهما السلام، ومقابر بعض الملوك والأمراء والوزراء والنقباء والأشراف والإداريين ورجال العلم، ومنهم في عصرنا الحالي مقبرة العلامة الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء والشهيدين الصدرين السيد محمد باقر الصدر والسيد محمد محمد صادق الصدر و الشهيدين الشيخين مرتضى البروجردي وعلي الغروي رضي الله عنهم أجمعين.

لقد أصبحت النجف دار سكن ودار دفن لما ورد من الفضائل في مجاورة إمام المتقين صلوات الله عليه في الحياة وعند الممات. حتى انَّ الإمام علي عليه السلام كان يدعو الله أنْ يجعل قبره في تربتها الطيبة. ففي حديث للأمام عليه السلام وهو يُخاطب أرض النجف، قال: ((ما أحسن منظرك، وأطيب قعرك، اللهم اجعل قبري بها))[2].

وقال السيد المرتضى رحمه الله المتوفي سنة ٤٣٦هـ في أبيات من قصيدته الرائية:

يا راكباً رقصت به مهرية أشبت لساحته الهموم فأصحرا
عج بالغري فإنَّ فيه ثاوياً جبلاً تطأطأ فاطمأنَّ به الثرى
واقر السلام عليه من كلف به كشفت له حجب الصباح فأبصرا
ولو استطعت جعلت دار إقامتي تلك القبور الزهر حتى أقبرا

قال الديلمي في إرشاده: (ومن خواص تربته إسقاط عذاب القبر، وترك محاسبة منكر ونكير للمدفون هناك، كما وردت به الأخبار الصحيحة عن أهل البيت عليهم السلام. وروي عن القاضي ابن بدر الهمداني الكوفي – وكان رجلاً صالحاً متعبداً – قال: كنت في جامع الكوفة ذات ليلة وكانت ليلة مطيرة، فدقّ باب مسلم جماعة ففتح

(١) موسوعة العتبات المقدسة: ٢٤٥/٦.

(٢) إرشاد القلوب: ٣٤٧/٢.

لهم، وذكر بعضهم انَّ معهم جنازة، فأدخلوها وجعلوها على الصفة التي تجاه باب مسلم بن عقيل رضي الله عنه.

ثمَّ انَّ أحدهم نعس فنام، فرأى في منامه قائلاً يقول لآخر: ما نبصره حتى نبصر هل لنا معه حساب أم لا؟ فكشف عن وجه الميت وقال لصاحبه: بل لنا معه حساب وينبغي أنْ نأخذه منه معجلاً قبل أنْ يتعدى الرصافة، فما يبقى لنا معه طريق، فانتبه وحكى لهم المنام وقال: خذوه عجلاً، فأخذوه ومضوا به في الحال إلى المشهد الشريف صلوات الله وسلامه على مشرفه.

إذا متُّ فادفني إلى جنبِ حيدرٍ أبي شُبَّرٍ أكرِمْ بِهِ وشُبَيْرِ
فَلَستُ أُخافُ النارَ عندَ جِوارِهِ ولا أَتَّقي من مُنكَرٍ ونَكيرِ
فعارٌ على حامي الحِمى وهوَ في الحمى إذا ضَلَّ في المرعى عقال بعيرِ

وروى جماعة من صلحاء المشهد الشريف الغروي صلى الله على مشرفه، انّه رأى انَّ كل واحد من القبور التي في المشهد الشريف وظاهره، قد خرج منه حبل ممتد متصل بالقبّة الشريفة صلوات الله على مشرفها)[1].

إنَّ الإمام علي عليه السلام بالنسبة للفرد الشيعي هو الوسيلة إلى الله وباب حِطّة أمة محمد صلى الله عليه وآله، وانَّ الموالي يطمع بشفاعة أميرالمؤمنين صلوات الله عليه بعد انتقاله إلى دار الآخرة، لأنّه حامي الجار، لذا قال شاعرنا:

بقبرك لذنا والقبور كثيرةٌ ولكنَّ من يحمي الجوار قليلُ

قال الشيخ محمد مهدي النراقي قدس سره المتوفى سنة ١٢٠٩هـ في كتابه جامع السعادات ما نصه: (وإذا دخلت أرض النجف لزيارة أمير المؤمنين وسيّد الوصيين عليه السلام، تذكّر انها وادي السلام، ومجمع أرواح المؤمنين، وقد شرّفها الله وجعلها أشرف البقاع، وجنة المؤمنين، فما من مؤمن خالص إلاّ وبعد الموت تأتي روحه

(١) إرشاد القلوب: ٢/٣٤٧-٣٤٨.

إليها، ويتنعم فيها مع سائر المؤمنين، إلى أنْ يدخلوا دار كرامته العظمى في القيامة الكبرى)[١].

وقد كان أمير المؤمنين علي عليه السلام يأتي النجف ويقول: ((وادي السلام ومجمع أرواح المؤمنين، ونعم المضجع للمؤمن هذا المكان، وكان يقول: اللهم اجعل قبري بها))[٢]. وورد في الكافي عن حبة العرني قال: (خرجت مع أمير المؤمنين عليه السلام إلى الظهر فوقف بوادي السلام كأنه مخاطب لأقوام فقمت بقيامه حتى أعييت ثم جلست حتى مللت ثم قمت حتى نالني مثل ما نالني أولاً ثم جلست حتى مللت، ثم قمت وجمعت ردائي فقلت: يا أمير المؤمنين إني قد أشفقت عليك من طول القيام فراحة ساعة ثمّ طرحت الرداء ليجلس عليه فقال لي: ((يا حبة إنْ هو إلا محادثة مؤمن أو مؤانسته، قال: قلت: يا أمير المؤمنين وإنهم لكذلك، قال: نعم ولو كشف لك لرأيتهم حلقاً حلقاً محتبين يتحادثون فقلت: أجسام أم أرواح فقال: أرواح وما من مؤمن يموت في بقعة من بقاع الأرض إلاّ قيل لروحه: الحقي بوادي السلام وإنها لبقعة من جنة عدن))[٣].

وروى الشيخ أبو جعفر الطوسي قدس سره بإسناده عن مروان بن مسلم عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: (قلت له: إنَّ أخي ببغداد وأخاف أنْ يموت فيها، قال: ((ما تبالي حيث ما مات أما إنّه لا يبقى أحد في شرق الأرض ولا في غربها إلاّ حشر الله روحه إلى وادي السلام. قال: قلت: جعلت فداك وأين وادي السلام؟ قال: ظهر الكوفة، أما إنّي كأنّي بهم حلق حلق قعود يتحدّثون))[٤].

وقد وردت قصة طويلة في كتاب منازل الآخرة للمحدث الجليل الشيخ عباس القمي ننقل منها مقطعاً صغيراً بما يتناسب وما ذُكر آنفاً: (قال شيخنا ثقة الإسلام

(١) جامع السعادات: ٣/٧١٧-٧١٨.
(٢) فضل الكوفة وفضل أهلها: ٨٥.
(٣) الكافي: ٣/٢٤٣.
(٤) تهذيب الأحكام: ١/٤٦٦.

النوري عطَّر الله مرقده، في دار السلام: حدثني العالم الجليل الأمير السيد حسن الحسيني الأصفهاني رحمه الله قال: عندما توفي والدي العلاّمة في أصفهان كنت مقيماً في النجف الأشرف بهدف الدراسة. وكان يدير أمور والدي رحمه الله بعض إخوتي ولم أكن مطلعاً على تفاصيلها. وبعد مضي سبعة أشهر من وفاته، توفيت أمي ونُقلت جنازتها إلى النجف.

وذات يوم رأيت في المنام أني جالس في بيتي الذي كنت ساكناً فيه. وإذا بالوالد رحمه الله يدخل عليَّ فقمت واستقبلته. فجلس في صدر المجلس وتلطف في السؤال عن أحوالي. وكنت في منامي منتبهاً إلى أنّه ميت فقلت له: إنك توفيت في أصفهان وأراك هنا في النجف؟! فقال: نعم أنزلونا بعد الوفاة في النجف وإقامتنا الآن فيها...)[1].

روى الحافظ البَرسي عن الأصبغ بن نباتة: (انَّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يجلس للناس في نجف الكوفة فقال يوماً لمن حوله: ((مَنْ يرى ما أرى؟ فقالوا: وما ترى يا عين اللّه الناظرة في عباده؟ فقال: أرى بعيراً يحمل جنازة، ورجلاً يسوقه ورجلاً يقوده، وسيأتيكم بعد ثلاث، فلمّا كان اليوم الثالث قدم البعير والجنازة مشدودة عليه، والرجلان معه، فسلّما على الجماعة. فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام بعد أنْ حيّاهم: من أنتم؟ ومن أين أقبلتم؟ وما هذه الجنازة؟ ولماذا قدمتم؟.

فقالا: نحن من اليمن، وأمّا الميّت فأبونا، وإنّه عند الموت أوصى إلينا، فقال: إذا غسلتموني، وكفنتموني، وصلّيتم عليّ فاحملوني على بعيري هذا إلى العراق، وادفنوني بنجف الكوفة. فقال لهما أمير المؤمنين: هل سألتماه لماذا؟ فقالا: أجل قد سألناه، فقال: يُدفن هناك رجل لو شفع في يوم العرض في أهل الموقف لشفع. فقام أمير المؤمنين عليه السلام وقال: صدق، أنا واللّه ذاك الرجل))[2].

---

(١) منازل الآخرة: ٧٦.

(٢) مشارق أنوار اليقين في حقائق أسرار أمير المؤمنين عليه السلام: ٢٠٠-٢٠١.

ونظراً للمزايا التاريخية والدينية والسياحية لمقبرة وادي السلام، ولكونها واحدة من أكبر المقابر في العالم، نأمل أنْ يتم إدراجها في منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) كواحدة من الأماكن الأثرية المهمة في قائمة التراث العالمي. لذا نقترح لتطوير هذه المقبرة ما يأتي:

١- إنشاء مسجد الطور:

إنَّ جبل الطور المقدس يُعد أعلى مكان في ربوة النجف من جهة وادي السلام يشرف على ملايين القبور في منخفض المقبرة في منظر مهيب. وهو يفصل بين مقبرة وادي السلام والمدينة القديمة من جهة محلتي المشراق والعمارة[١]. ومن الأهمية الكلام عن أصل الجبل الذي كان موجوداً في النجف وبقيت آثار منه في الوقت الحاضر، حيث يطلق عليه النجفيون إسم (جبل الطور). ورد في معجم البلدان عن الكوفة قول ابن الكلبي: (سُمّيت بجبل صغير في وسطها كان يقال له كوفان وعليه اختطت مهرة موضعها، وكان هذا الجبل مرتفعاً عليها فسميت به)[٢].

ومن الجدير بالذكر انَّ هذا الجبل هو طور سيناء أو طور سينين كما ورد في تراث أهل البيت عليهم السلام. فقد ذكر العلامة عبدالكريم بن طاووس بسنده عن الثُمالي عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام في حديث حدَّث به: ((إنّه كان في وصية أمير المؤمنين عليه السلام، أنْ أخرجوني إلى الظهر، فإذا تصوَّبت أقدامكم فاستقبلتكم ريح، فادفنوني، وهو أول طور سيناء، ففعلوا ذلك))[٣].

---

(١) قال الشيخ محمد حسين حرز الدين: (والجبل هذا غطاه تراب عمارة البلدة اليوم. وقد أنشئت إلى جانبه القلعة العسكرية العثمانية في النجف قرب خندق سور البلد الأخير، ثم صار بمكانها مدرسة الغري الأهلية وملحقاتها، وقد هُدمت أخيراً هذه المدرسة في توسعة الشارع المحاذي لسور المدينة). تاريخ النجف الأشرف ٤٦٢/١.

(٢) معجم البلدان: ٤٩١/٤.

(٣) فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين علي عليه السلام: ١٥٠. =

قال الشيخ محمد السماوي يذكر دفن الإمام عليه السلام في الطور:

إذ حملت سريره الملائك وانتظمت فوقهم المسالك
فهم يتابعون في التشييع مسير نعش المرتضى الرفيع
حتى أتوا في ربوات بيض يلمعن للناظر كالوميض
فحفروا ما بينهن رمسا ليدفنوا في الطور منه قدسا[1]

وقد كانت المنطقة الشرقية من جبل الطور - أي جبل المشراق - يوجد فيها استعلامات الدفن في مدينة النجف الأشرف. وفي الوقت الحاضر يوجد في هذه المنطقة فنادق دار السلام والغري والطور بالإضافة إلى فندق مُهمل وخزان ماء غير مُستخدم. وهي كما هو واضح أبنية مدنية تنتهك قدسية المكان.

ونظراً لقدسية جبل الطور التي تكلمنا عنها فيما سبق، نقترح بعض الأفكار ذات المنافع الكثيرة لتطوير هذه المنطقة، وتتلخص في إزالة جميع الأبنية التي ذكرناها آنفاً، وتشييد جامع كبير يُسمّى (مسجد الطور) فوق هذه الربوة المرتفعة. ونقترح أنْ يُبنى هذا المسجد بطابقين، الأول للصلاة والثاني يكون ذا واجهة زجاجية كبيرة بهيئة نصف دائرة مطلة على منخفض الوادي، تمكن الزوار من رؤية المنظر المهيب لملايين القبور في وادي السلام. ونرى من المناسب تخصيص مكان معين للسائحين الأجانب لمشاهدة المقبرة والتعرف على مزاياها التاريخية والأثرية وقيمها الدينية والروحية.

أما الفوائد المتحققة من إنشاء مسجد الطور فهي كما يأتي:

أولاً: سيكون هذا المسجد مكاناً روحانياً للإنسان المؤمن يزهّده في الدنيا ويذكّره بالآخرة، لأنَّ المردود البصري الذي يعكسه المشهد المهيب لملايين القبور سيكون له أكبر الأثر في ذلك.

= قال المجلسي: (تصوبت أي نزلت ورسبت في الأرض، وفي بعض النسخ "تضببت" بالضاد المعجمة أي لصقت). بحار الأنوار: ٢٢٠/٤٢.

(١) عنوان الشرف في وشي النجف: ٩.

قال الشيخ عباس القمي رحمه الله في المفاتيح: (واعلم أنَّ لزيارة قبور المؤمنين أجراً جزيلاً، وهي على ما له من جزيل الأجر، ذات فوائد وآثار عظيمة، فهي تورث العبرة والانتباه، والزهد والإعراض عن الدنيا، والرغبة في الآخرة، وينبغي زيارة المقابر إذا اشتدّ السرور أو الغم، فالعاقل من اتّخذ المقابر عبرةً، ينزع بها حلاوة الدنيا من قلبه، ويحوّل شهدها مُرّاً في ذائقته، وتفكّر في فناء الدنيا، وتقلب أحواله، واستحضر بالبال، أنّهُ هو نفسه سيكون عمّا قريب مثلهم، ويقصر يده عن الصالحات، ويكون عبرة لغيره)[1].

وقد ورد الحث في أحاديث كثيرة مروية عن الرسول الأكرم وأهل بيته صلوات الله عليهم على زيارة قبور المؤمنين. فقد أخرج ابن ماجة في سننه عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أنّه قال: ((زوروا القبور فإنها تذكّركم الآخرة))[2]. وروى ابن قولويه القمي في الكامل عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام انّه قال: ((مَنْ لم يقدر أنْ يزورنا فليزر صالحي موالينا، يُكتب له ثواب زيارتنا، ومَنْ لم يقدر على صلتنا فليصل صالحي موالينا، يُكتب له ثواب صلتنا))[3].

ثانياً: إنَّ الطابق الثاني من هذا المسجد سيكون مكاناً مناسباً لزيارة أرواح المؤمنين من بُعد، ومن الممكن أنْ تنشأ ثقافة جديدة في آداب الزيارة تُرفع من خلالها المشقة عن بعض الزوار الذين قد يصعب عليهم الوصول إلى قبور موتاهم لكونها تقع بأماكن بعيدة ضمن المقبرة التي تمتد لمسافة كيلومترات عدة. كما انَّ البعض قد اندرست قبور موتاهم لأسباب شتى أو قد نسوا مكان الدفن.

وقد تضمنت كتب الأدعية والزيارات أحاديث عدة من تراث أهل البيت عليهم السلام أوضحت فضل وكيفية زيارة الأموات. ورد في كتاب مفاتيح الجنان عن عليٍّ عليه السلام أنّهُ قال: ((من دخل المقابر فقال: بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ السَّلامُ عَلى أهلِ لا إلهَ

(١) مفاتيح الجنان: ٧٥٩.

(٢) سنن ابن ماجة: ١/٥٠٠.

(٣) كامل الزيارات: ٣١٧.

إلاّ اللَّهُ، مِن أَهلِ لا إلهَ إلاّ اللَّهُ، يا أَهلَ لا إلهَ إلاّ اللَّهُ، بحقِّ لا إلهَ إلاّ اللَّهُ، كَيفَ وَجَدتُمْ قَولَ لا إلهَ إلاّ اللَّهُ، مِنْ لا إلهَ إلاّ اللَّهُ، يا لا إلهَ إلاّ اللَّهُ، بِحَقّ لا إلهَ إلاّ اللَّهُ، اغفِرْ لِمَنْ قَالَ لا إلَه إلاّ اللَّهُ، وَاحشُرنا فِي زُمرةِ مَنْ قالَ لا إلهَ إلاّ اللَّهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، عَلِيٌّ وَلِيُّ اللَّهِ. أعطاه الله سبحانه وتعالى ثواب خمسين سنة، وكفّر عنه وعن أبويه سيئات خمسين سنة))[1].

ويحدثنا عمرو بن أبي المقدام، عن أبيه، قال: (مررت مع أبي جعفر عليه السلام بالبقيع، فمررنا بقبر رجل من أهل الكوفة من الشيعة، فقلت لأبي جعفر عليه السلام: جُعلتُ فداك هذا قبر رجل من الشيعة، قال: فوقف عليه وقال: ((اللهُمَّ ارحَمْ غُربَتَهُ، وَصِلْ وَحدتَهُ، وآنس وَحشتَهُ، وآمِنْ رَوعتَهُ، وَاسكِنْ إليهِ مِنْ رحمتِكَ، ما يستغني بهِ عَنْ رحمةِ مَنْ سِواكَ، وَالحِقهُ بِمَنْ كانَ يتولاّهُ))[2].

ثالثاً: زيارة الإمام أبي عبدالله الحسين عليه السلام من بُعد. ولابد لنا أنْ نشير إلى انَّ الشارع المؤدي إلى جبل الطور في هذه المنطقة كان سابقاً يُسمّى شارع الحسين عليه السلام لأنّه يواجه مدينة كربلاء المقدسة. لذلك نعتقد انَّ توجه الزائر نحو كربلاء من خلال واجهة الطابق الثاني من هذا المسجد ستكون مثالية لحصول الفضل العظيم من زيارة سيد الشهداء صلوات الله عليه.

وقد وردت نصوص عدة تحث على زيارة الإمام الحسين وباقي الأئمة عليهم السلام من بُعد في حال تعذر الوصول إلى مراقدهم المقدسة. وحسبنا رواية الشيخ الكليني قدس سره عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، انّه قال: ((إذا بعدت بأحدكم الشّقة ونأت به الدار، فليعلُ أعلى منزله وليصلِّ ركعتين، وليُومِ بالسلام إلى قبورنا فإنَّ ذلك يصل إلينا))[3].

(١) مفاتيح الجنان: ٧٥٦.

(٢) كامل الزيارات: ٣١٩.

(٣) الكافي: ٥٨٧/٤.

ويشرح الإمام الصادق عليه السلام لشيعته كيفية زيارة سيد الشهداء أبا عبدالله الحسين أرواحنا فداه من بُعد، قال: ((إصعد فوق سطحك ثم تلتفت يمنة ويسرة ثم ترفع رأسك إلى السماء، ثمَّ إنحو نحو القبر وتقول: السَّلامُ عليكَ يا أبا عبدِالله، السَّلامُ عليكَ ورحمَةُ اللهِ وبركاتُهُ. تُكتب لك زَورة والزَّورة حجَّة وعمرة))[1].

٢- تطوير جدار المقبرة:

إنَّ منطقة وادي السلام تمثل عالم الأموات ومجتمع أرواح المؤمنين وهذه الأرواح هي في جوار الإمام علي عليه السلام، لذلك لا يليق أنْ تكون هناك أبنية فاصلة بين هذه المقبرة والروضة الحيدرية المقدسة. لذا نقترح إزالة جميع المنشآت المدنية المقامة على جدار مقبرة وادي السلام ابتداءاً بأول بناية مشيدة على جدار المقبرة من جهة طريق نجف/كربلاء وانتهاءاً بآخر بناية في نهاية جانب طرف العمارة، ونقترح أنْ تكون أبواب المقبرة مبنية وفقاً لهندسة معمارية وريازة إسلامية أفضل مما هو موجود حالياً.

وفي الوقت نفسه ينبغي على الحكومة المحلية التنبه إلى ضرورة عدم المساس بما تبقى من المقبرة القديمة بداعي تطوير التخطيط الحضري للمكان، مراعاةً لقدسية وادي السلام ولحرمة الأموات فيه، إلى جانب وجود مقابر أثرية كثيرة ذات ريازة إسلامية رائعة هي بحاجة إلى الإصلاح والترميم والاهتمام من قبل المسؤولين في دائرة الآثار والتراث في النجف الأشرف.

وبناءاً على ذلك فإنَّ وجود المباني المدنية في المقبرة يؤثر سلباً على القيم الروحية لها، لذا فإنَّ إزالة هذه المباني يساهم في استرداد المدينة لتراثها الديني العريق، ورفع الانتهاك الحاصل لقدسية جبل الطور ولحرمة أرواح أموات المؤمنين رضي الله عنهم.

---

(١) الكافي: ٥٨٩/٤.

ج- توسيع شارع الإمام علي عليه السلام:

يمتد شارع الإمام علي عليه السلام من ساحة ثورة العشرين وحتى ساحة الميدان حيث يواجه بشكل مباشر باب الإمام علي المرتضى للصحن الدائري الجديد. ويتم هذا التوسيع من خلال استملاك وإزالة جميع الأبنية التي يضمها القطاع الطولي والمتمثلة ببعض المحال التجارية وبناية فوج الطوارئ والمقهى الفولكلوري وهي جميعها مطلة على ساحة الميدان، وجامع السوّاق وفندق أم القرى ومرآب بغداد القديم والجامعة الاسلامية (مديرية شرطة النجف سابقاً).

اقترحنا توسيع هذا الشارع لأسباب عدة منها توفير فضاء واسع يطل على الروضة الحيدرية المقدسة، وأيضاً تسهيل انسيابية حركة المركبات والأشخاص وبالتالي التخفيف من الكثافة المرورية الملاحظة حالياً في هذا الشارع، وأيضاً يساهم هذا التوسيع في تنظيم حركة المواكب الدينية وخاصةً المواكب الحسينية المتجهة نحو الروضة الحيدرية المقدسة ابتداءاً من ساحة ثورة العشرين.

إضافةً إلى ذلك فإنَّ إزالة هذه الأبنية يزيل التشوه في المشهد البصري الذي أحدثته هذه الأبنية ولاسيما فندق أم القرى المنشأ حديثاً، وهو عبارة عن عمارة طويلة مستعرضة بُنيت بطراز معماري يتعارض مع الهوية التراثية للمكان وذات مردود بصري سلبي، وهي كما يلاحظ قد حجبت بالكامل رؤية القبّة المشرفة للإمام عليه السلام، لتشارك بقية الفنادق العالية في المدينة القديمة في انتهاك قدسية الحرم العلوي المطهر.

ونظراً لأهمية موقع ساحة الميدان ينبغي إعادة تأهيلها من حيث رصف أرضيتها بالمرمر وتضليلها بالمظلات الكبيرة المتحركة وإضاءتها بشكل مناسب، بحيث تكون مناظرة للساحة التي تفصل بين المرقد النبوي الشريف ومقبرة البقيع في المدينة المنورة على مشرفها أفضل التحية وأتم السلام.

د- تطوير الخدمة الفندقية:

تُعد الفنادق أماكن ضرورية ولا استغناء عنها لسكن وراحة الزائرين، ونظراً للأهمية الدينية لمدينة النجف الأشرف وكثرة الزوار الوافدين إليها من داخل العراق وخارجه، فقد امتازت هذه المدينة بوفرة الفنادق فيها.

إنَّ إزالة الفنادق في المدينة القديمة لا يؤثر إطلاقاً على الخدمة الفندقية المقدمة للزوار وذلك لوجود أعداد هائلة من الفنادق في المركز التجاري للنجف، وهو المستطيل المحصور بين شارع السدير وفندق بوخمسين التجاري الذي هو الآن في طور الإنشاء، وفي منطقة الجِدَيدَة الأولى المعروفة بخان المخضر وفي باقي مناطق الجِدَيدات وعلى حافة منخفض بحر النجف ذي المنظر الخلاب. وهذه المناطق جميعها قريبة جداً من الروضة الحيدرية المقدسة. يُضاف إلى ذلك الفنادق الكثيرة الموجودة بعد ساحة ثورة العشرين على امتداد شارع النجف/ كوفة وشارع النجف/ كربلاء.

وينبغي تحديد ارتفاع البنايات والفنادق في منطقة الجِدَيدات القريبة من الروضة المقدسة بحيث لا تعلو عن ارتفاع جدار الصحن الدائري الجديد وبذلك نضمن رؤية القبّة المشرّفة للإمام علي عليه السلام من مشارف المدينة المقدسة.

ولعلّ من المناسب أنْ نذكر هنا انَّ لا اعتبار لعدد الطوابق للفنادق المشيدة وإنما لمقدار الارتفاع لأنَّ المرقد العلوي المقدس يوجد في أعلى مكان من ربوة النجف وكلما ابتعدنا عن المرقد حصل انحدار تدريجي في طبيعة الأرض. وقد ذكر المهندس السيد مهدي الحسيني انّه في إحدى عمليات القياس التي قام بها بجهاز تحديد المستوى وجد انَّ ارتفاع أرض الصحن العَلَوي الشريف أعلى من قمة قبّة مسلم بن عقيل عليه السلام[1].

(١) دليل العتبة العلوية المقدسة: ١٣٤.

ومن ناحية أخرى لا يفوتنا أنْ نؤكد على أهمية إظهار الطابع المعماري الأصيل في عمارة الفنادق الحديثة، واحترام الخصائص الثقافية والبيئية في مدينة أثرية عريقة كمدينة النجف الأشرف المقدسة. وهذا أمر له دلالته في ربط عمارة هذه الفنادق بالتراث، أي الموازنة بين التقنيات الحديثة والاحتياجات الإنسانية العاطفية، وبالتالي تحقيق التناسق المعماري في التخطيط الحضري للمدينة، وربط الناس بتاريخهم وتراثهم وتحصين أفكارهم من الغزو الفكري الأجنبي.

هـ – تطوير مرآب النجف الداخلي:

قامت الإدارة السابقة للحكومة المحلية في مدينة النجف الأشرف بتطوير مرآب النجف الداخلي والذي كان أساساً جزءاً من المقبرة القديمة، ولكن هذا التطوير شابه الكثير من النواقص والأخطاء. ومن الملاحظ انَّ هذا المرآب يفتقر إلى كثير من التنظيم في داخله من حيث مواقف السيارات وانسيابية حركتها وافتقاده للخدمات الصحية الضرورية للمواطنين. أما الإدارة الحالية فقد قامت بإزالة ما تبقى من المقابر المحاذية للمرآب فنتجت من ذلك مساحات فارغة.

ويجدر بنا أنْ نشير إلى ضرورة التعاقد مع إحدى الشركات المتخصصة التي تعمل على إعادة هندسة وبناء هذا المرآب بشكل جديد وحديث بعد ضم كل المساحات الفارغة إليه. مع ضرورة تشييد مسجد كبير يتوسط المرآب، وإنشاء دورات مياه صحية بمواصفات عالية لخدمة المواطنين في موقعين من هذا المرآب، أي في الجزء الشمالي والجنوبي منه. وتنظيم السوق الشعبي الموجود بداخله. وقد علمنا انَّ هناك نية في المستقبل القريب للتعاقد مع إحدى الشركات الأجنبية لإنشاء قطار معلق يخدم المواطنين والزوار بين الكوفة والنجف، وستكون إحدى محطات توقفه هي مرآب النجف الداخلي[1].

(١) تأسست شركة التراموای العثمانية الأهلية سنة ١٣٢٤هـ وكان أحد مؤسسيها الشخصية النجفية المعروفة الحاج عبدالمحسن شلاش، حيث تم إنشاء سكة حديد تسير عليها عربات بطابقين تجرها=

رابعاً– التنمية المستدامة من التراث العمراني:

تُعد الاعتبارات الطبيعية والتاريخية والاجتماعية والبشرية اعتبارات أساسية في التخطيط العمراني إلاّ انَّ أهمها هي التاريخية، التي لا تموت بل تتجدد على مر السنين لاسيما ما يتعلق منها بالمواقع الأثرية. فإنّه جدير بالبحث والدراسة الحفاظ على الآثار بما يمنحنا رؤية واضحة لولادة الحضارة الإنسانية وتعاقب الأدوار التاريخية، فضلاً عن الاستفادة منها كأحد مصادر الدخل المستدام، حيث أصبحت التنمية المستدامة Sustainable development لأي منطقة هي الوسيلة المثلى لتحقيق التنمية في جميع مجالاتها. ويمثل التراث العمراني ثروة وطنية يمكن استثمارها لتحقيق موارد اقتصادية لا يستهان بها للبلد، لأنَّ الاعتماد على الموارد النفطية فقط أمر في غاية الخطورة في منظور المستقبل.

وينبغي إظهار القيم الحضارية التي تتصف بها المباني التاريخية من خلال إبراز الجوانب الفنية والجمالية للمميزات المعمارية لها. ويمكن الحصول على منافع معنوية ومادية كبيرة من خلال عرض هذه المباني للجمهور لأجل بث الثقافة بين أفراد المجتمع، وربط الأجيال المعاصرة بجذورها التاريخية وتوفير عامل جذب سياحي وبالتالي مردود اقتصادي كبير للمحافظة وللدولة العراقية، ويعم نفعه أيضاً طبقة كبيرة من المجتمع النجفي كتوفير فرص العمل مثلاً.

يتم عرض المبنى التاريخي للجمهور وذلك عن طريق إصلاحه وصيانة الأجزاء المتهدمة منه واعادة تأهيله. لذلك فان أي محاولة لإزالة أو طمس هذه المعالم الأثرية يُعد جريمة كبرى بحق هذه المدينة المقدسة وبحق الإرث الإنساني العالمي بأجمعه.

ويجب تركيز الانتباه على التنمية المستدامة للبيئات التراثية في إطار خطة شاملة من خلال دراسة العوامل المؤثرة على عملية إعادة التوظيف وبيان مدى تأثيرها على

=الخيول بين الكوفة والنجف. واكتملت السكة سنة ١٣٢٦هـ واستخدمت لنقل المسافرين والسلع والبضائع التجارية، واستمر العمل بهذه السكة لأكثر من أربعين سنه حتى العام ١٣٦٨هـ. لمزيد من التفصيل يُنظر: تاريخ النجف الأشرف ٩٣/٣.

اختيار الوظيفة الملائمة للمبنى وربطها بالبيئة المحيطة به حيث تضمن تفاعل سكان هذه المناطق مع الوظيفة الجديدة. وتعني كلمة التوظيف إعادة استخدام المبنى الأثري الذي توقف استخدامه إلى وظيفة قد تكون وظيفته الأصلية، أو وظيفة مشابهة، أو حتى في وظيفة حديثة تحتاجها المدينة وتخدمها.

إنَّ التراث المدني والمعماري هو الإرث الحضاري لمجتمع ما، فالمدينة والعمارة هما مرآة هذا المجتمع وتجسيد له. والإرث وثيقة تاريخية وحقيقة ثقافية، لذلك يجب إطالة حياة هذا الإرث الثقافي الهام فنجعله موضع عناية وقائية مستمرة تطال النسيج المبني وكل ما يحوطه في المكان. ونؤكد قيمته الحضارية لنا وللإنسانية جمعاء، فنحافظ عليه ونمنع تدهوره نتيجة الظروف المناخية أو نتيجة لتصرفات الناس. وينبغي توعية أفراد المجتمع بأنَّ ممتلكاتهم الثقافية جديرة بالحماية حتى ولو تطلب ذلك بعض التضحية من جانبهم، لأنَّ مثل هذه الممتلكات الثقافية تمثل إرثاً عالمياً، وانَّ الاحتفاظ بها ضروري للإنسانية.

ونعتقد انَّ أهم المعالم التاريخية والتراثية في هذه المدينة المقدسة التي هي بحاجة إلى آليات فاعلة لإدامتها أو إنشائها لغايات التنمية الثقافية والسياحية وتحقيق العائد الاستثماري هي كما يأتي:

أ- سور النجف الأثري:

إنَّ سور النجف الأخير هو واحد من ستة أسوار شيدت في أزمنة متباعدة رافقت النمو السكاني والاتساع الجغرافي الدائري للمدينة القديمة حول ضريح الإمام علي عليه السلام. وكان المبرر لبناء الأسوار حماية المرقد العلوي المقدس ومجاوريه. وقد برزت أهمية هذه الأسوار في حماية النجف من هجمات بعض الأعراب المحيطين بالمدينة ومن اعتداءات الوهابيين المتكررة في بداية القرن الثالث عشر الهجري.

يحدثنا آية الله العظمى الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء قدس سره المتوفى سنة ١٣٧٣هـ عن اعتداءات عبدالله بن سعود على النجف وكربلاء، قال: (وكان يمنّي

نفسه بأخذ العراق ولكن يمنعه علمه بأنَّ فيها جنداً ذوي منعة وقوة لا طاقة له بهم. ولكن كان ينازل النجف وكربلاء كثيراً لعلمه بضعف من فيها من الأهالي، وعدم مكث الجند والعسكر بها، حتى أنّه أرجف النجف خمس أو ست دفعات. وكان الله يكفيهم شره فيها، ولكن بعد أنْ يقتلهم الخوف والاضطراب لأنّه كان يأتي بجنده فإذا سمعوا به غلّقوا الأبواب فيطوف حول السور فمهما وجد دابة على الأرض من حيوان أو إنسان، رجلاً أو طفلاً، ذكراً أو أنثى قتله ورمى برأسه داخل البلد. وكان يأتي من أصحابه العشرة، والعشرون فيدخلون البلد على حين غفلة من أهلها فيقتلون وينهبون ثم ينهزمون بكل ذلك لقرب منازلهم وهي نجد والقصيم إلى العراق خصوصاً النجف منه)[1].

ويشرح الشيخ جعفر محبوبه كيفية بناء السور الأخير للنجف فقال ما نصه: (فانتُدب لهذا المشروع المهم وعزم على تحصين البلدة بأحسن من حصنها الأول ذو الآثار الجليلة الصدر الأعظم نظام الدولة الحاج محمد حسين خان العلاّف الأصفهاني وزير فتح علي شاه القاجاري فبنى هذا السور الحصين وشيّد أركانه وحفر خلفه خندقاً عميقاً وأقام فيه الأبراج المكتنفة بالمعاقل والمراصد والمخافر وجعل له في طبقاته ثقوباً ومنافذ متقاربة مختلفة في الصغر والكبر لوضع فوهات المدافع والبنادق عند الحاجة، وكان ابتداء بنائه سنة ١٢١٧ وتمامه سنة ١٢٢٦)[2].

وذكر الشيخ محمد حسين حرز الدين في تاريخه عن الغزو الوهابي للنجف ما يأتي: (وعلى أثر هجوم الأعراب على النجف الأشرف والاضطرابات التي حلّت بها، طلب الشيخ الأكبر الشيخ جعفر كاشف الغطاء من أهل العلم في النجف أنْ يحملوا السلاح ويتمرّنوا على تدريب الحرب والقتال لمواجهة الغارات التي كان يشنّها سعود على النجف الأشرف بين حين وآخر للاستيلاء عليها كما فعل في كربلاء عام ١٢١٦هـ، فقد حفّز هذا الخطر المُحدق بالنجف الشيخ الأكبر كاشف

(١) العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية: ١١٢.

(٢) ماضي النجف وحاضرها: ٢١٢/١.

الغطاء أنْ يعتبر نفسه المسؤول الأول عن حفظ النجف والدفاع عنها، فانتخب جماعة من الشباب الأقوياء الجريئين وسلّحهم وأجرى لهم رواتب، فأقدموا على تدرّب الطرق العسكرية من هجوم ودفاع، فأصبحت عند الشيخ قوة مدافعة، مضافاً إلى قوى رجال العلم الذين اختاروا الدفاع ومقابلة كلّ عدو يحاول الهجوم بدافع العقيدة، وبذلك أصبح الشيخ كاشف الغطاء بالإضافة إلى زعامته الدينية زعيماً دنيوياً لا يختلف في أمره أحد)[1].

ويروي لنا عباس العزاوي حادثة الغزو الوهابي للنجف سنة ١٢٢٠هـ فذكر الآتي: (في هذه السنة سار سعود بجيوشه، ونازل المشهد، وفرق جيشه عليه من كل جهة وأمرهم أنْ يتسوروا الجدار على أهله. فلمّا قربوا منه فإذا دونه خندق عريض عميق فلم يقدروا على الوصول إليه، وجرى بينه وبينهم مناوشة وقتال ورمي من السور والبروج، فقُتل من جيش سعود عدة قتلى فرجعوا عنه)[2].

قال المرجع الكبير سماحة آية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم دام ظله: (أما السلفية الذين يبدوا تبنيهم للحملة ضد الشيعة في هذه الأيام، فإنا نعلم أنَّ هذا ليس أول موقف لهم من الشيعة والتشيع بل من الإسلام والمسلمين... وقد عاثوا فساداً في هجوماتهم المتكررة على حرم الله تعالى، وعلى الحجاج قتلاً ونهباً، واستهانة بمقدسات المسلمين، حتى انقطع الحج في بعض السنين. كما أولعوا بالتهجم على التشيع والاعتداء على مقدساته. وكم هاجموا مدينة كربلاء المقدسة رمز الشهادة والتضحية في سبيل الدين، ومهراق الدماء الزكية لأهل بيت النبوة صلوات الله عليهم أجمعين. وقد أغرقوا في بعض تلك الهجومات في انتهاك الحرمات، حيث قتلوا كثيراً ممن كان في كربلاء، وهدموا قبر سبط النبي صلى الله عليه وآله سيد الشهداء الامام الحسين صلوات الله عليه، ونهبوا ما في الروضة المطهرة من النفائس. وهاجموا أيضاً النجف الأشرف مرقد الإمام علي أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة والسلام مرات

(١) تاريخ النجف الأشرف: ٣٨٧/٢.

(٢) تاريخ العراق بين احتلالين: ١٦٩/٦.

عديدة، إلاّ أنهم عجزوا عن اقتحام سورها، بعد أنْ قاد العلماء حملة الدفاع عنها)[1].

وقد تم تهديم سور النجف في ثلاثينيات القرن العشرين لأجل توسعة المدينة. قال المؤرخ الدكتور حسن الحكيم: (وفي عام ١٣٣٢هـ/١٩١٤م بدأ التصدع في سور النجف فسقطت منه أربعة عشر شرافة، وفي عام ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م بدأ التفكير بتخطيط بلدة جديدة خارج السور من جهة الشرق، وقد أحدثت الحكومة عدة أبواب متقاربة في السور لتسهيل عملية الانتقال من المدينة إلى خارجها، وفي عام ١٣٥٠هـ/١٩٣١م كان بداية تهديم السور، إذ فُتحت منه خمس فتحات، وفي عام ١٣٥٧هـ/١٩٣٧م قُلع السور من جميع جهاته)[2].

أقول: لقد بقيت آثار مهمة من هذا السور خلف خان الشيلان ومبنى إعدادية الخورنق ولكنها مطموسة بسبب إحاطتها بالأبنية من محال وفنادق من جهة شارع السدير. ونظراً للأهمية التاريخية والتراثية والسياحية لهذا الأثر العظيم يجب إعادة بناء ما تبقى منه وإبرازه والمحافظة عليه، ولذا نقترح ما يأتي:

أولاً- استملاك وإزالة جميع المحال والفنادق التي تحيط ببقايا السور وكذلك بخان الشيلان وإعدادية الخورنق لاسيما من جهة شارع السدير، علماً انَّ هذه الأبنية مشمولة بمبدأ الإزالة لكونها تقع جغرافياً ضمن المدينة القديمة.

ثانياً- ترميم بقايا السور بشكل كامل وفقاً لهندسته المعمارية الأصلية من جدران وأبراج وفتحات المراقبة، وجعله يمتد على طول شارع السدير وبشكل مواز لإعدادية الخورنق وخان الشيلان، وبذلك سيكون السور مرئياً لكل ناظر.

---

(١) في رحاب العقيدة: ٣٠٢/١-٣٠٣.

(٢) سومر: ٢١٥ ، المجلد ٣٨، العدد ١،٢، سنة ١٩٨٢، البحث الموسوم (أسوار مدينة النجف الأشرف).

ب- المتاحف المتخصصة:

يشتمل إنشاء المتاحف المتخصصة على كثير من الفوائد الحضارية والثقافية والسياحية والاقتصادية للمحافظة، كما تسهم هذه المتاحف في تعزيز الانتماء للوطن وإيجاد علاقة بين الأجيال المختلفة من خلال نشر التراث الحضاري للمدن القديمة. وانَّ جزءاً من التوظيف الثقافي لهذه المباني يتم من خلال إقامة الندوات والمؤتمرات الثقافية في المناسبات المختلفة. ويتم تشييد المتاحف اما بإعادة تأهيل وتوظيف بعض المباني التراثية القديمة أو إنشاء أبنية جديدة بمواصفات معمارية حديثة ومحددة تخدم الغرض الذي أُنشئ من أجله المتحف.

ونرى من قراءة الوقائع التاريخية التي مرت بها مدينة النجف الأشرف انَّ أهم المتاحف المقترح إنشاؤها هي كما يأتي:

١- متحف الخزانة العلوية:

تضم خزانة العتبة العلوية المقدسة تحف نادرة وفريدة مهداة عبر القرون الماضية من الملوك والسلاطين والوزراء والإداريين وغيرهم. وقد تعرض كثير منها للتلف بسبب الإهمال وطريقة الخزن غير السليمة والتي لا تخضع لأي معايير علمية متعارف عليها في المتاحف المشهورة في العالم، كما انَّ قسماً من هذه المقتنيات قد تمت سرقته في ما مضى وما حلَّ بالمكتبة الحيدرية خير مثال.

ورد في دليل العتبة العلوية المقدسة ما نصه: (تمتلك العتبة العلوية المقدسة العديد من الموجودات التراثية التي لها من القيمة المعنوية والمادية الشئ الكثير، فباعتبار ما يحمله مرقد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من مكانة كبيرة في نفوس المؤمنين، فقد صار محلاً لتواجد الآثار الثمينة التي تتنوع بين صور ومخطوطات وأعيان يعود تاريخ بعضها إلى القرن الأول الهجري)[1].

(١) دليل العتبة العلوية المقدسة: ٣٠٧.

وذكر الدكتور صلاح الفرطوسي عن خزائن الضريح الآتي: (إنَّ قيمة ما اجتمع فيها يصعب اجتماعه في خزينة أخرى من نادر الأحجار وكريمها، وغالي التحف الفنيّة من مصوغ ومنسوج ومنحوت، ولا أغالي في القول إنها من خزائن العالم النفيسة التي لا تقدر بثمن، بالإضافة إلى ما استمدته من قيمة تاريخيّة ومعنويّة تتجاوز قيمتها الماديّة مرّات ومرّات، بل اكتسبت قيمة مضاعفة بسبب إهدائها إلى ضريح أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام)[1].

يتضح مما تقدم ضرورة إنشاء متحف الخزانة العلوية في أحد الصحون الثانوية ضمن التوسعة الجديدة للروضة الحيدرية المقدسة لعرض تلك التحف النفيسة والهدايا الثمينة أمام الجمهور لأجل رفع الوعي بقيمة وأهمية هذه الموجودات وما تشكله من إضافة معرفية حول تاريخ الفترة التي صُنعت فيها من الناحيتين الاجتماعية والفنية.

ويمكن القول انَّ هذا المتحف يمكنه أنْ يجذب آلاف الزوار والدارسين من المهتمين بهذا الشأن من جميع أنحاء العالم، وفي ذلك دعم للجوانب الدينية والثقافية والسياحية والاقتصادية، ومورد هام للتنمية المحلية والوطنية. ولا شك فإنَّ إنشاء هذا المتحف وافتتاحه سيكون من الأحداث العظيمة في تاريخ النجف الأشرف.

٢- متحف التراث النجفي:

النجف عاصمة الثوار ومصنع الأبطال، وقد حفل العصر الحديث من تاريخها المشرق بعدد من الانتفاضات والثورات الخالدة ومنها ثورة ١٩٢٠ ضد الاحتلال الإنجليزي. وكانت فتوى الثورة قد صدرت في ليلة النصف من شعبان الموافق ١٩٢٠/٥/٤ من قبل مرجع الطائفة الميرزا محمد تقي الشيرازي قدس سره المتوفى سنة ١٣٣٨هـ في كربلاء المقدسة، وقد أعلنت الثورة في النجف حينما وردت الأخبار بوقوع حادثة الرميثة في ١٩٢٠/٦/٣٠ بقيادة شعلان أبو الجون.

(١) مرقد وضريح أمير المؤمنين عليه السلام: ٣٧٦-٣٧٧.

يقع خان الشيلان في شارع الخورنق ضمن طرف البراق، قريباً من ساحة الميدان ومجاوراً لسور النجف، وهو ذو بناء ضخم يتألف من طابقين، بُني في العهد العثماني من قبل الحاج معين التجار ليكون دار ضيافة للزائرين.

وفي الآونة الأخيرة تم ترميم هذا المبنى الفريد من نوعه وإعادة تأهيله بعد أنْ مرَّ بفترة طويلة من الإهمال والتخريب المقصود الذي أدّى إلى انهيار غرفه وممراته الداخلية وتضرر واجهاته الخارجية. وقد اكتمل إعمار المبنى في سنة ٢٠١٢ وخُطّط له من قبل الحكومة المحلية في النجف الأشرف لأنْ يكون متحفاً للتراث النجفي ولثورة العشرين الخالدة.

إنَّ لخان الشيلان أهمية تاريخية كبيرة في عصيان النجف سنة ١٩١٥ ضد الهيمنة العثمانية التي استمرت لمدة تقرب الأربعمائة سنة، حيث تمت مهاجمة مقار الحكومة التركية في المدينة وعندما تحصن الموظفون والجنود في الخان تمت محاصرتهم والقبض عليهم وتسفيرهم خارج النجف إلى غير رجعة. ويُعد خان الشيلان أيضاً رمزاً للمقاومة الوطنية ضد الإحتلال البريطاني المتمثلة بثورة العشرين، إذ احتجز فيه عشرات الأسرى الإنجليز والهنود سنة ١٩٢٠ بعد انتصار الثوار في معركة الرارنجية. ولا تزال رسومات الجنود الإنجليز باقية لحد الآن في الغرف التي كانوا بها محتجزين.

أقول: يجب إبراز هذا المبنى التراثي المهم بحيث تكون الإطلالة الجانبية لخان الشيلان مباشرةً على ساحة الميدان بعد إزالة الأبنية المحاذية له. ومن المؤكد انَّ هذا المتحف سيكون مستقبلاً مقصداً للسياح ولاسيما الأجانب منهم. وسيكون هذا التأهيل عنصراً أساسياً في تفعيل مبدأ التنمية المستدامة في المحافظة.

٣- متحف التربية والتعليم:

إنَّ كثرة المتاحف في المدينة دليل صحة على الاهتمام بالتراث وأهله. وقد علمنا انَّ هناك نية لإعادة توظيف مبنى إعدادية الخورنق ليكون متحفاً للتربية والتعليم يوثق

المسيرة العلمية والتربوية لهذه المدينة المعطاء التي أنجبت وما زالت الآلاف من العلماء والأدباء والتربويين الذين أبدعوا في شتى صنوف المعرفة.

إنَّ اختيار هذا المبنى الجميل الذي جرى ترميمه مؤخراً ليكون متحفاً، فيه من الحكمة الشئ الكثير من الناحية التاريخية، فمن المعروف انَّ هذا المبنى يقع في شارع الخورنق ضمن المدينة القديمة[1]، وتم تأسيسه في عهد ملك العراق فيصل الأول عام ١٩٣٢ كأول مدرسة ثانوية في مدينة النجف الأشرف، ويُلاحظ مكتوباً في الشاهد الموجود في أعلى القاعة الشهيرة لهذا المبنى عبارة (المدرسة الثانوية ١٣٥٢هـ).

---

(١) يوجد في نهاية شارع الخورنق مقام ديني يُنسب خطأً الى إحدى بنات الإمام الحسن عليه السلام. قال عنه الدكتور حسن الحكيم : (يقع هذا المرقد في طرف البراق عند ملتقى شارع السور بشارع الخورنق، وكتب على واجهة المرقد بالكاشي الأزرق هذا قبر رقية بنت الحسن بن علي بن أبي طالب ... ولم تتحقق لنا صحة هذه النسبة الى السيدة رقية بنت الامام الحسن عليه السلام). المفصل في تاريخ النجف الأشرف: ٥٤/٣. وقال الشيخ جعفر محبوبه من قبل بهذا الصدد ما يأتي: (وفي النجف كثير من القبور المشيدة يؤمها الصبيان والنساء تُنسب لبنات الإمام الحسن عليه السلام وربما يُنذر لها ولكن لا نعلم شيئاً عن صحة هذه النسبة فإنَّ كتب التاريخ والنسب خالية عن ذلك). ماضي النجف وحاضرها: ٣٥٠/١

وقد سألت المؤرخ الدكتور حسن الحكيم عن هذا المقام، فكان جوابه: من المرجّح انَّ هذا المقام هو مرقد العلاّمة الشيخ علي بن عبدالعالي العاملي المعروف بالمحقق الكركي قدس سره المتوفى سنة ٩٤٠هـ. خاصةً وانّه كان يسكن في محلة البراق قريباً من هذا المكان. وأضاف انّه لا يوجد أي مرقد لبنات الحسن عليه السلام في عموم العراق، وانَّ ما ينسب إلى هذه المقامات هو غير صحيح.

أقول: لأهمية الموضوع نقترح أنْ تتشكل لجنة من علماء الدين الإجلاء والمختصين بتاريخ وتراث النجف، لبحث حقيقة بعض المقامات الدينية في مدينة النجف الأشرف، وتصحيح ما نُسب خطأً إلى بعضها، ولو تطلب الأمر إزالة بعضها فلا ضير في ذلك مراعاة للأمانة العلمية والدينية، ولنا في زعيم الطائفة السيد محمد مهدي بحر العلوم قدس سره أُسوة حسنة، ففي عهده تتبّع بعض الأبنية الأثرية وأظهرها وأقام عمارتها ولاسيما مقام المهدي عجّل الله فرجه ومرقد النبيين هود وصالح عليهما السلام التي تقع في وادي السلام.

٤- المتحف النجفي للفولكلور الشعبي:

إنَّ الهدف من فكرة إنشاء هذا المتحف هو استذكار المعالم الحياتية المتنوعة لسكان النجف الأوائل وعاداتهم وتقاليدهم على غرار المتحف البغدادي للفولكلور الشعبي. وفي هذا الأمر حفظ لبعض تراث هذه المدينة العريقة، إضافةً إلى ذلك يمكن لهذا المتحف أنْ يكون عامل جذب للسياح كما هو الحال في بقية المتاحف[1].

ج- النصب التذكارية:

إنَّ النُصُب تمثل الذاكرة والهوية الثقافية للمجتمعات، وفيها استذكار لانتفاضات وثورات النجف الخالدة وتكريم لأبطالها الذين ضحوا بأرواحهم من أجل المبادئ السامية. ولهذه النُصُب أهمية في بث الثقافة التاريخية بين أفراد المجتمع ودعم الناحية السياحية في المحافظة، وتضفي على المدينة جمالية عمرانية إضافية.

وينبغي أنْ تُنفّذ هذه النُصُب بمواصفات فنية ومعمارية راقية. أمّا الأماكن المقترحة لها فترجع إلى الاعتبارات التاريخية والأدلة المنطقية. ويتطلب الأمر من الجهات المسؤولة تشكيل لجنة من الخبراء من ذوي الاختصاص بالتاريخ والتراث لتحديد الأماكن الصحيحة لهذه النُصُب.

وبناءاً على ماتقدم نقترح إنشاء النُصُب التذكارية الآتية:

١- نصب ثورة النجف:

إنَّ ثورة النجف سنة ١٩١٨ كانت أول ثورة يشهدها العراق ضد الاحتلال البريطاني، وهي التي مهدت لاندلاع الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠ والتي كان من

---

(١) سبق للأستاذ طالب علي الشرقي أنْ صنّف كتاباً طريفاً أسماه (النجف الأشرف عاداتها وتقاليدها) يمكن الاستفادة منه كثيراً في هذا الموضوع، حيث تطرق فيه إلى عادات أهل النجف قديمها وحديثها وخاصةً في أفراحهم وأحزانهم.

أبرز نتائجها إقامة الدولة العراقية سنة ١٩٢١ حيث أصبح فيصل بن الحسين ملكاً على العراق كما هو معروف.

قال المؤرخ عبد الرزاق الحسني: (أمّا النجف، التي كانت قذىً في عين السياسة البريطانية كما يصفها السير برسي كوكس بسبب مركزها الديني الواسع النطاق، وتأثير علمائها على جماهير الشعب، فقد كانت أول بلدة تحسست بثقل السلطة الأجنبية، وأول مدينة عراقية فكرت بالتخلص من الاستعمار البريطاني، بالنظر إلى ما كانت قد تشبعت به من روح الحرية والنزوع إلى الديمقراطية، بسبب ما كانت تلقاه من دروس متواصلة عن فلسفة نهضة الإمام أبي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام، وبسبب كونها مهد العلماء ومركز الروحانية)[1].

وعن هذه الثورة وما ترتب عليها من معطيات ثمينة قال الشيخ جعفر محبوبه: (ونستطيع أنْ نقول بلا مجازفة انَّ ثورة النجف هذه هي الخطوة الأولى للقضية العراقية والبذرة الوحيدة لنتاج الفكرة الفراتية واتجاهها نحو استقلال العراق. إذ النجف هو المركز الروحي والعاصمة الكبرى لعموم الشيعة وقد أعطت بموقفها هذا درساً شافياً ومنهجاً واضحاً نفعها في نيل مآربها وتحقيق رغائبها في فك شعبها من رق الاستعمار)[2].

اختبأ الثوار بمقبرة السيد علوي الغريفي البحراني ليلة الهجوم، وبدأت الثورة عندما تم في فجر يوم ١٩١٨/٣/١٩ مهاجمة دار الحكومة الإنجليزية الذي هو في الأصل خان عطية أبو كلل الذي تم الاستيلاء عليه من قبل البريطانيين. وقاد الهجوم الذي تألّف من عشرين رجلاً بطل الثورة وقائدها الحاج نجم البقال الذي قام بنفسه بقتل حاكم النجف الكابتن مارشال.

وبعد الحصار الشديد على النجف لمدة تقرب ٤٥ يوماً وقصفها من قبل القوات البريطانية، تم إخماد نار الثورة والقبض على الثوار ومن ثمَّ سجنهم. وتمت في مدينة

(١) الثورة العراقية الكبرى: ٦٩-٧٠.

(٢) ماضي النجف وحاضرها: ٣٥٠/١.

الكوفة محاكمة الثوار المتهمين بقتل الكابتن مارشال وكذلك الذين تصدوا إلى محاربة القوات الانجليزية بعد الثورة. وقضت المحكمة البريطانية بإعدام عدد من الثوار ونفي آخرين إلى الهند بصفة أسرى حرب.

وفي صباح يوم ١٩١٨/٥/٣٠ الموافق للعشرين من شهر شعبان سنة ١٣٣٦هـ جرت في أحد خانات الكوفة عملية إعدام أبطال الثورة الأحد عشر وهم كل من الحاج نجم البقال الدليمي والزعيم كاظم صُبّي الخالدي ومحسن أبو غنيم وعباس علي الرماحي وعلوان علي الرماحي وجودي ناجي ومجيد مهدي دعيبل وكريم سعد راضي وأحمد سعد راضي ومحسن سعد راضي وسعيد (خادم الحاج سعد راضي).

قال الدكتور علي الوردي ما نصه: (نُقلت جثث المشنوقين إلى جامع الكوفة حيث غُسّلت وكُفّنت، وفي مساء ذلك اليوم نُقلت في عربات الترامواي بصحبة نفر من الشبانة إلى مقبرة دار السلام، فدُفنت في موضع يقع بين مقبرة الهنود ومقبرة السيد عليوي البحراني، وهو موضع قريب من الخان الذي قُتل فيه الكابتن مارشال)[1].

وكان عدد الأسرى أكثر من مائة شخص، من أبرزهم السيد محمد علي بحر العلوم والشيخ محمد جواد الجزائري والزعيم عطية أبو كلل والزعيم سعد الحاج راضي، وقد تم نفيهم بالباخرة إلى الهند ما عدا بحر العلوم والجزائري اللذان تم نفيهما إلى الأحواز بعد تدخل الشيخ خزعل أمير المحمرة في أمرهما نظراً لمكانتهما الدينية.

يحدثنا الشيخ محمد حسين حرز الدين عما جرى آنذاك للمعتقلين فقال: (حُمل المنفيّون في باخرة حربية متوجهة إلى الهند، وعليها عدد كبير من الأسرى الأتراك، فحشروهم في هذه الباخرة بعد أنْ صفدوهم بالقيود والأغلال إلى منفاهم في قرية بشمال الهند تسمّى "سمر بور"... أمّا السيد محمد علي بحر العلوم فقد صار اعتقاله

(١) لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث: ٥ ب /٣١٨.

لدى الشيخ خزعل أمير المحمرة حينذاك، كما لجأ إليه العلاّمة محمد جواد الجزائري الذي قرّرت السلطة المحتلّة نفيه من العراق، ومكث الإثنان في المحمّرة حتى انتهاء الحرب العالمية الأولى)[1].

ونظراً للأهمية التاريخية لثورة النجف عام ١٩١٨، نقترح إنشاء "نصب ثورة النجف" تخليداً لذكرى هذه الثورة وأبطالها، ونقترح أيضاً أنْ يُسمّى التقاطع القريب من مرقد السيد العلوي بإسم "ساحة ثورة النجف"، وأنْ يُسمّى الشارع الذي يفصل مرآب النجف الداخلي عن مقبرة وادي السلام والذي ينتهي بساحة ثورة النجف بإسم "شارع الحاج نجم البقال" تكريماً لهذا القائد الشهيد. وكذلك نقترح أنْ يُسمّى الشارع الذي يفصل بداية الجِدَيْدَة الأولى (خان المخضر) عن موقع مبنى فندق بوخمسين التجاري - الذي هو الآن قيد الإنشاء - بإسم "شارع الشيخ جعفر محبوبه" تكريماً لهذا العلاّمة المحقق وأعماله الجليلة في خدمة تاريخ وتراث النجف الأشرف، وانَّ موسوعته الشهيرة (ماضي النجف وحاضرها) خير دليل على ذلك.

٢- نصب ثورة العشرين:

إنَّ نصب ثورة العشرين له أهمية كبيرة في وجدان المجتمع النجفي لأنّه يرمز لفترة مهمة من تاريخ العراق وجهاده ضد المستعمر الإنجليزي عام ١٩٢٠. وأُزيل هذا النصب الذي كان موقعه في ساحة ثورة العشرين عندما تم تنفيذ المجسرات. وقد كان إنشاء هذه المجسرات أمراً ضرورياً لتسهيل حركة المركبات ولاسيما باتجاه المدينة القديمة.

وكما هو معلوم فقد كان النصب عبارة عن طوق يشير إلى مدينة النجف الأشرف المدورة المحاطة بالسور. وكان مفترضاً بعد إنشاء النصب أنْ يُوضع تمثالاً في وسطه يستند تصميمه إلى الأهزوجة الشعبية المعروفة (الطوب أحسن لو مكواري)،

(١) تاريخ النجف الأشرف: ٣/٢٥٦-٢٥٧.

على قاعدة فيها لوحة برونزية يظهر فيها المرجع الشيخ محمد تقي الشيرازي قدس سره حاملاً لفتوى الجهاد وأمامه حشد بشري من الثوار يحمل مختلف أنواع الأسلحة. ولكن لم يُصنع ولم يُوضع التمثال في مكانه قط خلال عهد النظام البائد لأسباب طائفية لا تخفى على أحد.

ولعلّ من المناسب أنْ نذكر هنا انّهُ اعترض في وقتها بعض الفنانين والمثقفين على هذا التمثال لوجود بعض الإشكالات الفنية في تصميمه. ولكن الأهم من هذه الإشكالات الفنية هي النظر إلى الناحية الشرعية ورأي وفتاوى علماء الدين المجتهدين قدس الله أسرارهم في جواز أو عدم جواز صنع التماثيل ونصبها في الساحات العامة والمتاحف، والتي ينبغي احترامها وإتباعها وفقاً لمنهج التقليد المتبع في مذهب أهل البيت صلوات الله عليهم.

٣- نصب انتفاضة النجف الصفرية:

حدثت انتفاضة صفر عام ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ضد النظام البعثي البائد عندما أمر بمنع السير مشياً إلى مرقد أبي عبدالله الحسين عليه السلام في العشرين من صفر، وهي ما تعارف عليها عندنا بزيارة الأربعين، كواحدة من ممارساته المنهجة يومئذ والتي كان يهدف من ورائها تصفية الفكر الشيعي في العراق.

ولم يكترث أبطال النجف لتحذيرات أجهزة القمع البعثية، فتجمعوا في المدينة القديمة وطافوا حول المرقد المقدس لأمير المؤمنين عليه السلام مرددين الشعارات الثورية المستمدة من بطولة سيد الشهداء أبي عبدالله الحسين عليه السلام وتوجهوا بعدها نحو كعبة الأحرار كربلاء المقدسة. وخرجت المواكب الراجلة من النجف مرددة أهزوجة موحدة باللهجة الدارجة تقول:

يا أهالي النجف يا حي وهَلَه كوموا نتلكة العقيلة بكـــربلا

ابتدأت الصدامات بين الزوار والأجهزة القمعية في ناحية الحيدرية في منتصف المسافة بين النجف وكربلاء، فاستشهد زائر شاب وهو السيد عبدالامير الميّالي وجُرح

البعض، وحصلت ذروة الأحداث في المنطقة المحصورة بين خان النص وخان النخيلة، حيث حوصر الزوار بالدبابات وحلقت فوقهم الطائرات لتفريقهم ومنعهم من مواصلة السير صوب كربلاء الحسين عليه السلام.

وجرى بعد ذلك اعتقال عدد كبير من الزوار، وتم زجّهم في السجون ليتعرضوا لأشد أنواع التعذيب والتنكيل والانتهاكات النفسية والجسدية. وأُعدمَ تسعة من الثوار وهم وهاب الطالقاني وصاحب أبو كلل ويوسف الأسدي وجاسم الايرواني وعباس عجينه وكامل ناجي مالو وغازي خوير ونجاح محمد كريم ومحمد البلاغي.

ومن المناسب أنْ نذكر هنا بعض الأبيات للشاعر عباس الترجمان وهو يصف الخصائص الفريدة لأهل مدينة النجف وما جبلوا به من شجاعة نادرة، إذ قال:

ماذا أقول في أناس سكنوا ... وادي الحمى وبالمعالي افتتنوا
لم يعلموا إلاّ مع البرهان ... لم يعملوا إلاّ مع الإتقان
أصولهم كريمة شريفة ... فروعهم قويمة ظريفة
طباعهم جياشة رقيقة ... أخلاقهم في حسنها عريقة
يدافعون عن حمى الإسلام ... بالصارم البتار والأقلام
قد حاربوا المستعمرين الكفرة ... وقاوموا حكم الطغاة الفجرة
وقدموا لذلك الضحايا ... وواجهوا السجون والمنايا
لم يخضعوا لحكم طاغ جائر ... لا يرتضون سيرة المكابر[1]

إنَّ انتفاضة صفر الخالدة هي إحدى الحركات التحررية الهامة في تاريخ النجف الأشرف في العصر الحديث التي أرادت رفع المظلومية والتمييز الطائفي والاضطهاد الفكري عن شيعة أهل البيت عليهم السلام، وانَّ إقامة نصب لهذه الانتفاضة هو أقل تكريم لها يُخلد ذكراها وذكرى أبطالها وشهداءها الشجعان.

(١) الأرجوزة النجفية: ١١٣.

٤- نصب الانتفاضة الشعبانية:

إنّه لمن المهم أنْ يقام هذا النصب لتخليد ذكرى الانتفاضة الشعبانية سنة ١٩٩١ التي تُعد أعظم الانتفاضات في تاريخ العراق الحديث. وقد حدثت هذه الانتفاضة عقب كارثة غزو الكويت. ولولا التآمر الدولي ضد شيعة أهل البيت عليهم السلام لأعطت هذه الانتفاضة الخالدة ثمارها في حينها. وكان ثمن بقاء صدام في السلطة هو إبادة مئات الآلاف من شيعة أهل البيت عليهم السلام الذين امتلأت بهم المقابر الجماعية في وسط وجنوب العراق. ولو أردنا الكلام عن هذه الانتفاضة لأطلنا، وإنَّ الأمر يستحق منا أنْ نكتب فيها وفي غيرها كتاباً مستقلاً إنْ سمحت الظروف بإذن الله تعالى.

الخاتمة

إننا نعتقد انَّ تصميم قُطْب الدائرة هو الأمثل لتطوير الروضة الحيدرية المقدسة، وانّهُ سيؤدي وظيفته المرجوة منه بشكل تام إنْ شاء الله تعالى. وإضافةً إلى البعد الوظيفي فانَّ هذا التصميم العقائدي يوازن بين الشكل المادي والمضمون الرمزي، فهو تعبير للمكونات المادية الوظيفية والمتطلبات المعنوية العقائدية. وانَّ تنفيذ التوسعة الجديدة للصحن الحيدري الشريف وفقاً لهذا التصميم بإذنه تعالى سينتج عمارة إسلامية متميزة تضم عناصر مركبة عدة أهمها الصفاء في التعبير وجمال المنظر بما يليق بالمرقد العلوي المطهر.

إنَّ تشييد الصحون الجديدة وما تضمه من قباب وعقود وأعمدة وأبواب ومآذن وغيرها من العناصر المعمارية الأخرى لهذا التصميم ينبغي أنْ يتم إنْ شاء الله تعالى وفقاً لقواعد هندسية ثابتة وأسس علمية محسوبة بدقة، ونسب جمالية محددة، وبفن معماري ذي طابع إسلامي أصيل من قبل معماريين أصحاب خبرة في هذا المجال.

ونحن نعتقد إنَّ انجاز هذه التوسعة الشاملة للروضة الحيدرية المقدسة، فيها رضا الله ورسوله وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين. لذلك فإنَّ أية مؤسسة حكومية أو سلطة دينية داخل العراق وخارجه، سينال رضاها هذا المشروع الربّاني العملاق الذي يتمثل بتطوير شامل للروضة المقدسة تعم بركاته ومنافعه الاجتماعية الكثيرة محافظة النجف الأشرف والعراق كافةً. ونُذكِّر الجميع بأنَّ هذا الأمر أصبح مطلب المسلمين من الشيعة ومحبي خير الأوصياء عليه السلام في كل العالم.

ومن جانب آخر فانَّ الحكومة العراقية - بما وهبها الله عزَّ وجلَّ من إمكانات مادية- يزيدها فخراً أنْ تقوم بدورها في توفير مصادر مالية ثابتة لتمويل ودعم مشروع التطوير. وكذلك يجب أنْ يكون بيع العقارات بالمدينة القديمة لصالح العتبة العلوية المقدسة حصراً لأجل إنجاح الخطة المقترحة للتوسعة الشاملة للروضة الحيدرية المقدسة وتقليص زمن تنفيذها إنْ شاء الله تعالى.

إنَّ تنفيذ هذه التوسعة المباركة لا يتم إلاّ بتظافر كل الجهود الخيرة التي تتعامل بحسن النيات من أجل إنجاز هذا العمل بأسرع وقت ممكن. ويمكننا القول بكل ثقة انَّ مدة ثمان سنوات هي كافية لإكمال هذا المشروع المبارك بحيث تكون محافظة النجف الأشرف مهيأة لتصبح عاصمة للثقافة الإسلامية بحلول عام ٢٠٢٠ بإذن الله تعالى.

إنَّ وصايا أمير المؤمنين عليه السلام لولاته في الأقاليم يجب أنْ تكون منهاج عمل مُتّبع من قبل مسؤولينا الكرام، ولاسيما عهده الطويل إلى مالك الأشتر النخعي رضي الله عنه حينما بعثه حاكماً على مصر. يقول الإمام علي عليه السلام: ((هذا ما أَمَرَ به عَبدالله عَليٌ أميرُ المُؤمنينَ، مالكَ بنَ الحارث الأشترَ في عَهده إليه حينَ وَلاّهُ مِصْرَ: جِبايَةَ خَراجها، وجِهادَ عَدُوِّها، واستصلاحَ أهلها، وعمارةَ بلادها.

أَمَرَهُ بتقوى الله، وإيثارِ طاعته، واتِّباعِ ما أَمَرَ به في كتابه من فرائضه وسُننه التي لا يَسعدُ أحَدٌ إلاّ باتباعها، ولا يَشقى إلاّ مَعَ جُحُودها وإضاعَتها، وأَنْ يَنصُرَ اللهَ سُبحانَهُ بقلبه ويَده، ولسانه، فإنَّهُ – جَلَّ اسْمُهُ – قَدْ تَكفَّلَ بنَصرِ مَنْ نَصَرَهُ، وإعزازِ مَنْ اعزه. وأَمَرَهُ أَنْ يَكسرَ نَفسَهُ منَ الشَّهَواتِ، ويَزَعَها عندَ الجَمَحاتِ، فإنَّ النَّفسَ أَمّارَةٌ بالسُّوءِ إلاّ ما رَحِمَ اللهُ.

ثمَّ اعلمْ يا مالكُ، أَني قد وجهتُكَ إلى بلادٍ قد جَرَتْ عليها دُولٌ قبلَكَ، من عدلٍ وجَورٍ، وأَنَّ الناسَ ينظرونَ منْ أُمورِكَ في مثلِ ما كُنتَ تنظُرُ فيه منْ أُمورِ الوُلاةِ قبلَكَ، ويقولونَ فيكَ ما كُنتَ تقولُ فيهِمْ، وإنّما يُستدلُّ على الصالحينَ بما يُجري اللهُ لهُمْ على ألسُنِ عبادِه، فليكُنْ أَحبَّ الذَّخائرِ إليكَ ذخيرةُ العملِ الصالحِ...))[1].

ومن هنا يمكن القول إذا كانت خطة الإعمار في محافظة النجف الأشرف تستهدف من ضمن أعمالها تطوير المؤسسات، فلا نعتقد انَّ هناك مؤسسة في النجف أهم من المرقد المطهر لعلي المرتضى عليه السلام، لأنَّ النجف الأشرف وُجدت وتشرفت بوجود جثمانه الطاهر صلوات الله عليه.

(١) نهج البلاغة: ٤٥٧-٤٥٨.

إنَّ التأييد الشعبي والجهد الحكومي أمر جوهري في نجاح أي مشروع، لذا فإنَّ التعاون المشترك بين الجميع يمكنه تحويل حلم التوسعة إلى واقع عملي بإذن الله تعالى. وبناءاً على ما تقدم نلتمس من قادتنا من رجال الدين والسياسيين ومن إخواننا المسؤولين والمثقفين وكل أفراد المجتمع العراقي، نلتمس منهم نبذ الخلافات فيما بينهم ودعم هذا المشروع المبارك من أجل هدف واحد هو تطوير شامل للروضة الحيدرية المقدسة.

ومن جانب آخر أنظروا كيف تستقبلون وتهيئون مكان عبادة بقية الله في أرضه الذي طال انتظاره إمامنا الحجّة بن الحسن أرواحنا فداه. وسبق لنا أنْ أوردنا لكم في مقدمة هذه الدراسة حديث الإمام جعفر الصادق عليه السلام عندما صرح بأنَّ الكوفة ستكون عاصمة المصلح العالمي، ومجلس حكمه جامع الكوفة، وبيت ماله مسجد السهلة، وموضع عبادته ومناجاته مع الله الروضة الحيدرية المقدسة عند جده إمام المتقين صلوات الله عليه.

ويجب أنْ نعطي هذه القضية أهمية خاصة وغير عادية في الوقت الحالي بالذات، باعتبار انَّ الاعتقاد بالوجود المقدس والخروج الحتمي للإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف واجب إسلامي، كما اننا لسنا لوحدنا المنتظرين لظهور القائم المهدي عليه السلام في يومه الموعود، بل أُعطيت هذه المسألة الكثير من الأهمية عند معتنقي الأديان الأخرى، لأنَّ المصلح العالمي مطلب البشرية جمعاء لإنقاذهم من الظلم والتسلط، وإقامة العدل والمحبة بين الناس في بقاع الأرض.

ونقول في الختام انَّ دافعنا الرئيس للمضي في انجاز هذه الدراسة كان صدق النية والحب والطاعة والولاء المطلق لصاحب المذهب أمير المؤمنين الإمام علي صلوات الله عليه. فبعد استخارة الله والعزم والتوكل عليه ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ عملنا وفقاً لقدراتنا المتاحة لنا، وبتوفيق من الباري عزَّ وجلَّ كان اكتمال الدراسة ولله الحمد والمِنّة في مدينة النجف الأشرف في يوم ١٠ تموز ٢٠١٢م الموافق

٢١ رمضان ١٤٣٣هـ، تزامناً مع ذكرى استشهاد الوصي الأعظم أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، ولسان حالي يردد أبيات الصاحب بن عباد:

مواهب الله عندي جاوزت أملي وليس يبلغها قولي ولا عملي
لكنّ أشرفها عندي وأفضلها ولايتي لأمير المؤمنين علي

المصادر

القرآن الكريم.

الأُرجوزة النجفية: عباس الترجمان. دار القارئ، بيروت، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

آداب الكوفة: مجلة تصدر عن كلية الآداب – جامعة الكوفة، النجف الأشرف. العدد١ سنة ٢٠٠٨، والعدد ٩ سنة ٢٠١١.

الإرشاد: محمد بن محمد بن النعمان العكبري (المفيد). مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

إرشاد القلوب: الحسن بن أبي الحسن محمد الديلمي. تحقيق هاشم الميلاني. دار الأُسوة، طهران، ١٤٢٦.

أسباب نزول القرآن: علي بن أحمد الواحدي. تحقيق كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

الأمالي: محمد بن الحسن الطوسي. قسم الدراسات الإسلامية/ مؤسسة البعثة، قم، ١٤١٤هـ.

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي. دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: محمد باقر المجلسي. تحقيق يحيى العابدي الزنجاني و عبدالرحيم الرباني الشيرازي. مؤسسة الوفاء، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

بصائر الدرجات: محمد بن حسن بن فروخ الصفار. شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى: محمد غنيمة. دار الطباعة المغربية، تطوان، ١٩٥٣.

تاريخ العراق بين احتلالين: عباس العزاوي. شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م.

تاريخ النجف الأشرف: محمد حسين حرز الدين. مطبعة نگارش، قم، ١٤٢٧هـ.

تحف العقول عن آل الرسول: الحسن بن علي بن شعبة الحراني. مؤسسة المراقد المقدسة العالمية، بيروت، ٢٠١٢.

تحفة العالِم في شرح خطبة المعالم: جعفر بحر العلوم. مركز تراث السيد بحرالعلوم، النجف الأشرف، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

تفسير العياشي: محمد بن مسعود بن عياش السمرقندي العياشي. تحقيق هاشم الرسولي المحلاتي. المكتبة العلمية الاسلامية، طهران.

التراث الحضاري في المدينة العربية المعاصرة: عبدالباقي ابراهيم. مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، القاهرة.

تراث النجف: مجلة تصدر عن مؤسسة تراث النجف الحضاري والديني، النجف الأشرف، العدد ١، ٢٠٠٩.

تفصيل وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة: محمد بن الحسن الحر العاملي. مركز الامام الحسن المجتبى للتحقيق والدراسات، مطبعة الأميرة، بيروت، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

تلخيص كتاب أئمة أهل البيت في كتب أهل السنة: حكمت الرحمة. المجمع العالمي لأهل البيت، مطبعة اعتماد، قم، ١٤٢٨هـ.

تهذيب الأحكام: محمد بن الحسن الطوسي. تحقيق محمد جعفر شمس الدين. دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

الثورة العراقية الكبرى: عبدالرزاق الحسني. دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٢.

جامع السعادات: محمد مهدي بن أبي ذر النراقي. مكتبة دار المجتبى، النجف الأشرف. مطبعة ألوان، بيروت، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

الجواهر السنية في الأحاديث القدسية: محمد بن الحسن الحر العاملي. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٨.

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أحمد بن عبدالله الأصبهاني (أبو نعيم). دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.

حياة الحيوان الكبرى: كمال الدين محمد بن موسى الدميري. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠١١.

حياة سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام : باقر شريف القرشي. دار جواد الأئمة، بيروت، ٢٠٠٩.

حياة محمد صلى الله عليه وآله: باقر شريف القرشي. دار جواد الأئمة، بيروت، ٢٠٠٧.

دراسة في طبيعة المجتمع العراقي: علي الوردي. المكتبة الحيدرية.

دلائل الإمامة: محمد بن جرير الطبري. قسم الدراسات الإسلامية/ مؤسسة البعثة، قم، ١٤١٣هـ.

دليل العتبة العلوية المقدسة: قسم الشؤون الفكرية والثقافية/ العتبة العلوية المقدسة. دار الرافدين، بيروت، ٢٠١١.

دليل المملكة العراقية لسنة ١٩٣٥-١٩٣٦: مطبعة الأمين، بغداد، ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م.

دليل النجف الأشرف: عبدالهادي الفضلي. مطبعة الآداب، مكتبة التربية، النجف الأشرف، ١٣٨٥هـ.

رحلة ابن بطوطة (تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار): محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي (ابن بطوطة). دار صادر، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

رحلة ابن جبير: أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي. دار الكتاب اللبناني، بيروت.

الرحلة العلاجية لسماحة السيد السيستاني وأزمة النجف: حامد الخفاف. دار المؤرخ العربي، بيروت، ٢٠١٢.

رحلة المنشئ البغدادي: محمد بن أحمد الحسيني البغدادي. نقلها عن الفارسية عباس العزاوي، شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م.

زاويتا الزوال والقبلة في العتبة العلوية المقدسة: وميض الدين الغريفي. مؤسسة الجوادين للدراسات الاسلامية، مطبعة الأخوين، بغداد، ٢٠٠٩.

الزهراء سيدة نساء العالمين: ناصر مكارم الشيرازي. مدرسة الامام علي بن أبي طالب، مطبعة سليمان زاده، قم، ١٤٢٨هـ.

سنن ابن ماجة: محمد بن يزيد القزويني (ابن ماجة). تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت، دار الفكر.

سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث السجستاني. تحقيق سعيد محمد اللحام. دار الفكر، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي. تحقيق احمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

سومر: مجلة عراقية تصدر عن المديرية العامة للآثار، بغداد. المجلد ٣٨، العدد ١-٢، سنة ١٩٨٢م.

شرح نهج البلاغة: عبدالحميد بن هبة الله المدائني (ابن أبي الحديد المعتزلي). مؤسسة الصفاء للمطبوعات، بيروت، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

الشعائر الحسينية ومراسيم العزاء: في ضوء فتاوى بشير حسين النجفي. مؤسسة الأنوار النجفية، مطبعة دار الضياء، النجف الأشرف، ٢٠١٠.

صحيح البخاري: محمد بن اسماعيل البخاري. بيروت، دار الفكر، ١٩٨١.

صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري. بيروت، دار الفكر، ١٩٩٩.

ضياء الصالحين: محمد صالح الجوهرجي. دار الأندلس، بيروت، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية: محمد حسين كاشف الغطاء. تحقيق جودت القزويني. بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

علل الشرائع: محمد بن علي بن بابويه القمي (الصدوق). مؤسسة المراقد المقدسة العالمية، بيروت.

عمارة العتبات المقدسة; نظرة في الجوانب الروحية: علي ناجي. قسم الشؤون الفكرية والثقافية/العتبة العلوية المقدسة، النجف الأشرف، ٢٠٠٨.

العمران والبنيان في منظور الإسلام: يحيى وزيري. وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، الكويت، ٢٠٠٨.

عنوان الشرف في وشي النجف: محمد طاهر السماوي. مطبعة الغري، النجف الأشرف، الطبعة الأولى، ١٣٦٠هـ/١٩٤١م.

عيون أخبار الرضا عليه السلام: محمد بن علي بن بابويه القمي (الصدوق). منشورات الشريف الرضي، قم.

الغيبة: محمد بن إبراهيم الكاتب (ابن أبي زينب النعماني). تحقيق فارس حسون كريم. دار الجوادين، بيروت، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين علي عليه السلام: غياث الدين عبدالكريم بن طاووس. تحقيق محمد مهدي نجف، قسم الشؤون الفكرية والثقافية/ العتبة العلوية المقدسة، النجف الأشرف، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة عليهم السلام: علي بن محمد المالكي المكي (ابن الصباغ). دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

فضل الكوفة وفضل أهلها: محمد بن علي العلوي الحسني. تحقيق محمد سعيد الطريحي. مؤسسة أهل البيت، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

فلسفة الوسطية الإسلامية والتجريد في العمارة الإسلامية: حسن العواودة. أطروحة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ٢٠٠٩.

في بلاد الرافدين; صور وخواطر: الليدي درور. ترجمة فؤاد جميل، بغداد، الطبعة الأولى ١٩٦١.

في رحاب عاشوراء: محمد مهدي الآصفي. مطبعة مجمع أهل البيت، النجف الأشرف، ٢٠٠٨.

في رحاب العقيدة: محمد سعيد الحكيم. دار الهلال، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

الكافي: محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني. تحقيق علي أكبر الغفاري. دار الكتب الاسلامية، طهران، الطبعة الثالثة، ١٣٨٨هـ.

كامل الزيارات: جعفر بن محمد بن قولويه القمي. دار القارئ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

الكامل في التاريخ: ابن الأثير. دار صادر، بيروت، ١٩٦٦.

كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي. تحقيق بكري حياني و صفوة السقا. مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري. دار صادر، بيروت، ١٤٠٥.

لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: علي الوردي. دار بهجة المعرفة، بيروت.

ماضي النجف وحاضرها: جعفر محبوبه. مطبعة الآداب، النجف الأشرف، الطبعة الثانية، ١٩٥٨.

مجمع البيان في تفسير القرآن: الفضل بن الحسن الطبرسي. دار الأسوة، طهران، ١٤٢٦هـ.

معجم البلدان: ياقوت بن عبدالله الحموي. دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

مثير الأحزان: نجم الدين محمد بن جعفر بن نما الحلي. المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م.

مرقد وضريح أمير المؤمنين عليه السلام: صلاح مهدي الفرطوسي. قسم الشؤون الفكرية والثقافية/ العتبة العلوية المقدسة، النجف الأشرف، الطبعة الثانية، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

مروج الذهب ومعادن الجوهر: علي بن الحسين المسعودي. دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

مساجد ومعالم في الروضة الحيدرية المطهرة: عبدالمطلب الموسوي الخرسان. قسم الشؤون الفكرية والثقافية/ العتبة العلوية المقدسة، مطبعة العراق، الديوانية، ١٤٣٠هـ.

المستدرك على الصحيحين: الحاكم النيسابوري. دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦هـ.

المسند: أحمد بن حنبل الشيباني. تحقيق أحمد محمد شاكر. دار الحديث، القاهرة، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

مسند الطيالسي: سليمان بن داود الطيالسي. بيروت، دار الحديث.

مشارق أنوار اليقين في حقائق أسرار أمير المؤمنين عليه السلام: رجب بن محمد البرسي. تحقيق جمال عبدالغفار المازندراني. منشورات المكتبة الحيدرية، قم، ١٤٢٦هـ.

مشهد الإمام: محمدعلي جعفر التميمي. منشورات المكتبة الحيدرية، قم، ١٤٣١هـ.

معارف الرجال: محمد حرز الدين. تحقيق محمد حسين حرز الدين. مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٦٤.

المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي عليه السلام: علي الكوراني العاملي. دار المرتضى، بيروت، ٢٠٠٩.

المعجم الكبير: سليمان بن أحمد الطبراني. تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي. مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية.

مفاتيح الجنان: عباس القمي. تحقيق خليل رزق العاملي. دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧.

المفصل في تاريخ النجف الأشرف: حسن عيسى الحكيم. مكتبة الحيدرية، قم، ١٤٢٨هـ.

منازل الآخرة: عباس القمي. ترجمة حسين كوراني. دار الكتاب الإسلامي، قم، الطبعة الخامسة، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

مقتل الإمام الحسين عليه السلام: عبدالرزاق الموسوي المقرّم. مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٩م.

ملامح من عبقرية الإمام عليه السلام: مهدي محبوبة. قسم الشؤون الفكرية والثقافية/ العتبة العلوية المقدسة، العارف للمطبوعات، بيروت، ٢٠١٢.

موسوعة العتبات المقدسة: جعفر الخليلي. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٦٥.

موسوعة الغدير في الكتاب والسنة والأدب: عبدالحسين الأميني النجفي. تحقيق مركز الغدير للدراسات الاسلامية. نشر مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي، قم، الطبعة الخامسة ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس: عباس بن علي المكي. المكتبة الحيدرية، قم، ١٤١٧هـ.

نزهة المشتاق في إختراق الآفاق: الشريف الإدريسي. عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

نظريات العمارة: عرفان سامي. مؤسسة طباعة الألوان المتحدة، القاهرة، ١٩٦٧.

نظرية الوظيفية في العمارة: عرفان سامي. دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٦.

نهج البلاغة: شرح الشيخ محمد عبده. تحقيق فاتن محمد خليل اللبون. مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة الأولى.

ينابيع المودة: سليمان بن ابراهيم القندوزي الحنفي. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

الفهرس

الإهداء ٥
تقديم ٧
المبحث الأول: المقدمة ١١
مدينة النجف الأشرف ١٣
أهمية مدينة النجف الأشرف ١٦
المرقد العلوي المطهر ٣٢
عمارة المرقد العلوي المطهر ٣٧
العمارات الرئيسة للمرقد العلوي المطهر ٤٠
العمارة الأولى- عمارة هارون العباسي ٤٠
العمارة الثانية- عمارة الملك محمد بن زيد الداعي الحسني ٤٨
العمارة الثالثة- عمارة الاميرعبدالله بن حمدان الحمداني ٤٩
العمارة الرابعة- عمارة الزعيم عمر بن يحيى العلوي ٥٠
العمارة الخامسة- عمارة السلطان عضد الدولة فناخسرو البويهي ٥١
العمارة السادسة- عمارة الأمير حسن بن نويان الجلائري ٥٤
العمارة السابعة- عمارة الشاه صفي الصفوي ٥٥

المبحث الثاني: منهجية الدراسة ٧٧
مشكلة الدراسة ٧٩
أهمية الدراسة ٧٩
هدف الدراسة ٧٩

المبحث الثالث:الأسباب الموجبة لتطوير الروضة الحيدرية المقدسة .. ٨١
أولاً. حسن أداء الولاية..... ٨٣
ثانيا. الحفاظ على التراث العمراني الإسلامي بداخل المدينة القديمة ٨٧
ثالثا. وضع الحلول لمشكلات ومصاعب الزيارة ٩٥

المبحث الرابع: تصميم قطب الدائرة ٩٧
أولا. تطوير الروضة الحيدرية المقدسة ١٠١
١. تطوير الصحن الحيدري الشريف الحالي ١٠١
أ. إعادة التناظر الهندسي الصحيح لأبواب الصحن الحيدري الشريف ١٠٢
ب. تظليل الصحن الحيدري الشريف ١٠٨
ج. تنظيم دخول الزائرين الى الحرم المقدس ١١٥
٢. إنشاء الصحن الحيدري الدائري الجديد ١٢٠
الجوانب المادية في تصميم قطب الدائرة ١٢١
الوظيفية في الصحن الحيدري الدائري الجديد ١٢٤
الجوانب الروحية في تصميم قطب الدائرة ١٢٨
الرمزية في الشكل الدائري للصحن الجديد ١٢٩
١. الامام علي عليه السلام هو قطب رحى الإسلام ١٣٠
٢. الامام علي عليه السلام هو قطب دائرة الوجود ١٣٧
٣. وَلاية الإمام علي عليه السلام هي الحصن الحصين ١٤٤
الرمزية في عدد الأبواب الإثني عشر ١٤٦
الرمزية في عدد المآذن التسع ١٥١

المبحث الخامس: المنافع الاجتماعية لتطوير الروضة الحيدرية المقدسة وفقاً لتصميم قطب الدائرة ١٥٥
١. خدمة الزوار الكرام ١٥٧
٢. تنظيم حركة المواكب الدينية ١٦٤
٣. تطوير التخطيط الحضري لمدينة النجف الأشرف القديمة ١٦٧
أ. إنشاء الأسواق الكبيرة ١٧٩
ب. تطوير مقبرة وادي السلام ١٨٢
ج. توسيع شارع الإمام علي عليه السلام ١٩٣
د. تطوير الخدمة الفندقية ١٩٤
هـ. تطوير مرآب النجف الداخلي ١٩٥
٤. التنمية المستدامة من التراث العمراني ١٩٦
أ. سور النجف الأثري ١٩٧
ب. المتاحف المتخصصة ٢٠١
ج. النُصُب التذكارية ٢٠٥
الخاتمة ٢١٣
المصادر ٢١٧

السيرة الذاتية والعلمية للمؤلف

وُلد الحاج الدكتور عبدالهادي عباس الابراهيمي في مدينة النجف الأشرف سنة ١٩٦٤، من أب يرجع نسبه إلى الشخصية المشهورة الأمير إبراهيم بن مالك الأشتر النخعي رضي الله عنهما. ومن فخذ يعرفون بآل قمر، من عشيرة آل ابراهيم القحطانية الأصل. أما والدته فهي سيدة علوية فاضلة من أسرة السادة آل غيبي النجفية، التي يرجع نسبها إلى الإمام الحسن المجتبى عليه السلام.

نشأ وتربى في أحضان مدينة النجف الأشرف المقدسة، وانصهر في بيئتها، ونهل من ثقافتها، وأكمل دراسته الابتدائية والثانوية في مدارسها. ثم واصل تعليمه العالي، فحصل على شهادتي البكالوريوس في تخصص علوم الحياة Biology والماجستير في تخصص علم الحيوان Zoology من كلية العلوم جامعة بغداد، وبعدها نال شهادة الدكتوراه في علم وظائف الحيوان Animal physiology من كلية العلوم والتقانة جامعة أم درمان الإسلامية في السودان.

إنتمى إلى جامعة الكوفة عام ١٩٩٢. ونظراً لظروف القهر والاضطهاد التي عاشها شيعة آل البيت عليهم السلام في زمن النظام البائد، وإعدام خمسة من شباب أسرته (أولاد عم أبيه) واعتقال وتهجير آخرين، وسوء الحالة المادية التي عاشها الأستاذ الجامعي آنذاك، غادر العراق صوب ليبيا سنة ٢٠٠٠، حيث عمل في جامعة عمر المختار فرع طبرق، أستاذاً لعلم الوظائف Physiology في كليات العلوم والصيدلة والطب.

وبعد سقوط النظام البائد وزوال أسباب الغربة، عاد إلى وطنه سنة ٢٠٠٩، وأعيد تعيينه في جامعة الكوفة كأحد الكفاءات العلمية العائدة من الخارج. شارك في مؤتمرات وندوات علمية عدة، ونشر أبحاثه العلمية في مجلات رصينة محكمة داخل وخارج العراق، ونال تكريم دائرة البحث والتطوير/ وزارة التعليم العالي والبحث العلمي العراقية، باحتفال يوم العلم للعامين ٢٠١١ و٢٠١٢.

الملحق المصور

صورة جوية لمدينة النجف الأشرف القديمة
تاريخ التصوير: ١٩١٨

صورة جوية لمدينة النجف الأشرف القديمة
تاريخ التصوير: ١٩٢٠

صورة لمدينة النجف الأشرف القديمة يظهر فيها جانب من السور
تاريخ التصوير: ١٩١٤

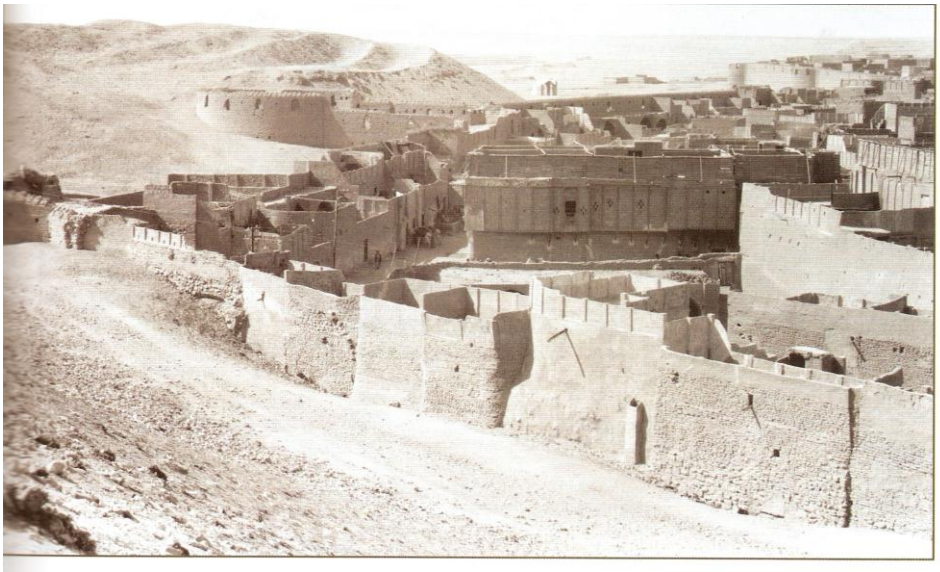

جانب من مدينة النجف الأشرف القديمة المحاطة بالسور ويظهر جبل الحويش
تاريخ التصوير: ١٩٣٢

صورة قديمة لباب الولاية عند ساحة الميدان حالياً في النجف الأشرف
تاريخ التصوير: ١٩١١

الباب القديم للحرم العلوي المطهر
تاريخ التصوير: ١٩٢٥

محطة التراموای قرب ساحة الميدان حالياً في النجف الأشرف
تاريخ التصوير: ١٩١٨

عربات التراموای وهي تنقل المسافرين بين النجف والكوفة
تاريخ التصوير: ١٩١٨

صورة جوية لمدينة النجف الأشرف القديمة تتضح بها المحلات الأربع وتظهر مقبرة وادي السلام في شمالها ومنخفض بحر النجف في غربها ومنطقة الجِدَيْدات في جنوبها

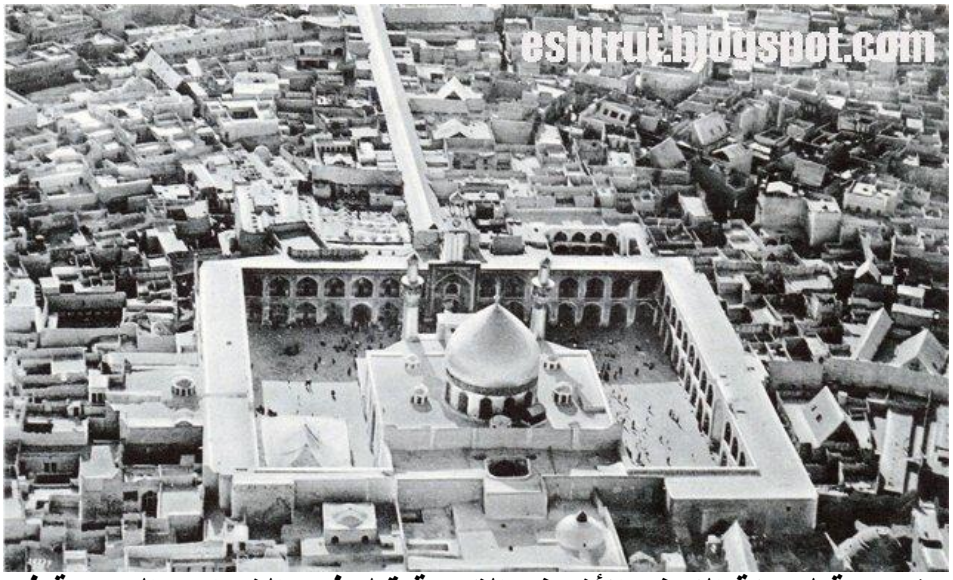

ورة جوية لمدينة النجف الأشرف القديمة قبل فتح الشوارع الرئيسة فيها

المرقد العلوي المطهر
(العمارة الأخيرة التي أقامها الشاه صفي الصفوي)

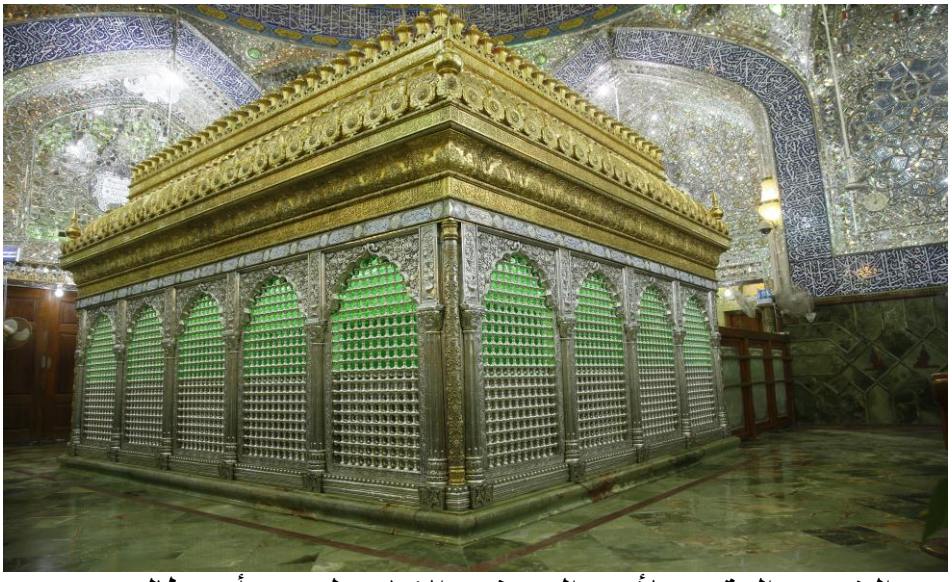

الضريح المقدس لأمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

مئذنة باب الساعة
تاريخ التصوير: ٢٠١٢

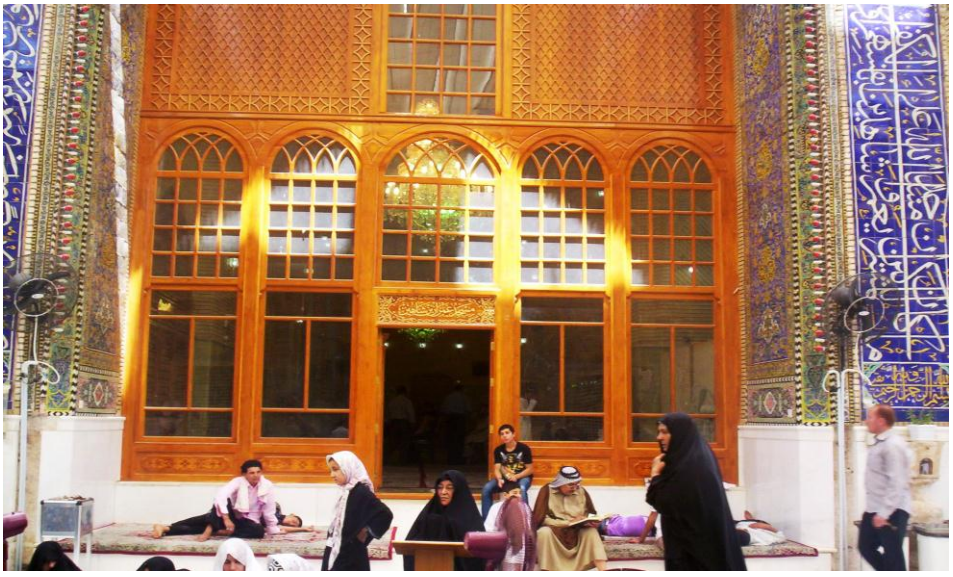

مسجد عمران بن شاهين
(أقدم مَعلَم في الصحن الحيدري الشريف)
تاريخ التصوير: ٢٠١٢

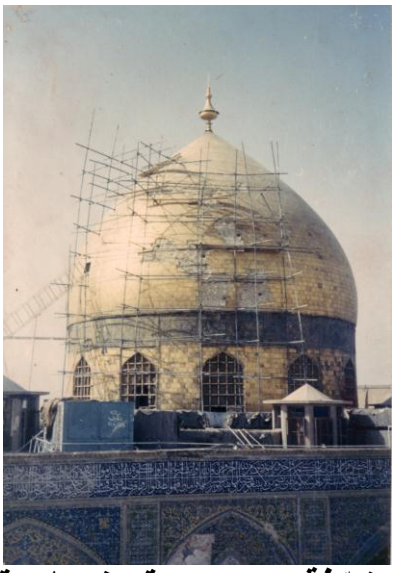

تضرر القبة المشرّفة من جراء قصف المرقد العلوي المقدس من قبل جيش النظام البائد سنة ١٩٩١

الإكليل الذهبي القديم للقبة العَلَوية المشرّفة والى جانبه السيد عدنان القابجي رحمه الله

مرقد شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي قدس سره المتوفى سنة ٤٦٠هـ
تاريخ التصوير: ٢٠١٢

حلقات الدرس في الجامع الهندي
تاريخ التصوير: ٢٠١٢

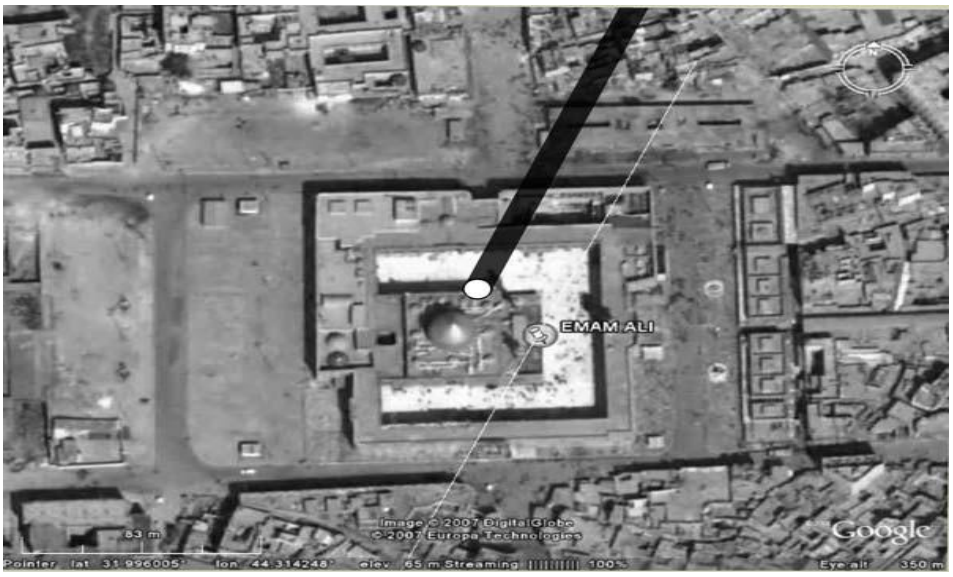

صورة جوية توضح انحراف القبلة في الصحن الحيدري الشريف
(عن كتاب زاويتا الزوال والقبلة)

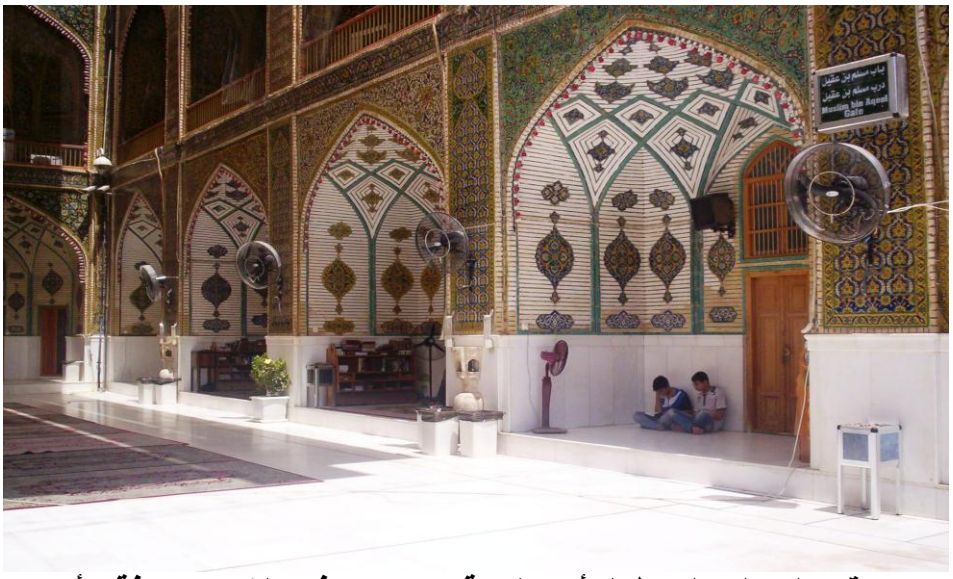

يحين وقت الزوال على طول أيام السنة حينما تحاذي الشمس حافة الأواوين الأربعة الواقعة في الزاوية الشمالية الشرقية للضلع الشرقي من الصحن الحيدري الشريف
تاريخ التصوير: ٢٠١٢

يحين وقت الزوال على طول أيام السنة حينما تصل الشمس لمنتصف القوس الأوسط من الأقواس الثلاثة للقاشاني الملتوي المؤطر لباب الساعة من جهة اليسار
تاريخ التصوير: ٢٠١٢

مقبرة وادي السلام
تاريخ التصوير:٢٠١٢

مقبرة متداعية بريازة إسلامية رائعة
(تاريخ التشييد ١٣١٣هـ)
تاريخ التصوير:٢٠١٢

منطقة جبل الطور المقدس
(فنادق تنتهك قدسية المكان)
تاريخ التصوير: ٢٠١٢

منطقة جبل الطور المقدس
(المكان المقترح لإنشاء مسجد الطور)
تاريخ التصوير: ٢٠١٢

صورة قديمة لسور مدينة النجف الأشرف
تاريخ التصوير: ١٩٣٢

بقايا سور مدينة النجف في شارع السدير مطموساً بين المحلات والفنادق؟!
تاريخ التصوير: ٢٠١٢

الباحة الداخلية لخان الشيلان
(الإهمال والتخريب المقصود للخان في زمن النظام البائد)

الباحة الداخلية لخان الشيلان
(ترميم خان الشيلان وتأهيله ليكون متحفاً)
تاريخ التصوير: ٢٠١٢

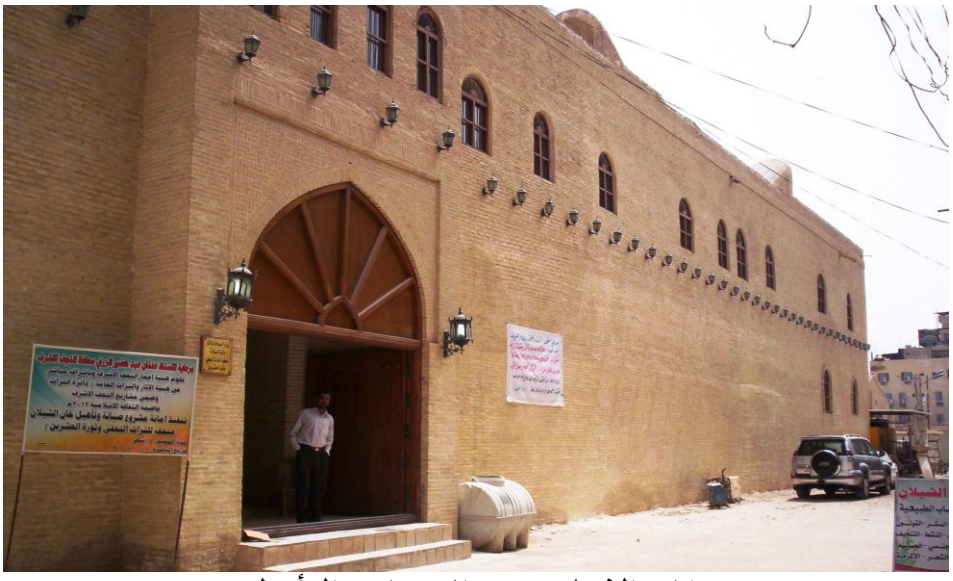

خان الشيلان بعد الإعمار والتأهيل
(تاريخ التصوير:٢٠١٣)

رسم لأحد الأسرى الانجليز بإحدى غرف خان الشيلان
تاريخ الرسم:١٩٢٠